الكتاب : الفكر السياسي عند الاباضية

مفهوم الإمامة ومشروعيتها وشروطهائةض

عدون جهلان

الفكر السياسي عند الاباضية

من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش

١٢٣٦- ١٣٣٢ هـ / ١٨١٨- ١٩١٤م

مكتبة الضامري للنشر والتوزيع

السيب – سلطنة عمان

إهداء

إلى والديّ الكريمين: برا وإحسانا واعترافا بالجميل....

إلى روح القطب الزكية: تخليدا لذكراه..........

إلى مشائخي وأساتذتي وزملائي: تقديرا واحتراما ووفاء.........

إلى كل مهتم بالفكر الإنساني: يتلمس سبل النجاة في عصر الأهواء......

إلى كل مجتهد لتحقيق مجتمع آدمي عادل، يقوم على أسس من القيم الخالدة: الخير والسلام والحب في الله....

إلى هؤلاء أقدم باكورة بحثي.

ع. جهلان

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان

بعد أن اكتملت فصول البحث وتناقشت، لتؤلف هذا الكتاب المتواضع، أجدني ملزما- من باب الاعتراف بالجميل وشعورا بواجب شكر النعمة- أن أتقدم بالثناء الطيب والشكر الجزيل لمن كان السبب في إخراج هذا الإنجاز إلى حيز الوجود. وأخص بالذكر أستاذي الدكتور أبو عمران الشيخ، إذ تكرم بالموافقة على موضوع الرسالة، وتحمل أعباء الإشراف على البحث، فرعاني رعاية الوالد

لولده،وكان لي خير أستاذ وموجّه.

ثم لا أنسى فضل أستاذي الدكتور محمد ناصر علي لما وجدت عنده من قلب مفعم بالإخلاص، وعقل نير مرشد، ولسان رطب نصوح لقد تعلمت منه أن الخلق الطيب والاستقامة في السلوك، والاخلاص في العمل، أهم وأولى من الثقافة والمنصب، فكان لي خير قدوة.

كما أوجه خالص شكري وعظيم امتناني لكل يد بيضاء امتدت لتساعدني من قريب أو بعيد لإنجاز هذا العمل، راجيا من المولى العلي القدير أن يثيب الجميع بخير ما عنده من أجر عظيم وعطاء جزيل، إنه سميع مجيب.

وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان

مصطلحات

أ......الأستاذ............ص......الصفحة

ت......توفي............ط......الطبعة

تح......تحقيق............ق......القرن

تر......ترجمة............م......التاريخ الميلادي

تص......تصحيح.........مج......مجلد

تع......تعليق............مج......مجلة

ج......الجزاء............مخ......مخطوط

ح......الحاج............مر......مراجعة أو راجعه

(1/1)

د.......الدكتور..........م.س......المصدر السابق

دتا......بدون تاريخ.........مط......المطبعة

(رضي)...رضي الله عنه.........نا......الناشر

ش......الشيخ............هـ......التاريخ الهجري

(ص)......صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يعالج هذا البحث موضوع الفكر السياسي وما يتعلق به من آراء حول الإمامة. ونظام الحكم عند

الإباضية، مع التركيز على آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش اليسجني المعروف بقطب الأيمة (١٢٣٦-١٣٣٢ !١٨١٨-١٩١٤).

ولا شك في أن الإباضية قد ساهمت في إثراء الفلسفة الإسلامية بأن جمعت إلى آرائها الفقهية والكلامية مواقف واضحة ومبادئ ثابتة في السياسة، فشكلت بذلك نظرية مميزة ضمن الفلسفة السياسية عند المسلمين. وبما أن الإباضية لم تدرس آراؤهم السياسي- بالخصوص-كما درست آراء الأشاعرة والمعتزلة والشيعة قديما وحديثا. فأن موضوعا يتناول بالبحث آراء الإباضية ويكشف الستار عن الجانب السياسي لفكر هذه الفرقة الذي لم يخرج معظمه من خزائن المخطوطات، لا ريب سيسدّ فراغا في جانب من الفكر الإسلامي لم يحظ باهتمام الدارسين. ومن هنا تبرز أهمية الموضوع.

ومن أهم الدوافع إلى اختيار هذا الموضوع ما نلحظه من غياب الدراسات العلمية حول الإباضية الشيء الذي جعل هذه لم تعرف على حقيقتها سواء في أصولها العقيدية أم آرائها الكلامية أو السياسية إلا عند القليل من الدارسين الفكر الإسلامي وهذا مما يستوجب العمل الدؤوب لدراسة فكرها دراسة أكاديمية موضوعية.

ومن البواعث أيضا ما نلحظه من الواقع السيء للمسلمين الذين لم يوحدوا في السياسة رأيا، ولم يستقروا في نظم الحكم على مبدأ، وهم باقون على ما هم عليه ما داموا ذوي نزوع إلى تشريع نظم وسن قوانين تبعد عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

وبما أن الإباضية فرق إسلامية تعتمد في وضع مبادئها على أصول التشريع الإسلامي فإن الآراء السياسية عندها تمثل رافدا هاما للتيار الإسلامي في الفكر السياسي بما تقدم من تجربة ناضجة في نظام الحكم وتسييس الرعية بمقتضى الشرع.

أما عن بواعث التركيز على آراء الشيخ اطفيش فتتلخص فيما يلي:

أ- شعورا مني بضرورة الاهتمام بعلماء المغرب العربي الذين لم يوف نصيبهم من العناية إلا قليلا، ولم تدرس أفكارهم دراسة جدية إلا نادرا، هذا على الأقل إذا قارنا ذلك بحجم الدراسات التي تناولت فكر المشارقة من العلماء وإيمانا مني بقيمة التراث المغربي فإني أراه أولى بالاهتمام من غيره فكيف إذا كان العالم جزائريا؟

ب- عندما اهتم الدارسون بالفلسفة السياسية عند المسلمين رجعوا إلى مصادر الفكر السياسي الإسلامي فبحثوا في تراث الفارابي (ت٣٣٩ هـ -٩٥٠م) وابن أبي الربيع(ق٣ هـ -٩م) والغزالي(٥٠٥هـ-١١١١م) وابن خلدون(ت ٨٠٨هـ -١٤٠٦م) وغيرهم دون الالتفات إلى مفكرين إباضيين لا يقل تراثهم أهمية من غيرهم فتساءلت عما إذا كان للإباضيين إسهام في المجال السياسي ومن ثم كانت دراستي أشبه ما تكون بعملية تنقيب عن كل ما له علاقة بموضوع السياسة في التراث ٱباضي، فوجدت معظم مادة البحث قد تناولها الشيخ اطفيش بالدراسة موضحا رأيه فيها، وهو تعبير عن رأي الإباضية في الوقت ذاته. كما وجدت آراءه تتسم بعمق التفكير وبعد النظر مما يدل على استكمال النظرية السياسية وثبوت مبادئها لديه وليس ذلك غريبا إذا علمنا أن الشيخ اطفيش عاش في نهاية القرن ١٣هـ -١٩م ويكون بذلك قد استفاد من التجربة السياسة للإباضية عبر مراحل تاريخها، فضلا عن اطلاعه على مؤلفات من سبقه من مؤلفي الإباضية وأخص بالذكر منهم: الشيخ تبغوريين بن عيس (ق٥ هـ - ١١٧٤م) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني(ت٤٥٠ هـ -١١٧٤م) أبو عمار عبد الكافي الإباضي(ق ٦هـ -١١م) أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي(ت ٧٥٠هـ -١٣٥٠م)، وأخيرا الشيخ عبد العزيز الثميني(ت ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م) .

ومن هنا فقد تأكدت لدي قناعة بأن دراسة فكر القطب يعني الإلمام بالفكر الإباضي في الوقت نفسه.

ويهدف البحث فيما يهدف إلى التعريف بالنظرية السياسة الإباضية، وتحليلها ثم تقييم أبعادها الفكرية بالنقد والمقارنة، وهذا من أجل فتح باب جدير بالاهتمام في الفلسفة الإسلامية لم يحظ بالدراسة والنقد حتى الآن.

أما إشكاليات البحث فقد صيغت في شكل أسئلة يحاول البحث الإجابة عليها. اعتمادا على المصادر الإباضية ويمكن طرحها كما يلي:

١- ما هم مفهوم الإمامة عند الإباضية؟ وما رأيهم في مشروعيتها ووحدتها؟ وشروطها؟ ومن يستحق منصب الخلافة عندهم؟

٢- ما نوع الحكم عند الإباضية؟ وفيم تتجسد ديموقراطية السلطة؟ وتعيين الحاكم؟ واختيار أعوانه؟

٣- ما هو موقف الإباضية من السلطان الجائر؟ ومن حكم مخالفيهم فيهم؟ وما هو البديل حين يعجزون عن إقامة الدولة؟

٤- ما الأبعاد السياسة في نظرية "مسالك الدين"؟ وما قيمة الفكر السياسي الإباضي ضمن الفلسفة الإسلامية؟

وانطلاقا من هذه التساؤلات شرعت في جمع مادة البحث ومعالجة الموضوع معتمدا على المنهج التاريخي فعرضت أهم آراء الإباضية مع تحليلها وإبراز مواطن الاتفاق والاختلاف بينها وبين آراء المذاهب السياسية الأخرى من خلال المقارنة ثم استخلصت النتائج الأساسية التي تميز النظرية السياسية الإباضية عن غيرها.

لكن لم يكن ذلك بالأمر الهين. فلقد اعترضتني صعوبات منذ الخطوات الأولى للبحث. من أهمها ما يلي:

١- لم أجد دراسة معاصرة تناولت هذا الموضوع بالبحث باستثناء إشارات عابرة ضمن دراسات ذات طابع تاريخي أو عقيدي غير متخصصة في السياسة نذكر منها- على سبيل المثال- تحليل د.عمار طالبي(معاصر) لمبحث الإمامة وهو ملحق لكتاب الموجز لأبي عمار عبد الكافي. ودراسة أ. دنجال G.Dangel (معاصر) في كتابه: الإمامة الإباضية في تاهرت L, Imamat Ibadite de Tahert(416-909) ودراسة أ. بيار كبيرلي (معاصر) P.Cupery حول الإمامة عند الإباضية في فصل ضمن كتابه مدخل لدراسة المذهب الإباضي وعقيدته. Introduction a I,ctude de L,Ibadisme et de sa theologie

(٥/١)

ومحاضرة أ. محمد الثميني(معاصر) مفهوم الشورى والديموقراطية في التاريخ العربي لدى الدول الرستمية. ولعل أول محاولة معاصرة لدراسة الفكر الإباضي دراسة تحليلية مقارنة كانت من طرف الشيخ علي يحيى معمر(ت١٩٧٩ م) في كتابه الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات القديم والحديث. ثم جاء بعده د. عوض الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في شمال أفريقيا. والتنظيمات السياسية والإدارية عند الإباضية في مرحلة الكتمان.

وفيما عدا هذه الدراسات لا نكاد نقف على إشارة للفكر السياسي الإباضي- حسب اطلاعنا- أما عن حركة الخوارج فهي كذلك لم تحظ بالدراسة الكافية.

٢- بما أن الإباضية لم يهتموا بالجانب النظري في المجال السياسي إلا قليلا فأنهم لم يتركوا آثارا

مستقلة لهذا الجانب مما اضطرني إلى البحث عن كل ما له علاقة بموضوع السياسة، بين كتب الفقه وأصول الدين ضمن المباحث الاجتماعية، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإمامة والولاية والبراءة، والأحكام والدماء، هذا إذا استثنينا ما وجدته في (قاموس الشريعة) للشيخ جميل بن خميس السعدي العماني(ق١٩ م) وهذا القاموس عبارة عن موسوعة فقهية تقع في ٩٠ مجلدا. أفرد لموضوع الإمامة فيه بكتاب خاص لا يزال مخطوطا. وبما أن البحث مركز على آثار القطب فإني لم أعتمد على الخطوط المذكورة التزاما بمنهجية الدراسة.

٣- أمام ندوة المصادر اضطررت للرجوع إلى تاريخ باعتباره مصدرا بديلا للمادة نظرا لأهميته في دراسة الفكر الإباضي علما ان الإباضية حريصون على تطبيق مبادئهم، وتجسيدها عمليا ولذلك كانت التجربة الإباضية غنية في الميدان السياسي ومن هنا تزداد صعوبة البحث بالخلط بين التاريخ والفلسفة.

٤-من بين المصادر الإباضية المهمة يوجد منها عدد لا يزال مخطوطا وهذه الأخيرة ينعدم وجودها في المكتبات العامة فضلا عن الوطنية والجامعية، فسعيت للحصول عليها في الخزائن الخاصة بقرى وادي مزاب وتكلف مني ذلك جهدا وعناء.

هيكل البحث

قسمت البحث إلى: مدخل وبابين، يضم كل منهما أربعة فصول، ثم الخاتمة.

في المدخل اختصرت أسباب نشأة الفكر السياسي عند المسلمين وما نتج عن ظهور المذاهب السياسية، وكان ذلك تمهيدا في صميم الموضوع والتركيز على المذهب الإباضي.

الباب الأول(المذهب الإباضي) ويضم الفصول التالية:

الفصل الأول: فصلت فيه الكلام حول ظهور الإباضية كفرقة مستقلة متميزة برجالها وآرائها كما وضحت فيه ظروف النشأة وأصل التسمية بالإباضية ثم أجملت القول حول انتشار هذا المذهب في المشرق العربي ومغربه.

الفصل الثاني: عرضت فيه أصول العقيدة عند الإباضية، وهي تسعة: التوحيد، العدل، القضاء والقدر، الولاية والبراءة، الأمر والنهي، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، لا منزلة بين المنزلتين، الأسماء والأجسام، ثم وضحت آراء الإباضية ومواقفهم من بعض المسائل الخلافية بين المذاهب ومن أهمها: نفي الرؤية ومسألة الخلود، وخلق القرآن.

الفصل الثالث: بينت علاقة الإباضية بالفرق الإسلامية مع الإشارة إلى أوجه الاتفاق والاختلاف مع كل من الأشعرية والمعتزلة والشيعة والخوارج.

الفصل الرابع: بعد التعريف بالإباضية وآرائهم وعلاقتهم بغيرهم حصرت دائرة البحث حول شخصية الشيخ محمد بن يوسف اطفيش فتعرضت إلى حياته وآثاره والتعريف بمعالم فكره.

الباب الثاني: (الفكر السياسي عند الإباضية).

الفصل الأول: عرضت فيه تصور الإباضية لمسألة الإمامة وبينت آرائهم حول مفهومها ومشروعيتها وشروطها وثبوتها مع المقارنة بين آراء الإباضية مع غيرها من آراء المذاهب الإسلامية الأخرى.

الفصل الثاني خصصته لنظرية مسالك الدين عند الإباضية وهي نظرية سياسية اجتماعية، تحدد مواقف الإباضية من الأوضاع التي تعترضهم كما تحدد نوع الإمامة وطبيعة كل سلطة سياسية تختلف باختلاف المراحل الأربع لمسالك الدين وهي:

الظهور.

الدفاع عن الدين والدولة.

الشراء واعلان الثورة ضد الفساد والعدو الظالم.

الكتمان وفيه يبتعد الإباضية عن المجال السياسي ويتنازلون عن إقامة الدولة ليشتغلوا بالإصلاح الديني والاجتماعي.

الفصل الثالث: وهو خاص بالإمام في مرحلة الظهور، وتناولت فيه مسألة اختيار الإمام وتنصيبه وقبل ذلك شروط الأْمامة ومؤهلاته، وموجبات عزله أو الخروج عليه. وبينت موقف الأمة من الإمام العادل. كما حددت واجبات الإمام الأساسية ومسؤولياته، ومنها الأمنية والإدارية والدينية والاقتصادية والاجتماعية.

الفصل الرابع: عرضت فيه جهاز الحكم المتكون- علاوة على الإمام- من مجلس الشورى والوزير والقاضي والولاة والحسبة والشرطة والجيش مع تحديد مهام وصلاحيات كل من يتولى هذه المناصب.

الخاتمة: استخلصت فيها نتائج البحث الأساسية، وأجملت فيها القول حول ديموقراطية السلطة في الدولة الإباضية بالمقارنة مع الآراء السياسية عند فلاسفة الإسلام.

مدخل

أهمية دراسة الفكر السياسي

لا يزال الصراع بين الفكر والواقع يشكل أهم ميزات العصر الحديث، حيث أصبحت الأفكار تحدد أهداف الإنسان وغايته. وتوجه الجماعات في نمط من السلوك والممارسة ضمن مسيرة حضارية، وبالأفكار تتحد الشعوب أو تختلف، ويتخذها الساسة مطية للمحافظة على السلطة. وما نظم الحكم المختلفة إلا تجسيدات عملية للأفكار السياسية والاجتماعية أفرزها واقع الإنسان من خلال حاجاته الاجتماعية والقيم الروحية والمادية والتطلع نحو الأفضل.

(٨/١)

فانطلاقا من جدلية الفكر الواقع، تتشكل المذاهب السياسية والاجتماعية والأخلاقية، وتختلف هذه باختلاف الغايات والاتجاهات وظروف الحياة التي يعيشها الإنسان إلا أنها تسعى جميعا إلى التوفيق بين الجوانب الأساسية في حياة المجتمع وهي ثلاثة:

الجانب الروحي متمثلا في عقيدة تشكل القاعدة النظرية.

والجانب المادي في شكل نظم اقتصادية.

والجانب التنظيمي متمثلا في جهاز والترتيب الإدارية. ولعل أهم هذه الجوانب هو الجانب الروحي إذ لا يقوم مذهب سياسي أو اجتماعي إلا على أصول عقائدية(دينية) أو فكرية فلسفية تستمد جذورها من مناخ عدة منها الواقع فتكون الأوضاع القائمة وما تفرزها الحياة البشرية من خبرات بمثابة الأصول التجريبية، التي يستخدمها إعلام الفلسفة السياسية في وضع تعاليم وصياغة آرائهم ومثال ذلك حضارة شرق آسيا التي قامت على مبادئ الكنفوشيسية(١) كما كانت آراء هيجل(٢) ،ونيتشة(٣) هي السند الفكري للحزب الاشتراكي الألماني(النازي) كما غدت آراء هيجل الدعامة الفكرية لكارل ماركس(٤) ومن والاه من مفكري الاشتراكية(٥).

أما عند المسلمين فتعود جذور الفكر السياسي لديهم إلى أصول العقيدة الإسلامية بالإضافة إلى حصيلة الآراء السياسية لمفكري الإسلام وفقهائه ونذكر– على سبيل المثال– الآراء السياسية التي وضعها المهدي ابن تومرت(ق١٢ م) وهي تشكل الإطار النظري والسند الفكري للدولة الموحدية(٢)

---

(١) نسبة إلى كونفوشيوس (نحو ٥٥١– ٣٧٩ ق.م) فيلسوف صيني لا يقر بالله.

فريدريك هيجل Hegel (1770- 1831م) فيلسوف ألماني قال الكائن والفكر شيء واحد.

نيتشه Nietzche(1844-1900م) فيلسوف ألماني يقوم مذهبه على إرادة القوة.
Marx (1817-1883م) من رجال السياسة والفلسفة الاجتماعية عاش في ألمانيا.
فؤاد محمد شبل الفكر السياسي، القاهرة ١٩٧٤م جـ١،ص١٥.
(٢) دولة شيعية في المغرب والأندلس، أشهر سلاطينها: عبد الرحمن بن علي.

(٩/١)

ولعل أهم ما يتميز به الفكر السياسي عند المسلمين أنه لا يفصل بين الدين والدولة فالعلاقة بين الجانبين ليست مصطنعة بل أصيلة تنبع من التعاليم الدينية ويفرضها الاجتماع المدني بحيث ينتفي التفاصيل بين الجانبين لأن الواحد منهما يكمل الأخر لتنظيم أحوال الدولة وسياسة الرعية.
إلا أن هذه العلاقة قد تتعرض إلى زعزعة فتحيد عن أصلها بفعل الاحتكاك الحضاري، وتغير الظروف وتعاقب الدهور. فإذا حدث شيء من ذلك، هيمن المضمون الاجتماعي والمصلحة الدنيوية على الجانب الروحي، وعندئذ تضعف فعالية القيم الدينية والتعاليم السماوية في غياب الوعي الإسلامي وفتور الوازع الديني. وهذا ما حدث في التاريخ الإسلامي بتفاوت بين الدول الإسلامية من حيث اتساع أو ضيق الهوة الفاصلة بين الجانب الديني والجانب السياسي– الدنيوي– على أن هذا التفاوت قد نلاحظه في الدولة الواحدة بين فترات زمنية متباعدة.
وهذه الدراسة التي بين أيدينا تلقي ضوءا على التجربة الإباضية في موضوع الحكم وهي تجربة إسلامية حاولت أن تبقي العلاقة بين الدين والدولة قائمة على أسس تضمن التوفيق بين الجانبين من أجل تحقيق المصالح الدنيوية في حدود الشرع.
نشأة الفكر السياسي عند المسلمين
يتمحور الفكر السياسي عند المسلمين حول مسألة الخلافة أو الإمامة وهي خلافة النبي في إدارة شؤون المسلمين وتسييس الرعية، فصاحب هذه المهنة هو الحاكم الأعلى لجماعة المسلمين.

(١٠/١)

تولى الخلافة أولا أبو بكر(رضي) فالتزم بالكتاب والسنة وحرص على تطبيق العدالة الاجتماعية بعيدا عن العصبية، والتمييز العنصري فخلا عهده من الافتراق، ثم تلاه عمر بن الخطاب (رضي) فاتسمت سياسته بالعدالة المطلقة، واجتهد في وضع القوانين والنظم في إطار الحدود الشرعية بحسب ما تقتضيه المصلحة العليا للأمة، التي اتسعت رقعتها وضمت ألوانا جديدة من الأجناس

محملة برصيد فكري مميز وقيم أخلاقية واجتماعية لم يعهدها المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية، فعاش الجميع في ظل القيادة الإسلامية، لا فرق فيما بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى.
لكن باعتلاء عثمان(رضي) عرش السلطة تغيرت الأوضاع وبدأ الضعف يدب في الساسة فضلا عن العامة ونتج عن ذلك ظهور النعرة القبلية من جديد واستفحل خطر العصبية التي أذابها الإسلام واستمر الوضع في ترد إلى حين قتل عثمان وخلفه علي(رضي) ولم يتمكن من رأب الصدع فتطور الخلاف إلى صراع مسلح، ومن ثم تخربت الأمة الإسلامية فصارت فرقا ومذاهب تدعي كل منها إن الحق بجانبها، وغيرها على ضلال، وكان الخلاف يبدو في ظاهره خلافا فقهيا– دينيا– لكنه يعكس في حقيقته صراعا بين الشرائح الاجتماعية والطبقات ذات السيادة. وبقي الحال على هذا النحو إلى أن استقر الحكم عند العباسيين، وفي خضم هذا الصراع حول منصب الخلافة ظهر كتاب مسلمون تناولوا هذه القضية بالبحث والدراسة والنظرية، من أجل إضفاء الشرعية للأحداث السياسية. وتأييد الزعماء القائمين برعاية المسلمين، أو نقد الأوضاع ومحاربة أصحاب السلطة لاحتكارهم مقاليد الحكم دون موجب شرعي وكان هؤلاء الفقهاء والمفكرون يعبرون في الغالب عن آراء الفرق التي ينتمون إليها.

فأثارت الشيعة مسألة أحقية علي(رضي) وأبنائه في تولي منصب الخلافة الأمر الذي شجع الخوارج على الرد عليهم، كما فعل غيرهم من أهل السنة وكان مصدر التشريع هو القاسم المشترك
والمنطلق الأول بين العلماء ومفكري الإسلام. غير إن الآراء اختلفت حول القضية نفسها وتباينت وجهات النظر بينهم فراح كل يؤول النص حسبما يمليه اتجاهه السياسي ويفسر الأحداث من زاوية مذهبه.
ويمكن تحديد مواضع الخلاف السياسي في جملة من المسائل، لكل منها موقفان متعارضان ينتج عنها مجموعة محاور منا تتولد المذاهب السياسية عند المسلمين، ونعرض هذه المحاور على الشكل التالي:

المحور؟؟

الموقف الأول؟

الأول

الثاني

الثالث

الرابع

الخامس

السادس

السابع

الثامن ... الموقف الثاني

وجوب تنصيب الإمام

جواز تعدد الأئمة

تنحصر الخلافة في آل البيت

يكون الخليفة قرشيا

الإمام معصوم

الخلافة تنتقل بالوصية والوراثة

تثبت الإمامة بالشورى والبيعة

يجب الخروج على السلطان الجائر؟

؟لا ضرورة لتنصيب الإمام

لا يجوز إلا إمام واحد

لا تنحصر في آل البيت

لا يشترط القرشية

لا عصمة إلا للأنبياء

لا تجب الوصية ولا الوراثة

لا وجوب للشورى والبيعة

لا يجب الخروج وقد يجوز

؟

ومن هذه المحاور تفاعلت الآراء وتبلورت النظريات لتسفر عن مبادئ أساسية قامت عليها تكتلات وأحزاب سياسية أربعة، نعرضها بالترتيب حسب ظهورها تاريخيا، ويوافق ذلك ترتيبها من حيث القوة والنفوذ.

أولا– حزب بني أمية ويعتمد في الحكم على المبادئ الأساسية التالية– وجوب نصب الخليفة بالبيعة والشورى على أن يكون قرشيا عدلا، طاعته واجبة والخروج عليه غير جائز" ومن هذا التكتل

انبثقت مذاهب الأشاعرة والماتريدية" الأثرية والمعتزلة"(١).

(١) علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ص٤٠٣.
علي يحيى معمر، الإباضية بين الفرق، مكتبة وهبة، ط١ القاهرة ١٩٧٦م.

ثانيا– حزب بني هاشم، والمبدأ الأساسي الذي يقوم عليه في موضوع الحكم. إن الخلافة تنحصر في آل البيت وتنتقل بوصية الإمام لمن بعده ويكون معصوما ومن هذا التكتل ظهرت فرق الشيعة.
ثالثا– حزب عبدالله بن وهب الراسبي(المحكمة) كان ظهوره نتيجة للصراع بين الأحزاب المتقدمة. ويعتمد هذا الحزب في موضع الحكم على المبادئ التالية– البيعة والشورى والعدالة دون اعتبار الجنس فإن استوفى الإمام هذه المقاييس والتزم بها "وجبت طاعته ولا يجوز الخروج عليه"(٨)، أما إذا انحرف كان أمر الخروج عليه بيد أهل الحل والعقد وهو جائز وليس واجب. ومن هذا التكتل ظهرت فرق الإباضية.
رابعا– الحزب المتطرف، وهو متفرع عن الحكمة الأولى من أهم مبادئه في السياسة أن الإمامة غير واجبة عند البعض، وعند آخرين من الحزب نفسه الإمامة مشاعة لكل المسلمين بشرط الكفاءة والعدل. وتتم بالاختيار المطلق، فإذا جار الإمام وجب أن يعزل وإلا يحارب ويقتل. إلا إن هذا الحزب لم يدم طويلا لانتهاجه الأسلوب الثوري وتطرف آرائه. ومنه انبثقت الخوارج.
على ضوء هذا العرض نستطيع تلخيص الآراء السياسية العامة التي تنبني عليها فلسفة الحكم عند المسلمين، فيما يلي(١):
أ– الإمامة من قريش يعين بالبيعة، طاعته واجبة ولو جار (الحكم وراثي معتدل)
ب– الإمامة في آل البيت فقط بالوصية وهي من أصول الدين والإمام معصوم.(الحكم وراثي متطرف).
ج– تعيين الإمام بالشورى والبيعة، سواء من قريش أو من غيرها، طاعته واجبة والخروج عليه جائزة إذا جار (الحكم ديمقراطي معتدل).
د– الإمامة حق لكل إنسان عن طريق الانتخاب الحر يطاع الإمام ما دام عادلا، ويقتل إذا جار وقد لا تجب الإمامة(الحكم ديمقراطي متطرف).

(١) نقلا عن علي يحيى معمر الإباضية بين الفرق، ص٤٠٤(بتصرف).

بعد هذه المقدمة حول نشأة الفكر السياسي عند المسلمين، نعود إلى فرقة الإباضية لنركز البحث حول آرائها في السياسة من خلال مفكريها عامة وآثار قطب الأئمة ش. محمد بن يوسف اطفيش بصفة أخص.

وقبل ذلك، نعرف المذهب الإباضي، من حيث نشأته، وأصوله العقيدية وعلاقته بغيره من المذاهب، ثم نتعرض لحياة القطب وآثاره.

الباب الأول

المذهب الإباضي

الفصل الأول: نشأة المذهب الإباضي.

الفصل الثاني: الأصول العقيدية للمذهب الإباضي.

الفصل الثالث: الإباضية والفرق الإسلامية.

الفصل الرابع: الشيخ محمد بن يوسف اطفيش

(حياته وآثاره وفكره)

الفصل الأول

نشأة المذهب الإباضي

أولا: ظروف النشأة

ثانيا: أصل التسمية.

ثالثا: الإباضية في المشرق.

رابعا: الإباضية في المغرب

نشأة المذهب الإباضي

أولا: ظروف النشأة

إذا تعرضنا في هذا الفصل إلى الأسباب العامة والظروف الخاصة التي ساعدت على نشأة الفرقة الإباضية فليس ذلك من قبيل التعريف بالمذهب الذي نحن بصدد دراسته من الجانب السياسي، وعليه فإن الحديث سيكون مركزا على الأحداث التاريخية ذات الصلة الوثيقة بظروف النشأة والتي تمثل الأسباب المباشرة لظهور الإباضية كفرة إسلامية مميزة بأصولها واتباعها. وما سوى ذلك من تفاصيل وجزئيات فسنتركها للراغب في التوسيع والتحقيق يلتمسها في المصادر والمراجع المعتمدة(١)

---

(١) للمزيد من التفاصيل حول نشأة الاباضية أنظر: رسالة الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم إلى أهل طرابلس، ذكرها الشيخ بواب بن سلام في كتابه (شرائح الدين) مع نسخة الشيخ ناصر المرموري، ص٣٣ الشماخي، كتاب السير- الدرجيني طبقات المشائخ بالمغرب ج١ أبو القاسم البرادي، الجواهر المنتقاة- أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص٦٤- الحافظ بن كثير البداية والنهاية، ج٧ ص.ص ٢٧٣-٣١٠- عبد الحليم محمود التفكير الفلسفي في الاسلام ص.ص١٨٥-١٨٦- سليمان الباروني باشا، الأزهار الرياضية- سالم بن حمود السيابي، طلقات المعهد الرياضي ص٧٩-علي يحيى معمر الاباضية في موكب التاريخ(جميع الحلقات) وكتابه: الاباضية بين الفرق الإسلامية- محمود إسماعيل، الحركات السرية في الاسلام ص.ص١٤-١٨- عوض محمد خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الاباضية- صالح بن أحمد الصواف، الإمام جابر بن زيد العماني ص١٩٦.

Marcel Mercier, La civilisation urbaine au M,Zab , p.p14-61 marghoub belhadj ,Le development politique en Algerie p.14. Aicha Daddi- Addoun, Sociologie et Histoier des Algeriens Ibadites, p.p:103-14u, T. Lewicki, Encyclopedia de L Islame, nouvelle edition, tome3, G.P. Maisonneuve et la roue S.A, Paris, 1971 article: Al Ibadiyya, p.p.669-682

٢) علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ ٦٨٢-٦٦٩ الحلقة(١) نشأة المذهب الإباضي ط١، مط دار الكتاب العربي، مكتبة وهبة القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) ص٥.

٣) عبد الرحمن بن عمر بكلي(١٩٠١,١٠,٣م/ ١٣,١,١٩٦٤م) فتاوي البكري مط العربية غرداية الجزائر ١٩٨٣ ج١ ص٣٥٧.

٤) ظهرت بوادر التناقض الاجتماعي بتكون الطبقية عندما تراكمت رؤوس الأموال لدى الأعيان في قريش من ناحية واحتكار بني أمية لمناصب السلطة من ناحية أخرى وذلك في عهد ثالث الخلفاء

الراشدين عثمان بن عفان (رضي) للمزيد من التوضيح راجع نشأة الفكر السياسي وأسبابه عند المسلمين في مدخل هذا البحث.

.

يقول أ.علي يحيى معمر(١٩١٥- ١٩٧٩م):" المذهب الإباضي ليس مذهبا سريا وليست أصوله التي ينبني عليها خافية أو مجهولة وليس اتباعه ممن يستترون أو يختفون"(٢) وليس المذهب الإباضي سوى (تعاليم الإسلامية السامية وأصول المستقاة من نبعه الصافي كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – الصحيحة روتها ثقاة عدول ذوو عقول راجحة(٣).

أما النشأة فتعود أسبابها إلى الظروف السياسية بالدرجة الأولى حينما اشتدت أزمتها في الثلثين الأخيرين من القرن الأول للهجرة بالإضافة إلى الوضع الاجتماعي المتناقض(٤) مما تولد عن ذلك اختلاف أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – حول بعض القضايا في الفقه والسياسة..... وكان ذلك سببا لاجتهاد العلماء من الصحابة والتابعين. ومن ثم تعددت الآراء وتباينت الأفكار فكثر الجدل والمناظرات بين العلماء وبالتالي ظهور على الكلام عند المسلمين. ولما صار لكل عالم أتباعه وشيعته، تخربت الأمة الإسلامية، وصارت فرقا ومذاهب، تدّعي كل فرقة أن الحق إلى جانبها وأن غيرها على ضلال، وأنها الوحيدة الناجية من بين الفرق التي أشار إليها الرسول – صلى الله عليه وسلم – في حديث الافتراق(١). فبادر الخوارج بتسمية أنفسهم أهل الحق

---

(١) عبد القاهر البغدادي (ت. ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، ط٥ دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٨٢، ص.ص٤- ٦.

٦) محمد بن جرير الطبري(ت. ٣١٠هـ/٩٢٢م) تاريخ الأمم والملوك، مط الحسينية، القاهرة ١٣٣٦هـ، ج٥، ص٧٥.

٧) عمار طالبي آراء الخوارج الكلامية، ش.و.ن.ت. الجزائر ٧٨، ج١، ص٣٣.

٨) اجتمع الصحابة (مهاجرون وأنصار) إثر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة سنة١١هـ/٦٣٢م، للنظر في شأن خلافة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٩) أ. محمد الشيخ بالحاج، معاصر، مقابلة شخصية، صيف ١٩٨٤.

١٠) د. عمار طالبي آراء الخوارج الكلامية، ش.و.ن.ت. الجزائر ٧٨، ج١، ص٤٤.

(١٦/١)

، وكانوا أول فرقة زعمت أنها على حق وما سواها على ضلال(٦) في حين الذي بالغت الشيعة وكذا الأمويون في تكفير الخوارج واتهامهم بالزيغ والضلال، ونعتوهم بالمارقة وأهل الأهواء، (ولم يتورعوا من وضع الأحاديث في ذم الخوارج، كما وضعت أحاديث في ذم القدرية والمرجئة(٧).

وفي هذه الظروف المتوترة، لم يكن الصراع الفكري وحيدا في إذكاء نار الفتنة بل تفاقم الوضع وتحول الخلاف من حرب كلامية إلى صراع مسلح، وكان الخليفة الثالث عثمان بن عفان(رضي) أول ضحية في هذا الصراع، ثم تطورت الأحداث بعد ذلك، واشتد الخلاف، وتقاتل المسلمون في معركة الجمل(سنة ٣٦هـ /٦٥٧م) وفي وقعة صفين سنة(٣٧هـ/ ٦٥٧م) وما حدث بعدهما من فتن وانقسامات.

أما الإباضية كفرقة مستقلة، مميزة فإنها لم تظهر جليا في تلك الظروف ولم تكن آراؤها قد تبلورت نظرا للتغير السريع في مجريات الأحداث، فلم يستقر الوضع آنذاك جيدا لتنضج الأفكار وبالتالي تتميز الفرق عن بعضها، ولذلك اختلفت المؤرخون في تحديد تاريخ معين لظهور الإباضية كفرقة إسلامية ذات استقلال فكري وأصول واضحة ومبادئ محددة ورجال معينين.

وفي سبيل تحديد الأصول التاريخية لنشأة الإباضية نورد بعض ما قيل في الموضوع من أجل الخلوص إلى رأي واضح في ذلك.

(١٧/١)

يقول أ.محمد الشيخ بالحاج(معاصر): (إن الأصول السياسية للإباضية ظهرت في اجتماع السقيفة(٨) وان لم يسموا بذلك الاسم كما تسمى بقية الفرق آنذاك بأسمائها)(٩)، ويشاطره الرأي د.عمار طالبي (معاصر) فيرى إن (أصلا من أصول الخوارج وريا من آرائهم كان موجودا إبان اجتماع السقيفة)(١٠). والمقصود بالأصول السياسة مبدأ الشورى، والديموقراطية المتمثلة في حرية اختيار الخلفية، ومبدأ أحقية كل مسلم في الوصول إلى هذا المنصب بقطع النظر عن جنسه ولونه وانتمائه الطائفي، وهذا ما صرح به ابن عبادة الخزرجي(ت١٦ هـ/٦٣٧م) مع جماعة من الأنصار قالوا– في اجتماع السقيفة– بجواز الإمامة في غير قريش، ولعل هذه أول مسألة يختلف حولها المسلمون بعد وفاة الرسول إذن فالخلاف السياسي نتج عنه ظهور جماعة تطالب بتطبيق القيم الإسلامية المطلقة، كالعدل والمساومة وحرية إبداء الرأي، وطالبت بتطبيقها، كما تبنتها الإباضية والتزمت بها عمليا.

وهل يمكن القول بعد هذا إن جذور نشأة الفكر السياسي عند الإباضية، وبالتالي نشأة الإباضية تعود إلى ظهور المطالبين بتطبيق هذه المبادئ؟. الواقع أنه لا يمكن الفصل بسهولة في هذا الشأن. خاصة والأمر يتعلق بظهور فرقة لا يمكن عزلها بظهور الخوارج، وترتبط نشأتها بنشأة الخوارج، حسبما تؤكده المصادر التاريخية- إباضية كانت أم غيرها- فإن د.عمار طالبي يرى(إن النزعة الخارجية، وأن أصل الخوارج نبت في عهد النبي نفسه، ومن ثم فهو سابق للثورة على الخليفة عثمان(ت٣٥ هـ/٦٥٦م) رضي الله عنه، وعلى معركتي الجمل(٣٦هـ/ ٦٥٧م) وصفين(٣٧هـ/٦٥٧م) وما لحقها من فتن(١)

---

(١) ١١) م.س.ص٣٥.

١٢) حاول زعماء الخوارج استدراج عبدالله بن اباض للخروج معهم فامتنع وأخبرهم أنه لا يخرج على قوم يرتفع الآذان من صوامعهم، والقرآن من مساجدهم. علي يحيى معمر، الاباضية ،مط العربية، غرداية، ١٩٨٥، ص.٣٥.

١٣) للمزيد من التفاصيل حول الخوارج، راجع الفصل الثالث من هذا الباب.

١٤) **T. Lewicki, E.I, Ibadiyya, tom 3, p.669**.

١٥) من القعدة جماعة ظهرت في البصرة، في منتصف ق ١هـ -٧م، من أشد رجالها أبو بلال مرداس بن أدية التميمي

١٦) عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، ثاني أئمة الدولة الرستمية.

١٧) حول أحداث صفين راجع: الحافظ بن كثير، البداية والنهاية ط٣، مكتبة المعارف بيروت لبنان، ١٩٨١، جـ٧، ص.ص٢٧٣-٣١٠.

١٨) رسالة الشيخ عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، ذكرها بواب بن سلام في كتابه، شرائع الدين (مخ) نسخة الأستاذ الشيخ ناصر المرموري، ص٢٥.

١٩) سموا بذلك لرفضهم تحكيم علي(رضي) الحكمين ورضاه بما نتج عن ذلك راجع: عوض خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الاباضية، ط٢، مط الشرقية، سلطنة عمان د.ثا، ص٠

٢٠٩ أنظر الحافظ بن كثير، البداية والنهاية، ط٣، مكتبة المعارف بيروت، لبنان ١٩٨١، جـ٧ ص.ص ٢٧٣-٣١٠. عمار طالبي آراء الخوارج الكلامية، جـ١ ص٨٧، صالح بن أحمد الصوافي: الإمام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة مط وزار التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٨٣.

٢١) حروراء قرية بناحية الكوفة.

.

ومهما كان الأمر فالمسألة تتعلق بظهور الإباضية أما علاقتها بالخوارج، فسيأتي تفصيل ذلك في فصل لاحق. وإذا عدنا إلى ظهور الإباضية وتحديد تاريخ نشأتها فأننا نجد المستشرق تادوز لويسكي يذكر في دائرة المعارف- اعتمادا على المؤرخين المعاصرين إن ظهور الإباضية كان سنة ٦٥هـ ٦٨٤م عندما انفصل عبدالله بن إباض(١٢) عن المتطرفين الخوارج(١٣) بمناسبة الموقف الذي يجب اتخاذه تجاه أهل التوحيد الآخرين(١٤)، لكنه يستبعد هذا التحديد ليؤكد أن جذور الإباضية أقدم من ذلك فهو يلحق تاريخ نشأة هذه الفرقة بظهور جماعة القعدة(١٥).

أما الإمام عبد الوهاب(١٦) فيعتبر إن وقعة صفين(١٧) هي الحدث الأول الذي نتج عنه ظهور فرقة الإباضية إلا أن الإمام لم يسم هذه الفرقة بالإباضية باعتبار أن التسمية حادثة يقول في رسالة له أهل طرابلس:" لما اشتدت الحرب وارتاب المبطلون وحكموا الحكمين....اختلفت الأمة...وصار الناش شيعتين...فاختلف المسلمون بالحق الذي تمسكوا به فاختلفت عليهم كلمة المختلفين يقاتلونهم على دين الله الحنيف والملة الصادقة"(١٨) ويعني الإمام بالمسلمين المختفين بالحق، جماعة المحكمة(١٩) كما سميت هذه الجماعة بالخوارج لخروجهم عن علي (رضي)(٢٠). وهذه تسمية أطلقها عليهم مخالفوهم في الفكرة ومعارضوهم في الرأي سواء من أصحاب علي أو من أتباع معاوية. وحين نزلوا حروراء(٢١) سموا بالحرورية وكان عددهم آنذاك حوالي ١٢ ألفا(١) ثم نعتوا بأهل النهروان لما خرجوا من الكوفة إلى النهروان(٢).

---

(١) ٢٢) ابن جرير الطبري، الأمم والملوك، دار القلم بيروت، ص٣٣.

(٢) ٢٣) صالح بن أحمد الصوافي، الإمام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة، مط وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان ١٩٨٣م، ص٢١٢، نقلا عن القلهاني في الكشف والبيان، تح د.سيدة الكاشف، جـ٢، ص٢٥٢.

وفي أثناء ذلك لم تتميز عن غيرها في شكل فرقة مستقلة بآرائها إلا بعد الانفصال الذي حدث بين أهل النهروان، بعد الهزيمة التي حلت بهم على يد أصحاب علي(رضي) وحينئذ ثار البعض ممن بقوا فعزموا على الانتقام بالعنف بينما فضلت جماعة منهم الالتزام بالهدوء والروية والجنوح إلى

المسألة خاصة وأنهم يشكلون أقلية ضعيفة لا يقدرون على الدفاع عن أنفسهم فضلا عن تغيير الوضع لذلك قررت هذه الجماعة السفر إلى البصرة(١). وبانتقال هذه الجماعة وتمركزها في البصرة أصبحت تشكل فريقا تحول"من حزب علني معارض إلى حزب سري يتطلع إلى الوصول إلى السلطة"(٢) وإقامة دولة إسلامية جمهورية.

---

(١) ٢٤) قررت الجماعة المعتدلة ممن تبقى بعد وقعة النهروان الرحيل إلى البصرة تحت زعامة أبي بلال مرداس بن أذية التميمي الذي نصب إماما للشراة فيما بعد.

(٢) ٢٥) عوض محمد خليفات(معاصر) التنظيمات السياسية والإدارية عند الاباضية في مرحلة الكتمان سلطنة عمان، د.تا، ص٤.

(٢٠/١)

وبعد وفاة أبي بلال انتقلت زعامة الفرقة إلى عبدالله بن إباض(١) الذي انفصل عن الخوارج(٢) سنة ٦٥هـ ومكث بالبصرة مع أصحابه بعد خروج المتطرفين منها. يذكر هذه الحادثة عبدالله بن إباض نفسه(٣)" وهكذا بدأت الفترة الأولى من الإباضية التي يمكن تسميتها بمرحلة الكتمان(٤) فيكون– إذن– مكوث غيرها من المتطرفين الخوارج، ومن ثم يمكن اعتبار هذه الحادثة من الناحية التاريخية سببا مباشرا لظهور فرقة الإباضية.

إلا أنه ينبغي الإشارة إلى أن التأسيس الحقيقي للفرقة كان على يد الإمام جابر بن زيد الأزدي العماني(٥) الذي انضم إلى جماعة أبي بلال مرداس بن أدية التميمي بعد مجيئه إلى البصرة(٦). فكان لانضمام جابر إلى هذه الجماعة أثر بالغ في نشأة الإباضية وتحديد معالم أفكارها وآرائها، ولعل أهم شيء يجعل الإمام جابر يميل نحو جماعة بلال موقف هؤلاء من الأوضاع السائدة آنذاك حيث يرون أن القتال بين أتباع العقيدة الإسلامية أمر لا يقبله العقل ولا الدين.

---

(١) ٢٦) كثير من المؤرخين وكتاب المقالات يحسبون إن عبدالله خرج في أيام مروان وأنه قتل في معركة تبالة وهو خطأ تاريخي لأن عبدالله بن اباض الذي تنسب إليه الإباضية توفي في أواخر أيام عبد الملك، ونسب إليه المذهب لأنه كان أكثر ظهور في الميدان السياسي عند الدولة الأموية.

(٢) ٢٧) هم أتباع نافع بن الأزرق– في نظر الاباضية.

(٣) ٢٨) في رسالة كتبها إلى عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ).
(٤) ٢٩) **T. Lewicki, E.I,2e edi tom 3, article: EI- Ibadiyya, p.669.T.**
(٥) ٣٠) حول شخصية الامام جابر، راجع: صالح الصوافي، الامام جابر بن زيد.
(٦) ٣١) عوض محمد خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الاباضية ص٦.

(٢١/١)

ولذلك آثرت هذه الجماعة الدخول في الكتمان(١) على هذا الاختيار اجتهد الإمام جابر في نشر دعوته سرا حتى لا يتعرض لكل ما يؤذيه ويبيد أتباعه، وهذا ما شجع المعتدلين من بقية المحكمة على الالتفاف حوله والاستزادة من علمه، ولم يلبث أن أصبح رئيس الجماعة والمؤسس الحقيقي للحركة(٢) وحظي الإمام بمكانة عالية وثقة واسعة في مجتمع البصرة بفضل ثقله العلمي وموقفه الاعتدالي؛ كما لعب العراق، الحجاج بن يوسف الثقفي(٧٦- ٩٥هـ /٦٩٥- ٧١٤م) ودامت العلاقة بين جابر والحجاج في غاية من الثقة والود مدة طويلة"(٣).

---

(١) ٣٢) حول مفهوم الكتمان، راجع: الفصل الثالث من الباب الثاني من هذا البحث.
(٢) ٣٣) عوض محمد خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الاباضية ص٦. أنظر كذلك: صالح الصوافي، الامام جابر بن زيد ص١٩٧ وانظر: **Lewicki , E.I., p670**
(٣) ٣٤) نقلا عن الشماخي في السير ص٤٧

(٢٢/١)

وفي الحقيقة إن هذه السياسة التي كان الإمام جابر ينتهجها والتي تقوم على مبدأ الاعتدال والابتعاد ما أمكن عن بؤر التوتر وعدم الجهر بالرأي في وجه المخالفين، فضلا عن استعراض الناس، والالتجاء إلى العنف لإثبات رأي أو دفاع عنه. كانت هذه السياسة هي الوسيلة الناجحة للمحافظة على التواجد الإباضي في وسط مفعم بالخلاف كثير الفتن، لا يرحم فيه أصحاب السلطة كل من شذ عن الرأي العام الذي تسيطر عليه الأسرة الأموية- آنذاك- وكان هذا النوع من التعامل السياسي يفرض على الإباضية- ومنظريها بالخصوص- الاحتكاك المباشر مع المخالفين وإظهار الرضى والود، لكن ليس على حساب المبادئ الأساسية للمذهب. وتذكر المصادر أن جابر كان"

يشترك مع الخوارج المتطرفين في مناقشات سياسية"(١) وكان عبدالله بن إباض- من قبله- ينتهج الأسلوب نفسه في سياسة اللين مع الخليفة الأموي عبد الملك عن طريق المراسلات... وقد سجل التاريخ رسالتين لعبدالله بن إباض تدل على العلاقة الودية بينهما"(٢) كما كان عبدالله بن إباض صاحب مناظرات كلامية مع الخوارج.

وجملة القول أن ظهور الإباضية ونشأتها تعود جذورها إلى التجمع العام لطائفة المحكمة في النهروان سنة ٣٧هـ/ ٦٨٥م بعد الذي وقع في وقعة صفين، من تحكيم الحكمين، وقد رفعت هذه الطائفة شعارها" قبلت الدنية ولا حكم إلا الله"(٣).

---

(١) (٣٥) م.س. ص٦٧٠، نقلا عن الشماخي في السير ص٧٦.

(٢) (٣٦) م.س. ص٦٧٠،

(٣) (٣٧) عبدالله السالمي في هامش كتاب: إن لم تعرف الاباضية للشيخ محمد اطفيش، علي يحيى معمر. الاباضية بين الفرق الإسلامية ،مط وهبة ص٣٣٨، ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة، ص ٣١٠، فرحات الجعبيري(معاصر) نظام العزابة عند الاباضية ص١٨، عوض محمد خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الاباضية، ص٥، صالح بن أحمد الصوافي، الإمام جابر بن زيد العماني ص **Lewicki , E.I., p669169**

(٢٣/١)

أما ظهور الإباضية كفرقة مستقلة بآرائها معينة باتباعها وأعلامها، فكان ذلك تدريجا وفي مراحل استلزمت عقدا من الزمن انتهى بإعلان عبدالله بن إباض صراحة رفضه الخروج من البصرة مع المتطرفين من الخوارج وذلك سنة ٦٥هـ فكانت هذه الحادثة الإعلان الرسمي لظهور الإباضية وتميزها عن بقية المذاهب.

ثانيا: أصل التسمية.

يحدد الشيخ محمد ين يوسف اطفيش(١) الصيغة الصحيحة لتسمية أصحاب جابر ين زيد ويقول:" الإباضية بكسر الهمزة على أنها الأصح"(٢)، إلا أننا نجد الأباضية- بفتح الهمزة- تستعمل عادة في المشرق كما في المغرب، وقد استعملها البرادي في كتابه الجواهر المنتقاة(٣). ومهما يكن فالتسمية بالأباضية حادثة أطلقها الأمويون على أصحاب عبدالله بن إباض نسبة إلى أبيه أباض بن تميم اللات بن ثعلبة التميمي، يقول البرادي عن الإباضية" إمامهم عبدالله ونسبوا إلى أبيه

اباض لأنه أعرف من عبدالله وأشهر منه"(٤). لكن الإباضية لا يعتبرون عبدالله إماما لهم ولا يضعونه في مرتبة الإمام جابر بن زيد من حيث العلم والتفقه في الدين، فعبدالله– إذن– "لم يكن إمام مذهب خاص أخذ به أتباعه، وقلدوه فيه...فلم يكن هو من الشيوخ المؤسسين للمذهب"(٥).

أما عن الداعي إلى نسبة المذهب إلى عبدالله ابن اباض دون غيره من مشاهير الاباضية، فلأن عبدالله كان كما يقول سالم السيابي (ق١٤ هـ):" أثقل على زعماء أهل الباطل من الصخرة"(٦) ومما حصل الأمويين على نسبة المذهب إلى عبدالله بن اباض أن الأخير كانت كل

---

(١) ٣٨) أنظر حياة محمد اطفيش في الفصل الرابع من هذا الباب.

(٢) ٣٩) أنظر الشيخ محمد اطفيش، الرسالة الشافية...الجزائر د.تا، ص٤٩

(٣) ٤٠) **Lewicki , E.I., p669**

(٤) ٤١) أبو القاسم البرادي، الجواهري المنتقاة...

(٥) ٤٢) سالم بن حمود السيابي، إزالة الوعثاء عن أتباع الشعثاء تحقيق وشرح د. سيدة إسماعيل كاشف. مط سجل العرب، ص٥٧.

(٦) ٤٣) سالم بن حمود السيابي، طلقات المعهد الرياضي ص٧٧.

مقاصده"لله وفي الله فكانت له بذلك شهرة أضفت عليه لباس زعامة دينية تبعه عليها أهل الحق فأضيفوا إليه وعرفوا به فكان سورهم المنيع من جانب السلطان"(١) وأكثر من ذلك كان عبدالله يمثل همزة وصل بين جماعة الاباضية والسلطة القائمة.

ويمكن القول من ناحية أخرى أن السبب الأول في عدم نسبة المذهب إلى مؤسسه الحقيقي الإمام الفقيه جابر بن زيد أن الظروف فرضت على جابر أن يعمل في الخفاء، بعيدا عن أعين المخالفين، لأن أي أمر يكشف انتماءه للأباضية وولاءه لجماعة أبي بلال مرداس، فأنه يعرضه– لا محالة– إلى خطر يعود عليه وعلى المذهب بالضرر، خاصة وان جابرا يحظى بمكانة محترمة لدى العامل الأموي الحجاج بن يوسف فنظرا لذلك اختار الامام جابر سياسة التأقلم حسب الظروف فهو– من جهة يعمل لإرساء أسس المذهب وتوطيد أركانه سرا عن طريق عقد حلقات دروس لتكوين رجال المذهب الذين سيكلفون بنشر المذهب في بلاد الاسلام. ومن ناحية أخرى لم يكن الامام جابر في معزل عن المجتمع ولم يكن يعيش على هامش الأحداث، بل سعى إلى ربط أواصر الأخوة

الإسلامية مه ممثل الخليفة في البصرة، حتى لا يتعرض إلى العيون المتربصة.

ومن ثم فأن تسمية المذهب بالاباضية لا تغني أن عبدالله بن اباض هو الزعيم الروحي للمذهب وغيره تابع له– كما يدعي بعض المؤرخين وكتاب المقالات، ونستدل على ذلك باجماع المؤرخين الاباضيين" على أن عبدالله بن اباض كان يصدر في كل أقواله وأفعاله عن جابر بن زيد"(٢)، كما كان يفعل أبو بلال مرداس بن أدية.

---

(١) ٤٤) سالم السيابي، إزالة الوعثاء عن أتباع الشعثاء ص٥٧.

(٢) ٤٥) عوض محمد خلسفات، الأصول التاريخية للفرقة الاباضية ص٩.

(٢٥/١)

ومما يثبت هذا أن التسمية بالاباضية لم يخترعها اتباع هذه الفرقة بل أطلقها عليهم مخالفوهم(١) فظل الاباضية يقاومون هذه التسمية، لكنهم "مع مرور الزمن وإصرار مخالفيهم على تسميتهم بهذا الاسم، قبلوا به خاصة وأنهم لم يجدوا فيه ما يؤذيهم أو يسيء إلى سمعتهم"(٢). يقول السيابي تأكيدا لذلك:"وهذه التسمية جاءتنا من مخالفينا فقبلناها غير متبرمين منها...."(٣). فالاباضية إذن– قديما وحديثا يجمعون على أن الاسم الحقيقي لمذهبهم ليس الاباضية وإنما التسمية المفضلة لديهم هي أهل الاستقامة(٤) أو "أهل الدعوة أو جماعة المسلمين أو أهل الاستقامة والحق"(٥)، ويبدو أن هذه التسميات التي اختارها الاباضية لأنفسهم كانت مقصودة يهدف منها تمييز مجموعة خاصة انبثقت من جماعة المحكمة التي تتفق معها الاباضية حول الموقف السياسي الرافض للتحكيم. وبما أن المحكمة انقسمت إلى فرق فإن الاباضية اختارت لنفسها تسمية أهل الدعوة والاستقامة لأمرين:

---

(١) ٤٦) أنظر علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، حلقة– ص٦، وكذلك سالم السيابي، إزالة الوعثاء...ص٤٩.

(٢) ٤٧) عوض محمد خليفات التنظيمات السياسية والإدارية عند الاباضية في مرحلة الكتمان، مسقط، سلطنة عمان ،د.تا، ص٥.

(٣) ٤٨) سالم السيابي، إزالة الوعثاء ص٤٩.

(٤) ٤٩) نور الدين السالمي في هامش: ان لم تعرف الاباضية لمحمد اطفيش ص٢٦.
(٥) ٥٠) عوض محمد خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الاباضية، ص٥.

(٢٦/١)

الأول: لا ينبغي أن تكون التسمية بانتساب جماعة معينة إلى شخص معين، فالأصل في الانتساب أن يكون للدين الذي وحد الشعوب وأذاب الطائفية في أمة واحدة هي أمة الإسلام، وعلى هذا يؤكد الاباضية بأنهم لا يتمذهبون مذهبا غير الحق(١) حتى" إذا جارى الاباضية المؤرخين وانتسبوا إلى عبدالله بن اباض واتخذوا لهم اسما كسائر الفرق فلا يعني أنهم يقلدون الرجال ويقدسون أقوالهم، انما أمامهم الحق الذي لا يهتدون يغير هدية ولا يقلدون سواه هو محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ليس لغيره حق في الامامة إلا بالأسوة الحسنة"(٢).
الثاني: التسمية بأهل الاستقامة تشير إلى تخصيص جماعة دون غيرها تتميز بالمحافظة على تعاليم الشريعة التي لا تقبل التبديل والتغيير. والالتزام بأصول العقيدة الإسلامية، إذن فنعت الاباضية بهذه الصفة يقتضي وجود فرق أخرى حادث عن سواء السبيل، ولم يلتزم بالمنهج الذي يرتضيه الله تعالى، أو- على الأقل- لا تتفق مع الاباضية حول مسائل تتعلق بالأصول فضلا عن الفروع. وترمي الاباضية من وراء ذلك أن تتميز- خاصة- عن الخوارج الذين أحدثوا ما لم يكن من الشرع.
ومهما يكن من أمر التسمية فان العبرة بالمبادئ ومدى حرص الرجال بالالتزام بالأصول والعمل بإخلاص وفق ما يرتضيه الخالق، وما كان الإيمان يوما بالانتساب والتمني.
ثالثا: الإباضية في المشرق.

---

(١) ٥١) سالم السيابي، إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، ص٤٩.
(٢) ٥٢)علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، الحلقة ١، لله ٦.

(٢٧/١)

إذا سجلنا تاريخ نشأة الاباضية بظهور عبدالله بن اباض على الساحة السياسية في البصرة وبالتحديد في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان(٦٥-٨٦هـ) فأننا نستطيع رصد الحركة الاباضية في المشرق انطلاقا من البصرة على يد الامام جابر بن زيد الذي اتبع سياسة عبدالله بن اباض تجاه السلطة فكانت الفترة الأولى من زعامة جابر ذات مردود جيد لصالح الاباضية لدخوله

في علاقات سلمية مع الحجاج- بواسطة زيد بن أبي مسلمة كاتب الحجاج(١) واستطاع أثناء ذلك أن ينشط في نشر الدعوة سرا، وفي مأمن من مكر السلطة. وانطلق في ذلك أولا من قبيلته (أزد) العمانية، فوجه إليها كل عنايته، وبحكم مركزه بين أقاربه فأنه لم يتلق صعوبة في إقناعهم، ولدرايته الجيدة بأبناء عمومته وبهذا انضم إليه عدد وفير كان لهم الفضل في نقل تعاليم المذهب إلى أماكن عديدة من الجزيرة العربية.

---

(١) ٥٣)نقلا عن الشماخي في السير، ص.ص٧١-٧٤ والمبرد في الكامل ص٥٦.

(٢٨/١)

ومن أسباب نجاح جابر في دعوته ما كان يتمتع به من مكانة علمية ودراية واسعة بعلوم القرآن الكريم والحديث وحتى" شهد له الكثير من أهل العلم بالضبط والفطانة والصدق والأمانة فنقلوا آثاره في مؤلفاتهم واحتجوا بأقواله في أحكامهم" (١)، وقد تتلمذ عليه مشائخ كثيرون عرفوا فيما بعد بعلماء السنة الأمر الذي جعل ياقوت الحموي يعده من أئمة السنة(٢) ومن أبرز تلاميذه وأكثرهم علما أبو عبيد مسلم بن أبي كريمة(٣) الذي انتهت إليه رئاسة المذهب بعد وفاة جابر(٤) الذي وطد أركان الدعوة الاباضية حتى أصبحت حركة سياسية شاملة اجتذبت عناصر من قبائل وأجناس متعددة(٥). فكان على الزعيم الجديد أن يجتهد ما استطاع للمحافظة والدفاع عن المذهب وان يسعى في الوقت نفسه لنشر الدعوة في كل جهة من البلاد الإسلامية وكل ذلك من دون إثارة غضب السلطة أو التعرض للمخالفين بأذى.
وبالفعل، استطاع أبو عبيدة أن يشكل حكومة سرية تتكون من خيرة المشائخ ورجال العلم منهم: جعفر بن السماك وصحار العبيدي، من الطبقة الثانية(٥٠-١٥٠هـ) وضمام بن السائب وأبو نوح، من الطبقة الثالثة(١٠٠-١٥٠هـ).

---

(١) ٥٤) سالم السيابي، إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، ص١٥.

(٢) ٥٥) ياقوت الحموي معجم البلدان، مجلد٢، ص٢٤٣.

(٣) ٥٦) حول شخصية الامام أبو عبيدة بن مسلم راجع سير الشماخي ص٨٣ وأنظر طبقات الدرجيني جـ١ وجـ٢، البرادي الجواهر المنتقاة.

(٤) ٥٧)اختلفت الروايات حول تاريخ وفاة الامام جابر والغالب بين سنة ٩٣هـ و ٩٦هـ أو ١٠٣

هو الأرجح سنة ٩٣هـ، راجع الجواهر المنتقاة ص١٥٥، بواب بن سلام، شرائع الدين(مخ) ص٣٨، سير الشماخي ص٧٧.

(٥) ٥٨)عوض خليفات، التنظيمات السياسية والإدارية عند الاباضية في مرحلة الكتمان ص٥.

(٢٩/١)

ومن أجل ضمان استمرارية الدعوة الاباضية في مأمن من الفتن وضع أبو عبيدة تنظيما خاصا للمجالس السرية تختلف باختلاف مهامها وبرامج عملها، وترتيب طبقاتها ويمكن أن نصنف هذه المجالس إلى ثلاثة أنواع(١).

أ) المجالس العامة: تضم كل شخص ينتمي إلى أهل الدعوة الاباضية تعقد هذه المجالس عادة في بيت أحد المشائخ أو بيوت العجائز، حيث يطمئن المجتمعون، ويبتعدون ما أمكن عن أماكن الريبة، وبعيدا عن عيون السلطة. ومهمة هذه المجالس هي نشر الدعوة عن طريق المواعظ والدروس التي يلقيها المشائخ حول عقيدة المذهب وتعاليمه، وقد يكلف المجتمعون بأوامر يجب تنفيذها.

ب) مجالس الأعيان: وهي خاصة بعلماء الدعوة وزعمائها يجتمعون في سرية تامة ويبحثون في شؤون الدعوة وقضايا السياسة ودراسة الأوضاع، ثم يقررون خطة العمل التي يجب الالتزام بها، وتعتبر هذه المجالس بمثابة الهيئة العليا لحركة سرية تدرس وتخطط وتنظم وتقرر ثم تشرف على تنفيذ التوصيات.

ج) مجالس العلم: وهي حلقات للدراسة، يحضرها طلبة العلم الذين يفدون إلى البصرة من جهات مختلفة، ومن جنسيات متعددة، يتلقون العلم وأصول العقيدة ويتدربون على منهجية الدعوة وكل ذلك عن الامام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة.

---

(١) ٥٩) للمزيد من التفاصيل حول تنظيمات المجالس راجع عوض محمد خليفات في التنظيمات السياسية والإدارية عند الاباضية...ص٦-٧، وانظر الأصول التاريخية للفرقة الاباضية، للمؤلف نفسه، ص.ص٣٦-٤١.

(٣٠/١)

وكانت تعقد هذه الحلقات في سرداب بناحية البصرة(١) لا يعرفه إلا رواده من المشائخ والعلماء والدعاة الاباضيين المعروفين بحملة العلم. واستطاع أبو عبيدة أن يجعل من البصرة مركزا لنشر الدعوة الاباضية فمنها كان (حملة العلم) يتخرجون ويتوزعون في كل أنحاء البلاد الإسلامية وكان هؤلاء تربطهم بالمركز علاقات قوية حتى انه اذا استجد أمر واستعصى النظر فيه عادوا بالقضية إلى مشائخ البصرة.

ولما توطدت دعائم الحركة واتسعت ميادين نشاطها اقتضى الحال إن يتخذ الامام أبو عبيدة مستشارا له فعين حاجب الطائي مساعدا له" فكان مسؤولا عن الشؤون العسكرية والمالية والدعوة خارج البصرة"(٢).

---

(١) ٦٠) أنظر أبو زكريا يحيى بن أبي بكر(ت. ٤٧١) كتاب سير الأئمة وأخبارهم تح: إسماعيل العربي، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٢ ص٥٥-٦٥، الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب تح، إبراهيم طلاي ج٢، ص٢١، الشماخي السير، ص١٤٢، علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ حلقة٣، ص.ص ١٣-١٥.

(٢) ٦١) عوض خليفات ،الأصول التاريخية الاباضية، ص٤١.

(٣١/١)

وبفضل السياسة الرشيدة المبنية على مبدأ اللين والتسامح- وفي الوقت نفسه- العمل في سرية ويجد لإرساء دعائم الدعوة، تمكن أبو عبيدة أن يكسب ود السلطة ويحظى بثقة لدى الحكام الأمويين إلا أن العلاقة بين السلطة الحاكمة وجماعة الاباضية لم تكن دائما في حالة جيدة، فكثيرا ما شابها الحذر والتخوف من الجانبين وخاصة عندما يعين عامل جديد على البصرة أو يستلم خليفة جديد مقاليد السلطة المركزية، فيسعى الاباضية مبادرين بإرسال الوفود إلى السلطة بقصد إيجاد سبل التفاهم والتقارب، وهذا ما حدث- مثلا- في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز(٩٩-١٠١هـ) فقد أرسل إليه أبو عبيدة حينما اعتلى العرش وفدا بقيادة جعفر بن السماك وسالم الهلالي(الطبقة الثاني ٥٠-١٠٠هـ) وقد تكرر إرسال هذا الوفد لدى الخليفة عمر عندما توفي ولده عبد الملك بن عمر(١)

وفي عهد يزيد بن عبد الملك(١٠١-١٠٥هـ) بظهور فرقة متطرفة في الأوساط الاباضية، تنادي بالثورة ضد الحكم فتصدى لها الجيش الأموي وقضى عليها في معركة العقر سنة ١٠٢هـ وقتل

فيها يزيد بن المهلب– زعيم الثورة–(٢). فكانت هذه الحادثة بمثابة نقطة تحول حاسمة في سياسة الحركة الاباضية، فقد تأثر المهالبة وقادة الأزد بما يقع، فغضب الاباضية على العمال الأمويين، وطالبوا بضرورة الانتقام وتغيير الوضع يجعل حد للحكم الأموي ولسياسة القمع التي ينتجها ولاة البصرة.

---

(١) ٦٢) **T. Lewicki , En, Is., p671**
نقلا عن الشماخي في السير ص.ص ٧٩–٨٠، وأبي الحسن في السير العمانية ص١١١,٦٦٦,٦٦٧.
(٢) ٦٣) عوض خليفات ، الأصول التاريخية للفرقة الاباضية ص٤٣–٤٤.

(٣٢/١)

وأمام هذه الأوضاع كان الامام أبو عبيدة يجتهد في تهدئة الثوار ويدعو إلى التريث والتزام الهدوء بل"كان معارضا لأي تصرف مباشرة"(١) لتمسكه بمبدأ اللين وكسب الخلفاء إلى جانبه ومع كل ذلك وجد الامام نفسه ملزما بإعادة النظر في سياسة الحركة، وشرع في التفكير العميق إيجاد مخرج مناسب يتماشى والتعاليم الأساسية للإباضية، وبعد استشارة المشائخ وزعماء المذهب اضطر إلى تغيير موقفه خوفا من وقوع انقسام داخل صفوف الاباضية، علما أن الأغلبية كانوا يطالبون بضرورة الانتقال من مرحلة الكتمان إلى مرحلة الظهور(٢) . إلا أن ذلك لم يكن بالأمر الهين، فالمسألة تتطلب الكثير من التعقل والاستعداد الجيد، خاصة وان الامام أبو عبيدة يرى أن القضية يتوقف عليها مصير الحركة الاباضية فهو يعتبر جيدا بما آلت إليه الحركات الخارجية المتطرفة من تشريد وإبادة وبناء على ذلك تبني وجهة نظر معقولة تضمن له تحقيق دولة إباضية في حالة الظهور وبأقل كلفة وتتلخص نظريته فيما يلي:

١– لا يمكن "أن يخرج الاباضية من البصرة لإقامة إمامة مستقلة في ضاحية من ضواحي البصرة كما فعل نافع بن الأزرق وأتباعه"(٣)، لأن ذلك يؤدي إلى صراع مع السلطة الحاكمة، وإمكانيات الاباضية غير كافية لرد العدو والدفاع عن النفس.

٢– يستحسن البدء– أولا– بإقامة حكومة مؤقتة سرية داخل البصرة تتولى تنظيم الحركة الاباضية داخل وخارج العراق ومن مهامها الأساسية تكوين الدعاة تكوينا دينيا واجتماعيا وسياسيا ثم تكليفهم بإقامة دولة اباضية في جهات مختلفة من الوطن الإسلامي، كبداية لإقامة إمامة اباضية

شاملة على أنقاض الدولة الأموية.

---

(١) ٦٤) **T. Lewicki , E. Is., p670**
(٢) ٦٥) م.س، ص٦٧١، نقلا عن الشماخي في السير ص٨٣.
(٣) ٦٦) م.س. ص٦٧١.

(٣٣/١)

وبفضل هذه السياسة خرجت الحركة الاباضية من البصرة لتنتشر في أرجاء العالم الإسلامي فوصلت إلى الكوفة والموصل وبقية أنحاء العراق، ودخلت مكة والمدينة ووسط الحجاز ثم اتجهت نحو الجنوب لتستقر في اليمن وحضرموت.
وفي عمان وجدت الدعوة الاباضية تربة صالحة لتنمو وتزدهر، الأمر الذي أتاح لعمان أن يلعب دورا هاما في تاريخ الاباضية حتى قيل:" بدأ العلم بالمدينة وفرخ بالبصرة وطار إلى عمان"(١) وهذا ما أكده التاريخ حيث أصبحت الديار العمانية المركز الروحي للإشعاع الاباضي خاصة بعد انتقال مشائخ البصرة إليها كما يعود الفضل إلى عمان في انتقال الاباضية نحو الهند والصين عبر جزيرة ابن كعوان (كيشم)(٢). كما انتشرت الدعوة كذلك في خرسان بالفرس عن طريق حملات العلم التي وجهها أبو عبيدة إلى تلك المناطق.
وعلى غرار انتشار الاباضية جنوبا وشرقا فقد واصلت سيرها نحو المغرب عن طريق مصر التي أصبحت هي الأخرى مركزا مهما للدعوة الاباضية.
رابعا: الإباضية في المغرب

---

(١) ٦٧) نور الدين السالمي، اللمع، ص١٨٣.
(٢) ٦٨) توجد بالقرب من سواحل كيرمان مقابل رأس مسندم.

(٣٤/١)

يقول الامام عبد الرحمن بن رستم(١):" أول من جاء يطلب مذهب الاباضية ونحن بالقيروان– أفريقيا– سلامة بن سعد(٢) قدم علينا من أرض البصرة ومعه عكرمة مولى ابن العباس(ت ١٠٧هـ)...فسلامة يدعو إلى مذهب الاباضية وعكرمة يدعو إلى مذهب الصفرية"(٣) ويبدوا أن

مجيء هذين الرجلين إلى المغرب كان بدافع نشر الدعوة، ولا يكون ذلك إلا ضمن خطة مدروسة وضعها الامام أبو عبيدة فقد كان يرسل "بعض الدعاة لاستطلاع أحوال الناس في المغرب ومعرفة اتجاهاتهم ودراسة عاداتهم وتقاليدهم وطرق معيشتهم ومقدار تطورهم الفكري والحضاري ودرجة ولائهم للسلطة الحاكمة"(٤) ليسهل على الامام اختيار الأشخاص الذين يستطيعون تحمل أعباء الدعوة وسياسة الرعية، وتنفيذ أحكام الله بالعدل، وتحقيق المساواة بين الناس دون اعتبار للنسب أو الجنس أو اللون، فوقع المأمول ونجح سلامة بن سعد في مهمته بإيجادها أرضا بكرا وشعبا مطواعا فنالت دعوته إقبالا واسعا" ولم يكد يمضي على دخوله إلى المغرب عشرون سنة حتى تكونت جماعة معتبرة من الاباضيين في طرابلس يتزعمها رجل يدعى: عبدالله بن مسعود التجيبي(٥) الذي آزراته قبيلته هوارة التي اعتنقت المذهب الاباضي ثم تبعتها زنانة في شرق طرابلس، ونفوسة في الجبل- الذي يحمل إلى اليوم اسم جبل نفوسة- وبفضل هذه القبائل البربرية انتشر المذهب الاباضي في شمال أفريقيا.

---

(١) ٦٩) مؤسس الدولة الرستمية في تيهرت سنة ١٦٠هـ، أنظر الدرجيني طبقات المغرب جـ١ ص٢١، تاريخ أبي زكريا تح إسماعيل العربي ص٧١.

(٢) ٧٠) شيخ من البصرة ظهر في مطلع ق ٢هـ يالقيروان.

(٣) ٧١) الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب جـ١ ص١١، الشماخي ،السير ص٩٨.

(٤) ٧٢) عوض خليفات، التنظيمات السياسية والإدارية عند الاباضية، ص٧.

(٥) ٧٣) إسماعيل العربي في مقدمة تحقيقه لكتاب سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر، ط٢، دار الغرب الإسلامي بيروت ص١٦

(٣٥/١)

وبعد مقتل عبدالله بن مسعود التجيبي على يد عامل طرابلس(١) اجتمع أهل الحق والاستقامة" لما أنسوا من أنفسهم القوة والمنعة وانتخبوا الامام الحارث الكندي(٢).... فقام بالأمر وساس البلاد خير سياسة(.....) فكان أول إمام بويع بالمغرب هذا الامام"(٣) لكن بعض الدارسين المعاصرين(٤) يرون أن الزعامة كانت مشتركة بين الحارث وصاحبه عبد الجبار بن قيس المرادي، ووقع بينهما خلاف حول الحكم حتى انتهى بهما الأمر إلى القتال فطعن أحدهما الآخر.

---

(١) ٧٤) م.س،ص١٦، نقلا عن ابن الحكيم، فتوح مصر ص٢٢٤.

(٢) ٧٥) ويدعى الحارث بن تليد الحضرمي، وجد قتيلا مع صاحبه عبد الجبار بن قيس المرادي وسيف أحدهما في رقبة الآخر سنة١٣١ أو ١٣٢هـ، وحول هذه المسألة نشأ خلاف فقهي- عقيدي تنبى إشكالية على الولاية المعينة هل تنتقل الى الوقوف أم لا؟ واليقين هل يدفعه الشك أو لا يدفعه الا اليقين، راجع طبقات الدرجيني تح إبراهيم طلاي، مط قسطينية الجزائر د.تا. جـ١، ص٢٤-٢٥.

(٣) ٧٦) أبو اسحاق إبراهيم اطفيش في هامش كتاب الوضع لأبي زكريا يحيى بن أبي الخير، مط الفجالة الجديدة، القاهرة د.تا.ص٨.

(٤) ٧٧) إسماعيل العربي في مقدمة كتاب سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكريا ص١٦ وأنظر كذلك:

T .Lewicki, En .Is. p. 677

Pierre Cuperly, Introduction a I'etude de I'Idadisme et de sa theologie O.PU .Alger. 1984, p.p 293-294

لكن المصادر الاباضية تنفي هذا القول، وتؤكد أن الامامة كانت للحارث بينما تولى عبد الجبار مهمة القضاء(١) أما قصة موتهما فهي مسألة غامضة لم يستطع المؤرخون الوصول إلى معرفة الحقيقة وتفسير ما حدث. وإن غلب على ظن الاباضية إن العملية كانت من تدبير الأعداء لإثارة الخلاف بين أتباع المذهب وتفكيك وحدتهم(٢) وهذا ما يؤكده ابن خلدون في تاريخه، ويذكر أن مقتل الحارث وعبد الجبار كان على يد عبد الرحمن بن حبيب(٣) الذي زحف إليهما سنة ١٣١هـ في قتل البربر(٤).

بعد موت الحارث وعبد الجبار تولى إسماعيل بن زياد النفوسي الذي مات بعد ولايته مباشرة سنة ١٣٢هـ، وبموته انتهت الدولة الاباضية وحافظوا على أصول المذهب.

---

(١) ٧٨) أبو اسحاق إبراهيم اطفيش في تقديمه لكتاب الوضع لأبي زكريا. ص٨.

(٢) ٧٩) م.س، الصفحة نفسها، وأنظر الدرجيني، الطبقات ج١ ص٢٤.

(٣) ٨٠) عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن. عامل جعفر بن المنصور في أفريقيا قتله عبد الملك بن جعفر سنة ١٤٠هـ.

(٤) ٨١) ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر...ج٦. ص٢٢٣

(٣٧/١)

وفي هذه الأثناء كانت البعثة العلمية على وشك الرجوع من المشرق، أما عن هذه البعثة فتتكون من خمسة رجال اختيروا للسفر إلى البصرة والالتحاق بمعهد أبي عبيدة. ومما يلاحظ في هذه الجماعة أنها لم تكن خاصة لقبيلة دون أخرى، أو جنس دون غيره بل تضم عناصر مختلفة تجمع بين العربي والبربري والفارسي، كيف لا؟ والإسلام أذاب هذه العناصر في أمة واحدة قائدها الرسول ودستورها القرآن والسنة. وأعضاء الجماعة هم على التوالي: أبو درارا إسماعيل بن درار الغدمسي(من ليبيا– حليا–) وأبو درار القبلي النفزاوي (من مدينة نفزاوة جنوب تونس) وعاصم السدراتي(من سدراته بالقرب من وارجلان جنوب الجزائر، وعبد الرحمن بن رستم (أصله فارسي أقام في القيروان) وأخيرا أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعفاري (عربي من اليمن). اتصل هؤلاء بالإمام أبي عبيدة، ومكثوا في حضرته أعواما عديدة يتلقون العلم وأصول العقيدة ومنهج الدعوة، وبعد استكمالهم الدراسة أمرهم الامام بالعودة إلى وطنهم وأصدر لهم تعليمات بتكوين إمامة اباضية مستقلة في طرابلس.

(٣٨/١)

وهناك في الغرب اجتهد أعضاء البعثة في تبليغ أمانة الدعوة، وعملوا كل ما في وسعهم لتحقيق أهدافهم ونشر مبادئهم وقد ركزوا في ذلك– خصوصا على "المبادئ العامة البسيطة التي يفهمها عامة الناس... مثل المساواة في الحقوق والواجبات بين المسلمين، وأحقية كل مسلم في الوصول إلى أعلى مراتب السلطة، على أن هذا الأمر ليس مقصورا على قريش ولا على العرب وأعلنوا أنهم سيطبقون العدل والحق... ولقيت هذه الشعارات تجاوبا سريعا لدى البربر الذين اشتكوا طويلا من ظلم الولاة ومن فقدان العدل والمساواة مع أقرانهم من العرب المسلمين"(١) وكانت النتيجة أن تكللت مجهودات هؤلاء الدعاة بإعلانهم الدخول في مرحلة الظهور فأسسوا إمامة مستقلة رئيسها أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح الذي أخذ زمام الأمور بجد، حتى تمكن الاباضية بقيادته الاستيلاء على مدينة طرابلس بانقلاب أبيض، لم تسل فيه قطرة دم، ثم واصل أبو الخطاب في توسيع رقعة نفوذه، لتشمل جزيرة جربة، ومدينة القيروان التي كانت تحت سلطة الصفرية من قبيلة ورفجومة، وبهذا تكونت دولة اباضية كبرى شملت ليبيا وتونس وشرق الجزائر(٢)

---

(١) ٨٢) عوض خليفات، التنظيمات السياسية والإدارية عند الاباضية ،ص٩.

(٢) ٨٣) للمزيد من التفاصيل حول نشأة الخطابية راجع: الدرجيني طبقات المشائخ ج١، ص٢٤. أبو زكريا، سير الأئمة وأخبارهم تح إسماعيل العربي، ص.ص٥٧-٦٥، الشماخي، كتاب السير، ص١٣١. وأنظر

Aicha Daddi- Addoun, Sociologie et histoire des Algeriens Ibadites, Im, EL-Arabia, Ghardaia, 1977, P.103, T. Lewicki E.L.P 675, Gerard Dangel L'Imamat Ibadite de Tahert p.37.

(٣٩/١)

إلا أن القدر لم يكتب لهذه الدولة أن تعيش أكثر من أربع سنين، فقد تصدى لها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور(٩٥-١٥٨هـ)(١) وبعث بجيش للقضاء عليها تحت قيادة محمد بن الأشعث(٢) الذي تقابل مع أبي الخطاب وأصحابه (بموضع يقال له "تورغا" قرب مدينة طرابلس(٣)، وهناك أستشهد أبو الخطاب ومن معه من أصحابه، ولما بلغ الخبر عبد الرحمن بن رستم(٤) وهو في طريقه بمدد من الرجال إلى أبي الخطاب- تفرق من معه فتوجه برفقة ابنه عبد الوهاب إلى بلاد المغرب الأوسط، وهناك اعتصم مع من اجتمع حوله من قبائل البربر بجبل "سوفجج" بالقرب من مدينة تاهرت(٥) ولما كانت سنة ١٦٠هـ اجتمع أعيان القبائل الاباضية بعد أن قويت شوكتهم وأنسو من أنفسهم القوة والطاقة" فأرادوا التولية فنظروا في عامة القبائل فوجدوا في كل قبيلة رأسا أو رأسين كل يصلحون للإمارة فاشتوروا فيما بينهم.....فاتفق رأيهم جميعا على تولية عبد الرحمن رستم ومبايعته، فبايعوه على الامامة..."(٦).

---

(١) ٨٤) هو عبدالله بن محمد بن علي بن عباس اشتهر بحبه للفلسفة والعلوم الفقهية والآداب. نقل عاصمة العباسيين الى بغداد راجع الكامل لابن أثير ج٥ ص١٧٢.

(٢) ٨٥) محمد بن الأشعث الخزاعي، أكبر قواد العباسيين في عهد أبي جعفر المنصور ت.١٤٨هـ في غزوة للروم. راجع سيرته في الكامل للمبرد ج٥، ص٣١٧.

(٣) ٨٦) أبو زكريا يحيى، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تح إسماعيل العربي ص٨٢.

(٤) ٨٧) كان عبد الرحمن بن رستم حينئذ عامل أبي الخطاب في القيروان.

(٥) ٨٨) يذكر الدرجيني في الطبقات ج١، ان الإمام عبد الرحمن بن رستم لما تحصن بجبل سوفجج لحقه هناك ستون شيخا من شيوخ الاباضية من طرابلس.

(٦) ٨٩) أبو زكريا، سير الأئمة وأخبارهم، تح إسماعيل العربي، ص.ص٨٢-٨٣.

(٤٠/١)

وكانوا قد شرعوا في بناء تاهرت ليتخذوها عاصمة لدولتهم(١) وبالفعل أصبحت مركزا مهما للنشاط الاباضي في شمال أفريقيا حتى سميت بأم العسكر)(٢).

ازدهرت الحياة واستقرت الأوضاع في عهد الرستميين، "وبلغ المذهب الاباضي أوج عظمته العلمية والسياسية حيث كان أساسا لحضارة لم يشهد المغرب الأوسط مثيلا لها من قبل(٣)

---

(١) ٩٠) يذكر ابن خلدون عبد الرحمن بن رستم بويع بالخلافة سنة ١٤٤هـ ثم شرع في بناء مدينة تاهرت لينصب عليها كرسي الإمارة، راجع ابن خلدون كتاب العبر ج٦، ص٢٤٧ وهذا لما أوردته المصادر الاباضية التي تؤكد أن عبد الرحمن بويع سنة١٦٠ أو ١٦٢هـ وبعد ان تم بناء تاهرت فتأمل؟

(٢) ٩١) تاريخ أبي زكريا، تح إسماعيل العربي ص٨٤.

(٣) ٩٢) إسماعيل العربي في مقدمة تحقيقه لكتاب تاريخ أبي زكريا، ص١٩، وللمزيد من التفاصيل حول تاريخ الدولة الرستمية راجع: تاريخ أبي الربيع الوسياني، ابن الصغير، تاريخ الأئمة الرستميين، الدرجيني طبقات المشائخ بالمغرب ج١، ص٢١ وما بعدها، بواب بن سلام، شرائع الدين مخ، باحاز الدولة الرستمية.

T. Lewicki E.L. P.p 675-676, Gerard Dangel L'Imamat Ibadite de Tahert p.37.

Aicha Daddi- Addoun, Sociologie et histoire des Algeriens Ibadites, p.p 113-140.

(٤١/١)

غير أن الأحداث تغيرت فدخلت الدولة الرستمية في طورها الثاني، ولم يكن بأحسن مما يريده الاباضية. فقد ظهرت فيه بوادر الضعف والانقسام، خاصة بعد احتلال الأغالبة الشريط الفاصل بين طرابلس وتيهرت سنة ٢٢٤هـ. وما أحدثه النكار(١) والواصلية(٢) من شقاق وتمرد على السلطة بالإضافة إلى تحريات القبائل المعارضة للنظام، ومطالبة العمال بالاستقلال عن السلطة المركزية، وما نتج عن الخلاف العقائدي من نزاع وصراع كل ذلك ساهم في أضعاف الدولة وفقد الأئمة القوة على التحكيم في الأوضاع، ثم كانت معركة "مانو" سنة ٢٨٣هـ بمثابة الضربة القاضية للنظام

الرستمي، فلم تستطع تيهرت سنة ٢٩٦هـ – ٩٠٩م أن تقوى على رد الأعداء فسقطت أمام جيوش أبي عبدالله الشيعي، وفر أبو يوسف يعقوب– آخر الأئمة الرستميين– مع أفراد أسرته وأعيان دولته إلى سدراته قرب وارجلان، وهناك حاول الاباضية تأسيس دولة جديدة، لكن الظروف لم تكن مناسبة ولم تتحقق هذه الأمنية منذ ذلك التاريخ. وبهذا دخل الاباضية في مرحلة الكتمان، من جديد، وهي الوسيلة الفضلى للمحافظة على كيانهم، وبلوغ الأهداف العليا والمتمثلة في نشر الدعوة– ولو سرا– وتحقيق الوحدة بين أتباع المذهب وتخفيف حدة التوتر بينهم وبين مخالفيهم من السنيين والشيعة ولأجل ذلك اعتمد الاباضية على أمرين في طور الكتمان.

---

(١) ٩٣) النكار أو النكارية، جماعة أنكرت إمامة عبد الوهاب سنة ١٧١هـ يتزعمها يزيد بن فندين.

(٢) ٩٤) الواصلية، أتباع واصل بن عطاء الغزال، رأس المعتزلة أبعده الحسن البصري عن مجلسه لما علم موقفه من مرتكب الكبيرة، وهو ان الفاسق من هذه الأمة لا هو مؤمن ولا هو كافر فيجعل الفسق بين منزلتي الكفر والايمان راجع: عبد القاهر البغدادي(ت.٤٢٩هـ) الفرق بين الفرق الناجية منهم تح لجنة إحياء التراث العربي ط٥ دار الآفاق بيروت، ١٩٨٢م.

أولا: تنظيم هيئة خاصة بمثابة السلطة، تقوم مقام الامام أو الخليفة، في مرحلة الظهور، وتتكون هذه الهيئة من العلماء وأعيان القبائل تشرف على هيئات أخرى تفرعت عنها تدعى بمجالس العزابة(١) وتتواجد هذه الأخيرة في كل تجمع للإباضية وإليها يرجع النظر في كل الأمور التي تخص الاباضية سواء في الحياة الدينية أو الاجتماعية. ولا يزال هذا التنظيم قائما على سوقه، معمولا به لدى اباضية الجزائر في وادي ميزاب. وقد اهتدى الاباضية إلى وضع هذا التنظيم في بداية القرن الخامس الهجري على يد الشيخ أبي عبدالله محمد ابن بكر(٢).

ثانيا: الابتعاد– ما أمكن– عن مواطن المخالفين والالتجاء إلى الأماكن النائية التي يقل ارتيادها فالاباضية يعتقدون أنه بانزوائهم بعيدا عن أعين الأعداء يستطيعون حفظ مذهبهم وكيانهم وتحقق وحدتهم وتماسك جماعتهم. فاعتمادا على ذلك شرع قسم من الاباضية يغادرون وارجلان و"واد ريغ" ليستقروا في وادي ميزاب حيث أسسوا هنالك مدنا في ظروف طبيعية قاسية، ولا يزالون في تلك المناطق إلى اليوم.

أما اباضية طرابلس فقد التجأوا إلى جبل نفوسة ومدينة زوارة الواقعة على الشاطئ الغربي لليبيا وقسم آخر منهم استقر في جزيرة جربة التونسية(٣) حيث لا يزالون حتى اليوم.

---

(١) ٩٥) حول العزابة راجع: (الكتمان في الفصل الثاني من الباب الثاني).

(٢) ٩٦) عاش في القرن٥هـ، أخذ العلم عن شيخه أبي نوح سعيد بن رنغيل القنطراري. وانتهت إليه مشيخه الاباضية بوادر ريغ وإليه يعود الفضل في انتشار المذهب الاباضي في واد ميزاب. في أوائل ق ٥هـ/١١م.

(٣) ٩٧) T. Lewicki E.L. P.p 677

(٤٣/١)

وتجدر الإشارة ونحن في صدد الحديث عن الاباضية في المغرب، إلى دور هذه الفرقة الإسلامية وإسهامها في نشر الاسلام بين أهالي السودان(١) عن طريق التجارة، وقد شهدت الفترة الرستمية بشكل خاص نموا خاصا في نمو العلاقات الاقتصادية بين الاباضيين والبلدان المتاخمة للدولة الرستمية جنوبا. فقد أوفد الامام أفلح بن عبد الوهاب(٢٠٥-٢٨٥هـ) سفيرا له إلى بلاط ملك غانة أو " قاو"(٢) كما تشير المصادر الاباضية إلى أن عددا من التجار الاباضيين كانوا ينتقلون بين الجريد وغانة خلال القرن الرابع والخامس الهجري(٣)، وهذا مما يؤكد إسهام الاباضية في خدمة الإسلام بشمال أفريقيا.

الفصل الثاني

الأصول العقيدية للمذهب الاباضي

أولا: الأصول التسعة

١ – التوحيد

٢ – العدل

٣– القضاء والقدر

٤– الولاية والبراءة

٥– الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٦– الوعد والوعيد

٧– المنزلة بين المنزلتين

٨- لا منزلة بين المنزلتين

٩- الأسماء والأحكام

(مفهوم الايمان والاسلام والدين)

ثانيا: بعض المسائل الخلافية

١- نفي الرؤية

٢- مسألة الخلود

٣- خلق القرآن

٤- حكم الاباضية على مخالفيهم ومن أحدث في الدين

٥- رأي الاباضية في الصحابة

لا يختلف اثنان في إن الاباضية فرقة إسلامية لا تحيد أصولها العقيدية عن النبع الصافي للشريعة الإسلامية، الكتاب والسنة. لكن الخلاف قد يقع حول بعض الآراء في المسائل الخلافية بين المذاهب. فيكثر الجدل حول هذه الآراء من حيث صحتها أو فسادها، ومن حيث قربها أو بعدها عن أصول العقيدة الإسلامية.

---

(١) ٩٨) يعني بالسودان جنوب الجزائر، وتشمل موريطانيا والنيجر ومالي والسينغال وغانا وفولتا العليا.

(٢) ٩٩) **T. Lewicki E.L. P.p 678**

(٣) ١٠٠ م.س. ص٦٧٨.

(٤٤/١)

وحيث إن الفرق انما يتميز بعضها عن بعض بما تحدده من آراء اجتهادية تختلف باختلاف وجهات النظر لدى كل فرقة، فانه من تمام التعريف بالمذهب الاباضي يحسن بنا أن نعرض آراء هذه الفرقة في المسائل الإلهية والإنسانية معتمدين على ما توفر لدينا من مصادر(١).

أولا: الأصول التسعة:

---

(١) ١) الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري(ت ١٧٠هـ)، الجامع الصحيح، نا دار الفتح للطباعة والنشر بيروت ومكتبة الاستقامة، مسقط عمان، مط العمومية دمشق، ١رمضان ١٣٨٨هـ،

ج١ ص١٩-٢٠، ج٣ ص٢٦-٢٩، أبو زكريا يحيى بن الخير الجناوي، الوضع ص١١-١٦، تبغورين بن عيسى الملوشاني، نخبة المتين من أصول تبغورين، ضمن كتب مختارة، مط العربية، غارداية، د.تا. ص١٧٥-٢٠٠. أسماعي الجيطالي(أبو طاهر) (ت.٧٥٠هـ) قواعد الاسلام، تح مر، ش.بكلي عبد الرحمن، ط١، مط العربية غارداية، أبريل ١٩٧٦م، ج١ ص٣١-٣٤، أوب عمار عبد الكافي(ق ٦هـ) الموجز، تح د.عمار طالبي، ش.و.ن.ت. الجزائر ١٩٧٨م، ج١ ص٤٢٩-٤٣٠، ج٢ ص٩١-٩٢، ص١٠٤-١٠٦، ص١١٦-١١٧، عبدالله بن حميد السالمي (ت.١٩١٤) مشارق أنوار العقول، تح أحمد بن حمد الخليلي، ط٢ مسقط عمان ١٩٧٨م، ص١٧٥، ١٩٨، ٢٩٥، عمر بن جميع ابو حفص، مقدمة التوحيد وشروحها، القاهرة ١٣٥٣هـ، ص٢١-٢٦ أحمد بن سعيد الدرجيني(أبو العباس ت. ٦٧٠هـ)، طبقات المشائخ بالمغرب، تح إبراهيم طلاي، مط البعث، قسطينية د. تا، ج٢ ص٢٤٦، محمد بن يوسف اطفيش(ت.١٩١٤م) الذهب الخالص، تح وتع أبو اسحاق إبراهيم اطفيش، مط البعث، قسطينية، ١٩٨٠م، ص٢٢-٢٦، علي يحيى معمر (ت.١٩٧٩م) الاباضية في موكب التاريخ حلقة١ ص٦٨-٩٢، بكلي عبد الرحمن فتاوي البكري ج١ و٢.

(٤٥/١)

اجتمع علماء الاباضية(١) على إن المسائل التي وقع عليها اختلاق الناس تسعة، وهي التوحيد، والعدل، والقضاء والقدر، والولاية والبراءة، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، وان لا منزلة بين المنزلتين، والأسماء والأحكام.

تلك هي الموضوعات التي أثارت الجدل والمناظرات بين المتكلمين وكتاب المقالات. ولما حدد الاباضية موقفهم منها واتضحت آرائهم حولها غدت أصولا للعقيدة عند الاباضية. كما تحددت عقيدة المعتزلة بأصولها الخمسة على أن الخلاف بين الاباضية والمعتزلة لم يكن حادا حول هذه الأصول حتى ان الباحثين في الفلسفة الاسلامية أثبتوا توافقا في الآراء بين الاباضية والمعتزلة، منها الصفات عن الله تعالى، وخلق القرآن، ونفي الرؤية(٢) "كما تقترب العقائد الاباضية وآراؤهم السياسية والدينية بصفة عامة في كثير من المسائل الهامة بعقائد أهل السنة"(٣).

التوحيد:

وهو إفراد المعبود بالعبادة، والتصديق بوحدانية الخالق ذاتا وصفاتا وأفعالا والإقرار بوجود واجد الموجودات، وهو الله الذي لا إله إلا هو، متعال عن صفات المخلوقات فلا أول ولا آخر، وهو

شيء لا كالأشياء(٤) لأن أوليته سابقة لكل شيء مخلوق وآخريته باقية بع فناء كل مخلوق فسبق الله لا بداية له وبقاء الله لا نهاية له، فلأزلية لله وحده لأن ما سواه مخلوق والمخلوق موجود بعد عدم حيث لا زمان ولا مكان لأن العدل انتفاء الشيء أصلا إلا الله وكذا الأبدية لله وحده لأن كل شيء هالك إلا وجهه، وهلاك الشيء هو فناء الموجود بعد الوجود وهو حال العدم حيث كون الله ولا شيء.

---

(١) ٢) من اباضية المغرب: ش عامر بن علي الشامخي(٩٢ھ/١٣٩٠) ش.تبغورين بن عيسى الملوشاني (ق ٦ھ)، ش. عمر التلاتي ش.عبد العزيز الثميني(ق ١٩م)

(٢) ٣) راجع د.عمار طالبي، آراء الخوارج الكلامية، ج١ ص١٤٠.

(٣) ٤) **T. Lewicki E.L**

(٤) ٥) ش.محمد بن يوسف اطفيش، الذهب الخالص، مط السلفية القاهرة ١٣٤٣م، ص٧.

واعتبارا بهذا فلا يصح التوحيد إلا بأفراد الخالق عن المخلوق في "ذاته وأقواله وأفعاله وأحكامه وعبادته وصفاته وسائر كمالاته"(١)، فلو تشابه مع الخلق– كما تزعم المشبهة– في أقل قليل لدخل عليه العجز منه ولا جناح إلى ما احتاجوا "فليس هناك ذات تشبه ذاته تعالى. ولا تقبل ذاته الانقسام ولا تشبه صفاته الصفات، ولا يدخل أفعاله الإشراك فإن الفعل له سبحانه خلقا وان ينسب إلى غيره كسبا"(٢)

وأهم مبحث في التوحيد هو صفات الله تعالى وقد كان موضوع خلاف كبير بين المتكلمين، أما الاباضية فالصفات عندهم ثلاثة أنواع:

صفات وجبة لله– كالوجود والأزلية والأبدية والحياة والعلم.

---

(١) ٦ ش.عمر بن رمضان الثلاتي، نخبة المتين من أصول تبغورين، ضمن كتاب تحت عنوان "كتب مختارة" مط العربية غارداية د.تا. ص١٧٥.

(٢) ٧ نور الدين السالمي، مشارق أنوار العقول، ط٢، مط العقيدة، عمان ١٩٧٨، ص١٥٠.

ب- صفات جائزة لله يوصف بها حين يفعلها، ولا يوصف بها إذا لم يفعلها لجواز فعلها أو تركها. وتنقسم الصفات الواجبة إلى قسمين، ذاتية وفعلية أما صفات الفعل فأنها "تجامع ضدها في الوجود عند اختلاف المحل"(١) ومثاله أن يهب الله للواحد ذكرا وللآخر أنثى، أو أن يعطي العلم لفلان ويخلق الجهل للآخر، وصفات الأفعال قديمة أزلية كصفات الذات فيوصف الله بأنه خالق في الأول اعتبار ما سيخلق، وإنه عالما بما كان قبل أن يكون. أما صفات الذات كالعلم والقدرة والإرادة فأنها لا تجامع ضدها في الوجود ولو اختلف المحل، فلا يقال قدر الله على فعل شيء وعجز عن فعل شيء. وصفات الذات أنور اعتبارية لا وجود لها في ذاتها ولا في ذاته تعالى وانما المقصود بها نفي أضدادها المستحيلة في حق الله تعالى فوصف الله بالعلم نفي الجهل عنه بينما الصفات عند الأشاعرة وهي "معاني بالاباضية قائمة بذاته تعالى زائدة عليها"(٢) فهي عند الأشعري حقيقة أزلية لكنها ليست كصفات البشر وهي عند الحشوية والمشبهة حقيقة ثابة شبيهة بصفات الإنسان، أما الاباضية فترى ان الصفات هي عين الذات(٣) والمراد بهذا ان ذاته تعالى كافية في الانكشاف والتخصيص والتأثير والاستلزام، فكون الله عالما بذاته يعني أن ذاته منكشف لها جميع المعلومات انكشافا تاما من غير قيام صفة قديمة مقتضية لذلك الانكشاف فالله غني عن كل معنى قديم زائد عليه قائم به للانكشاف.

---

(١) ٨ نور الدين السالمي، مشارق أنوار العقول، ص ١٧٣.

(٢) ٩ ش.عمر بن رمضان الثلاتي، نخبة المتين من أصول تبغورين ص ١٧٨.

(٣) ١٠) راجع صالح الصوافي، الامام جابر بن زيد ،ص٢٣٤، ٢٣٥.

(٤٨/١)

وكون الله في كل مكان انما بالحفظ والقدرة وكونه في الأشياء ومعها على معنى العلم بها والإحاطة لها بالزيادة وبالنقصان لا على الحلول والتمكن(١) واستواء الله على العرش وعلى كل شيء غير معقول(٢) لقصر عقل الإنسان عن إدراك ذات الله وصفاته، ويقتضي هذا أن يؤول العرش بالسلطان واليد بالقدرة والوجه بالوجود وهذا مذهب المعتزلة في التأويل وإنكارهم لزيادة الصفات عن الذات يوافقهم في ذلك الاباضية" وهو عين ما حققه السيد الجرجاني في شرح المواقف"(٣) خلافا للمشبه والحشوية والمتمسكين بظاهر النص، فأثبتوا حلول الله على العرش وجلوسه على الكرسي تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

العدل:

---

(١) ١١) عبد العزيز الثميني، معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين(مخطوط) ورقة ٣٥٣.
(٢) ١٢)ش.علي بن عامر الشماخي، متن الديانات، ضمن كتب مختارة، ص٤٧.
(٣) ١٣) عبد العزيز الثميني، النور، شرح القصيدة النونية، ص١٠٥.

(٤٩/١)

أجمع المسلمون على أن الله عدل لا ينسب إليه الجور ولا يوصف به، سواء في أحكامه أو أفعاله(١) وانما الخلاف بين المتكلمين يتركز حول الحرية الإنسانية وهي مرتبطة بالعدل الإلهي هل الإنسان حر في تصرفاته أي خالق لأفعاله؟ أم أن الخلق لله ولا طاقة للعبد في اختيار ما يريده؟ اختلف الخوارج حول هذا فافترقت الرافضة إلى أربع فرق(٢) في القول بالاستطاعة، ومن الخوارج من بالغ في مسألة العدل الإلهي حتى زعموا ان الله لا يقدر أن يظلم "فكان الله عدل محض لا يوصف بالقدرة على الظلم فضلا عن ان يصدر عنه أو أن يخلقه"(٣) ويفسر صاحب متن الديانات، ش.عامر بن علي الشماخي (ت ٧٩٢هـ)، قوله تعالى:

---

(١) ١٤) عامر بن علي الشماخي، متن الديانات ص٤٧، أبو زكريا يحيى بن أبي الخير الجناوني، كتاب الوضع، نشر وتعليق إبراهيم اطفيش، ط١، مط الفجالة القاهرة، د.تا. ص٢٢.
(٢) ١٥) أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، تحقيق محمد محي الدين، ط٢، دار الحداثة ٨٥، جـ١ ،ص١١١.
(٣) ١٦) عمار طالبي، آراء الخوارج الكلامية، ش.و.ن.ت.، الجزائر ١٩٧٨م، جـ١، ص١٥٣.

(٥٠/١)

{ إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون } (١)، بأن الله لا يؤاخذ الناس بما لم يكتسبوه من عمل كما لا يعذبهم على ما لم يقترفوه من فعل(٢) ما دام الله لا يجبر أحدا على فعل خلافا للمجبرة(٣) التي زعمت أن الله أجبر الناس على أفعالهم التي زجهم عنها ثم عذبهم عليها(٤) وليس الجهمية وحدهم يقولون بالجبر فالخوارج أيضا منهم من يقول بذلك وقد ذكر ابن حزم الأندلسي أن طائفة من الأزارقة ترى الجهم بن صفوان(٥).

أما الاباضية فيدينون بأن الأفعال خلق الله تعالى وهي في ذات الوقت كسب الانسان وبهذا تتأكد حرية العبد وقدرته على الاختيار من دون أن يتعارض ذلك مع مشيئة الله وإدارته في الخلق الذي يتفرد به دون غيره، أما الاستطاعة هي التخلية، وان الاستطاعة لا تبقى توقتين، وهي كل شيء غير استطاعة ضده(٦) فالاستطاعة على فعل يستوجب استطاعة على عدم فعل الشيء هذا رأي الاباضية أما الرافضة من الشيعة فترى ان الاستطاعة قبل الفعل وليس معه وهي الصحة وبها يستطيع المستطيع فكل صحيح مستطيع(٧)

---

(١) ١٧) سورة يونس، الآية ٤٤ .

(٢) ١٨) عامر بن علي الشماخي، متن الديانات، ص٤٧ .

(٣) ١٩) أصحاب جهم بن صفوان، الذي قال بالإجبار والاضطرار الى الأعمال، وانكر الاستطاعة كلها... وقال لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى، عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق ص١٩٩، ويقال لهم الجبرية أو المجبرة لقولهم بالجبر، الى ان الانسان مسير لا مخير في جميع أفعاله.

(٤) ٢٠) أبو زكريا يحيى، كتاب الوضع ص٢٢ .

(٥) ٢١) ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والنحل، ج٣ ص٢٢ .

(٦) ٢٢) أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين ج١، ص١٧٤ .

(٧) ٢٣) أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين ج١، ص١١٢ .

(٥١/١)

. كما اختلفت الزيدية من الشيعة(١) في الاستطاعة فمنهم من يزعم ان الاستطاعة مع الفعل والأمر قبل الفعل ومنهم من يرى ان الاستطاعة قبل الفعل وهي مع الفعل مشغولة في حال الفعل(٢) القول في العدل أنه وضع الأشياء في مواضعها واعطاء كل ذي حق حقه وتنزيل كل شخص منزلته(٣) وان الله في جميع أحكامه وأفعاله وأنه ليس بظلام للعبيد.

القضاء و القدر:

---

(١) ٢٤) أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كان المرجئة لا يفضلون أحدا على زيد بن علي فهو إمامهم وصاحب الفضيلة على من سواه، للمزيد من التفاصيل حول الزيدية،

انظر، مروج الذهب للمسعودي، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، ج٣، ص٢١٨، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج١، ص٣١٥، وانظر ابن الأثير في تاريخه الكامل، مط بولاق ج٥، ص٩٠.

(٢) ٢٥) أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج١، ص١٤٠.

(٣) ٢٦ ش.عمر الثلاتي، شرح متن الديانات ضمن كتب مختارة، مط العربية غرداية، دتا ،ص٥٢.

(٥٢/١)

كل شيء بقضاء الله وقدره، فالقضاء هو إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه، فإرادته لا حدود لها في الأزل وعليه فإن كل شيء داخل تحت قضائه تعالى، لأن قضاءه سابق للأشياء، والقدر هو علم الله بمقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها(١) يوجد ما سبق في علمه ان يوجد. فكل حادث صادر عن علمه وقدرته وإرادته وهذا لا يتعارض مع إرادة العبد في اختيار أعماله، فأفعال العبد مكتسبة له مخلوقة لله، وحيث أن الله خالق لكل شيء وعالم بكل شيء ومريد كل شيء، فأن القدر خيره وشره من الله فنقضت القدرية(٢) قولهم بزعمهم ان الله تعالى لم يخلق أفعالهم القبيحة لأن الله لا يصدر منه مالا يرضى(٣) لقوله تعالى:

{ والله خلقكم وما تعلمون }

ويستدل الشيخ محمد اطفيش (ت ١٩١٤م) على ذلك بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيه:" الأمور كلها خيرها وشرها من الله تعالى"(٤). وفي حديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم حتى فيهم قضاؤه وقدره فإذا مضى أمره رد إليهم عقولهم ووقعت الندامة" (٥)

الولاية والبراءة:

---

(١) ٢٧) المرجع السابق ص٥٢.

(٢) ٢٨) القدرية من المعتزلة أصحاب واصل بن عطاء ٠ت ١٣١هـ) سموا بالقدرية لاجماعهم على ان العباد يفعلون أفعالهم بالقدرة التي خلقها الله فيهم، وزعم منهم ان القدرة فعل الجسم القادر بها وليست من فعل الله تعالى، عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٩٦.

(٣) ٢٩) أبو زكريا يحيى بن أبي الخير الجناوني، كتاب الوضع، ص٢٢.

(٤) ٣٠) رواه الطبري في الأوسط، ذكره ش.محمد اطفيش في جامع الشمل في حديث خاتم الرسل طبع حجري بخط اليد في ٤٣٦ص ، جاء في نهاية الكتاب قد يم طبع هذا الكتاب بإعانة الملك الوهاب في غرة شهر ذي الحجة سنة ألف وثلاثمائة وأربعة، على ذمة المطبعة البارونية، مصر ،ص٢٥٢.

(٥) ٣١) المصدر السابق ص٢٥١، رواه الديلمي عن أنس.

(٥٣/١)

الولاية هي القرب والمحبة والولاء والرضى وهي "القيام للغير بالأمر والنصر، والاهتمام بالمصالح والحفظ والاتصال...." وشرعا الترحم والاستغفار للمؤمنين لإسلامهم وطاعتهم والثناء عليهم مع الحب في القلب"(١) ،والولاية واجبة على المسلمين فمن أنكرها ولم يوال جملة المسلمين فقد أشرك وقيل منافق من تركها أو جهلها. والبراءة لغة البعد عن الشيء والتخلص منه، فهي واجبة أيضا على المؤمنين بأن يظهروا البغض وعدم الرضى للكافر لكفره بل وشتمه ولعنه فواجب عند الاباضية براءة الأشخاص لوجود علة براءة الجملة وهي فعل الكبيرة أو الإصرار على الصغيرة وكل مظاهر الشرك والكفر، لقول عمر رضي الله عنه " من رأينا فيه شرا تبرأنا منه"(٢)

ووجوب ولاية الجملة وبراءة الجملة لا يعني ولاية كل الناس أو البراءة منهم جميعا. "واصل الولاية الموافقة في الحق، فالمتوافقان فيه متواليان ولو لم يعلم أحدهما بالآخر، أو تبرأ منه بظاهر الحال والبراءة بالعكس"(٣). وبين الولاية والبراءة توجد حالة الوقوف، وهي واجبة فيمن لم يعلم عنه شيء عن حاله ولم يظهر منه موجب الولاية ولا موجب البراءة لقوله تعالى:

{ ولا تقف ما ليس لك به علم } (٤)

---

(١) ٣٢) ش.محمد اطفيش، الذهب الخالص، ص٣٢.

(٢) ٣٣) المصدر السابق، ص٤٥.

(٣) ٣٤)المصدر السابق، ص٤٢

(٤) ٣٥) سورة الاسراء، الآية ٣٦.

(٥٤/١)

وقوله صلى الله عليه وسلم: "قف عما لا تعلم"(١) وقد يجب إبقاء الشخص على ما هو عليه من وقوف أو براءة أو ولاية، إذا فعل ما لم يعلم حكمه. وولاية الله لأوليائه ورضاه عمهم، وعلمه بما يستوجبون من ثواب وتوفيقهم لطاعته وتنعيمهم، وعداوته لأعدائه سخطه عليهم وعلمه بما يستوجبون من العقاب، وخذلانهم وعدم توفيقه لهم على الطاعة، وتعذيبهم لهم، "وولاية وعداوته لا تغيران الأزمان ولا تقلبان بتقلب الأحوال"(٢) كما يزعم النكار(٣) والشيعة(٤). فالسعيد في ولاية الله ولو في حال معصيته والشقي في براءته ولو في حال وفائه(٥) فالله قد سبق في علمه "ما كان وما يكون وما لم يكن ان لو كان كيف كان يكون"(٦) بالنسبة لتعلق علم الله بالمعدوم، فهو على علم بمستقبل أطفال المشركين قبل وجودهم ولذلك يدين الاباضية بالوقوف في أطفال المنافقين والمشركين، خلافا للصفرية من الخوارج والأزارقة والنجدية حين استباحوا قتل الأطفال تبعا لآبائهم.

---

(١) ٣٦)المصدر السابق، ص٥٨.

(٢) ٣٧) ش.عامر بن علي الشامخي متن الديانات ضمن كتب مختارة، ص٤٨.

(٣) ٣٨) فرقة تفرعت عن الاباضية في زمن الدولة الرستمية وانقرضت، أنكرت إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي، فاصل افتراقهم سياسي، ومن أسماء هذه الفرقة: النكاث، واليزيدية، والنحوية.

(٤) ٣٩) يقولون بتقلب ولاية الله وعداوته، وهذا القول مستمد من اليهود، وهم يقولون بأن الله تعالى تبدو له البدوات ،إبراهيم اطفيش في هامش كتاب الوضع، ص٢٢

(٥) ٤٠) ش.محمد اطفيش، الذهب الخالص، ص٥٤.

(٦) ٤١) أبو زكريا يحيى بن أبي الخير الجناوني، كتاب الوضع، ص٢٢.

ولعل الولاية والبراءة من الأصول التي درسها الاباضية بعمق وانفردت عما سواها من الفرق بالقول بولاية الشخص وبراءة الشخص بحكم الظاهر، ولذلك نجد دراسات مستفيضة لفقهاء الاباضية وعلمائها(١) حول مسألة الولاية والبراءة والوقوف، ففصلوا القول في شروط الولاية والبراءة ووجوبها، وبينوا بشكل دقيق الجهات التي تتم بها كل من الولاية الشخصية والبراءة الشخصية، كما حددوا بدقة من تجب فيه الولاية والبراءة سواء في الجملة أم الشخص، وتجدر الإشارة إلى أن

اهتمام الاباضية بهذا الجانب لم ينحصر في نطاق الاجتهاد الفقهي والنظر العقلي فحسب وانما تعداه إلى الميدان العملي والتطبيق الفعلي فتجسدت هذه الآراء والأحكام في واقع الحياة اليومية داخل المجتمعات الاباضية.

ويمكن توضيح أصل الولاية والبراءة وشروطها والجهات التي تتم بها وفيمن تجب فيه بواسطة الجداول التوضيحية التالية(٢).

الأمر والنهي:

---

(١) ٤٢) منهم عمر بن جميع، مقدمة التوحيد وشروحها، أبو طاهر إسماعيل الجيطالي، قواعد الاسلام، أبو زكريا يحيى، كتاب الوضع، ش.عبد العزيز الثميني معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين(مخطوط)، نور الدين السالمي مشارق أنوار العقول، ش.محمد أطفيش: شرح تبغورين(مخطوط) الذهب الخالص...

(٢) ٤٣) استخلصنا مادة الجدول من المصادر التالية: أبو زكريا: كتاب الوضع ص٣٢- ٣٤. إسماعيل الجيطالي قواعد الاسلام ج١، ص٤٥- ٨٣. الشيخ أطفيش، الذهب الخالص ص. ص ٣٢- ٥٧. نور الدين عبدالله ابن حميد السالمي، مشارق أنوار العقول، علق عليه وصححه أحمد بن حمد الخليلي، ص. ص ٣٣٦- ٣٥٥.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم في كل زمان ومكان، على قدر الاستطاعة. وتجسد هذا الأصل إذا قويت الروح الإسلامية في السلوك الإنساني ضمن علاقاته الاجتماعية لأن الكافر بدين الله لا تقوى عزيمته على فعل الخير والنصح لصالح المجتمع وفي سبيل الله، فمتى كانت علاقة العبد بربه مرضية فيأتمر بأوامر الخالق وينتهي بنواهيه فإن ذلك ينعكس على سلوك الانسان وعلاقته بينه وبين غيره ممن يعيش في محيطه، فمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأصول الاجتماعية والأخلاقية ونجد الاهتمام نفسه عند المعتزلة حيث "أجمعت على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الإمكان والقدرة، باللسان واليد والسيف كيف قدروا على ذلك"(١). وعلى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيني الاباضية حكمهم على وجوب الامامة لأن المسلمين لا تستقيم أمورهم إلا بتعين سلطان يتولى أمرهم وينفذ حكم الله بالعدل بين الناس وقد وردت في ذلك نصوص كثيرة تحث على ضرورة

نصب الإمامة، وتحرض الناس على الامتثال لأوامر الله ورسوله وأولي الأمر، ووجوب طاعتهم.

الوعد والوعيد:

وهما من اختصاص الله تعالى، وقد اتفق الموحدون على ان الله صادق في وعده ووعيده، إلا المرجئة زعمت أن الله لا يخلف وعده وقد يخلف وعيده(٢) إكراما منه ورحمة وإشفاقا على عباده.

ووعد الله هو أخباره تعالى عباده الصالحين بالخير وتبشيرهم إياه بالثواب في الآخرة في قوله تعالى:

{ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا } (٣)

أما الوعيد فهو الأخبار بالشر والعقاب لأعداء الله من مشركين وكافرين ومنافقين في الآخرة كما في قوله تعالى:

---

(١) ٤٤) أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، جـ١، ص٣١١.

(٢) ٤٥) أبو زكريا يحيى بن أبي الخير الجناوني، كتاب الوضع، ص٢٣.

(٣) ٤٦) الكهف الآية ١٠٧.

{ إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البريئة } (١) فمصير أهل الوعد هو الخلود في الجنة ومصير أهل الوعيد هو الخلود في النار، والجنة والنار دائمتان لا تفنيان وكل من الثواب والعقاب في الآخرة مغير للثواب والعقاب في الدنيا(٢) وحيث أن الله صادق في وعده ووعيده(٣) فإنه منفذ حكمه على المؤمن والكافر كما وعد وأوعد فلا يمكن تصور خلف الله لأقواله، لأن المسألة تتعلق بالعدل الإلهي في أفعاله والصدق الإلهي في اختباره وعدله يقتضي إثابة المطيع وعقاب العاصي وصدقه يقتضي عدم خلفه لأقواله وكلام الله لا تبديل له ولا تحويل لقوله تعالى:

{ إن الله لا يخلف الميعاد } (٤)

وحكم الله لا معقب له لأنه ثابت لا يتغير، فلو حدث ذلك لكان الله قد تراجع عن أحكامه وهذا مستحيل على الله، بدليل النصوص الصريحة في ذلك. أما عن آيات الرحمة والعفو فهي فوق العدل، وهي خاصة للتائبين والمستغفرين والنادمين على معاصيهم لأن التائب من الذنب كمن لا

ذنب له.

المنزلة بين المنزلتين:

---

(١) ٤٧) البينة الآية ٦

(٢) ٤٨) عامر بن علي الشماخي، متن الديانات، ضمن كتب مختارة ص٤٩.

(٣) ٤٩) عبد العزيز الثميني، معالم الدين (مخطوط) ورقة ٣٥٥، عامر بن علي الشماخي، متن الديانات، ص٤٨، أبو زكريا، الوضع، ص٢٣

(٤) ٥٠ آل عمران الآية٦

(٥٨/١)

قد لا يكون العبد مؤمنا كما لا يكون مشركا في ذات الوقت، فهو في منزلة بين قطبين متناقضين هما الايمان والشرك. وهذه المنزلة هي النفاق(١)، وهذه المنازل الثلاث يستحيل الجمع بينها، (فالمتصف بواحدة منها لا يوصف بالأخرى(٢). وقد فرق الله بينهما في قوله تعالى:

{ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات }(٣).

فالمنافق ليس بمشرك لأنه موحد وليس بمؤمن لأنه عاص لقوله صلى الله عليه وسلم:" لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يزني حين يزني وهو مؤمن".

وهذا خلافا اللأشعرية التي تعتبر أن ظاهرة النفاق عرفت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فقط ولا وجود لها بعد ذلك والذي يظهر الإيمان ويبطن الشرك يعتبر عندهم مشركا، بينما الاباضية يرون ان النفاق متوقف على الفعل لا على الاعتقاد، وزعمت المرجئة(٤) أن لا منزلة بين منزلة الشرك والإيمان وجعلوا الايمان كله توحيدا وجعلوا الكفر كله شركا(٥).

لا منزلة بين المنزلتين:

---

(١) ٥١ النفاق هو الاعتقاد والإقرار ثم الخيانة في العمل، وقد بينه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "ثلاث من كن فيه هو منافق ولو صلى وصام وزعم انه مسلم، من اذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان".

(٢) ٥٢ معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين، عبد العزيز الثميني(مخطوط) ورقة ٣٥٥.

(٣) ٥٣ الأحزاب الآية ٧٣.

(٤) ٥٤ المرجئة ثلاثة أصناف: صنف منهم جمعوا بين الأرجاء في الايمان وبين القدر على المذاهب والمعتزلة، فهؤلاء مرجئة قدرية، وصنف قالوا بالإرجاء والجبر على مذهب جهم فهم معدودون في الجهمية، والصنف الثالث منهم مرجئة خالصة عن القدر والجبر، وسموا بالمرجئة لتأخيرهم العمل على الايمان وقيل لأنهم تركوا القطع على عقاب من لم يتب عن كبيرة حتى، البغدادي، كتاب الملل والنحل، ص١٣٩.

(٥) ٥٥ أبو زكريا يحيى بن أبي الخير الجناوني، كتاب الوضع، ص٢٤.

الإيمان والكفر(١) ضدان لا يجتمعان كالحركة والسكون والحياة والموت فلا يعقل أن يكون العبد مؤمنا وكافرا في وقت واحد فهو إما مؤمن أو كافر ولا منزلة بين الكفر والايمان كما أنه لا توجد منزلة بين التوحيد والشرك فإما أن يكون العبد موحدا وأما أن يكون مشركا. إن وحد وعصى فهو موحد لا مشرك، كافر لا مؤمن ليس له حالة ثالثة لقوله تعالى:

{ وهو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن } (٢)

وقوله تعالى: { إما شاكرا وإما كفورا } (٣)

هذا ما اجتمع عليه الاباضية على غير مذهب المعتزلة حين جعلوا الفسق منزلة بين الايمان والكفر (فقالوا انه كالأبلق لا يسمى لما به من السواد أبيض ولا يسمى لما به من البياض أسود)(٤).

---

(١) ٥٦ الكفر هنا كفر نعمة لا كفر جحود وشرك وهذا مصطلح اباضي خاص.

(٢) ٥٧ الغابن، الآية٢.

(٣) ٥٨ البلد، الآية ١٠.

(٤) ٥٩) علي يحيى معمر، الاباضية بين الفرق الاسلامية، مكتبة وهبة، ط١ القاهرة ١٩٧٦م، ص٣١٥، نقلا عن ش. تبغورين بن داود بن عيسى.

وبهذا تنفرد الاباضية بالقول بأن لا منزلة بين المنزلتين خلافا للأشاعرة فأصل الخلاف إذا حول مصير صاحب الكبيرة فقالت الأشعرية: انه مؤمن بتوحيده لكنه فاسق بكبيرته وحيث أنه مؤمن

فثوابه الجنة ولو عصى، أي انه لا يخلد في النار، أما واصل (ت ١٣١هـ)(١) فلم يرض بهذا واعتبر صاحب الكبيرة فاسقا ووضعه في منزلة بين الايمان والكفر، واستتبع هذا بالحكم على الفاسق بالتأبيد في النار ان لم يتب على قول الاباضية، إلا أن الاباضية أوجبوا له الخلود لأنه كافر غير تائب بينما المعتزلة أخرجوه من الكفر "وقالوا لم نسمه مؤمنا لأن هذا من أسماء المدح"(٢) وليس بكافر لأنه موحد، وفيه بعض الايمان، وصاحب طاعات كثيرة وقالت الأزارقة من الخوارج انه مشرك كافر.

الأسماء والأحكام:

---

(١) ٦٠ واصل بن عطاء الغزالي الأبلع كان في أول أمره مع الأشاعرة لكنه اعتزل عنهم بقوله بالمنزلة بين المنزلتين ، فسمي أتباعه بالمعتزلة.

(٢) ٦١ عبد القادر البغدادي، أبو منصور) الملل والنحل، تح د. ألبير نصر نادر، ط٢ ،دار الشروق بيروت ١٩٧٠م، ص٨٣.

وهذا أصل يختص به الاباضية دون غيرهم، قالوا به حين عدم الاتفاق بين المتكلمين وكتاب المقالات وفقهاء الفرق حول إطلاق الأسماء المناسبة على مسمياتها ووصف الموصوفات بأوصافها الحقيقية واطلاق الأحكام الصحيحة على ما تستحق تلك الأحكام ويقصد بالأسماء الألفاظ والصفات التي تطلق على العبد وقد تدل هذه على المعاني الحسنة كالمؤمن والتقي والصالح والموحد....وقد تدل المعاني القبيحة كالكافر والفاسق والمشرك أما الأحكام فهي " الأمور المحكوم بها على العباد كالولاية والبراءة والسبي والقتل والجزية..."(١) وسائر أحكام الله سواء حسنة كالثواب بالنعيم في الجنة أو قبيحة كالجزاء بالعقاب والخلود في النار وأكثر اختلاف الفرق انما جاء من قبيل الأسماء وتحديد ما نسميه بالمصطلحات، فنجد عدة معاني وتأويلات للاسم الواحد، وهذا الاختلاف في تحديد معنى الاسم ينتج عنه اختلاف حول الحكم الذي ينطبق عليه.

---

(١) ٦٢) ش.عمر التلاتي، شرح متن الديانات لعامر الشماخي، ضمن كتب مختارة ص٥٣.

ومن أجل ذلك اجتهد الاباضية في تحديد المصطلحات وحرصوا على تحري الدقة في تفسير معاني الأسماء وانطلاقا من ذلك وضعوا القاعدة الأساسية، وهي "ان الأسماء تابعة للأحكام"(١).

فأحكام الموحدين– مثلا– ليست كأحكام المشركين والعكس صحيح لأن الموحد والمشرك اسمان مختلفان لمسلمين تمام الاختلاف واختلافها في الاسم يقتضي اختلافها ما في الحكم وقد يبدو هذا واضحا ومقبولا– عقليا– لكنه لم يسلم من اختلاف المتكلمين حوله، فقد زعم عيسى بن عمير، وأحمد بن الحسين أن أهل الكتاب ليسوا بمشركين، وتحريمهما منهم ما يحرم من المشركين. وإذا كان الخلاف حول حقيقة الشرك والتوحيد أمرا واقعا فإن الاختلاف حول بقية الأسماء أمر لا مناص منه وذلك أنهم اختلفوا في الطاعة والإيمان والمعصية والكفر، فقال بعضهم ان الطاعة والايمان كلاهما توحيد وغير توحيد، والكفر كله شرك، والمعصية منها شرك وغير شرك، وقال بعضهم– الطاعة كل ما قارنه الأمر من توحيد أو غيره، والمعصية كل ما قارنه الثواب من توحيد أو غيره، والمعصية كل ما قارنه النهي من شرك أو غيره، والمعصية كل ما قارنه العقاب من شرك أو غيره، وهذا القول الأخير هو قول الاباضية(٢)

وعلى هذا يكون التوحيد هو كل ما قارنه الأفراد وترك المساواة والشرك ما قارنه التساوي ووصف الخالق بصفة المخلوق والنفاق ما قارنه الخلف والكذب وكتمان الشيء مع إظهار خلافه.

مفهوم الإيمان والإسلام والدين

---

(١) ٦٣) ش. عامر بن علي الشماخي، متن الديانات، ص٤٩، أبو زكريا، كتاب الوضع، ص٢٥، ش.عبد العزيز الثميني، معالم الدين(مخطوط) ورقة ٣٥٣.

(٢) ٦٤) أبو زكرياء يحيى بن أبي الخير الجناوني، كتاب الوضع، ص٢٥.

حقيقة الإيمان عند الاباضية هو التصديق بما يجب التصديق به شرعا من نحو وجود الله وكمالاته وبعث رسله ورسالة محمد وحقيقة ما جاء به من عند الله، واللفظ بالشهادة شطر الايمان لا شرط في كماله حيث لا يكتمل الإيمان إلا بالعمل الصالح بالطاعة والعبادة والاسلام لغة الخضوع والانقياد وفي الشرع أعمال الجوارح والقلب بجمع المأمورات(١) وهو مركب من قول وعمل فلا يوصف العبد بالإسلام إلا إذا أقر بالتوحيد وعمل الفرائض.

والدين ما أمر الله به عباده أن يطيعوه به من كل قول وعمل وهي العبادات المعتبرة(٢) والواقع ان

كلا من الايمان والاسلام والدين أسماء تصدق من حيث الشرع على شيء واحد وان اختلفت المعاني وهو عبادة الله بتوحيده قولا وتنفيذ مأموراته بالعمل الصادق، لقوله تعالى:

{ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين } (٣)

وقال: { إن الدين عند الله الإسلام } (٤)

وللدين قواعد وأركان ومسالك ومجاري وحدود وإفراز وإحراز ، لابد من معرفتها للتميز بين الإسلام والكفر والتفريق بين المؤمن والمنافق والمشرك، وفيما يلي بيان ذلك في الجداول الآتية:

الدين (الإسلام)

القواعد ... العلم ... العمل ... النية ... الورع

الأركان ... الاستسلام ... الرضى ... التوكل ... التفويض

المسالك ... الظهور ... الدفاع ... الشراء ... الكتمان

الأسهم ... الصلاة ... الزكاة ... الصوم ... الحج ... العمرة ... الجهاد ... الأمر بالمعروف ... النهي عن المنكر

---

(١) ٦٥) بدر الدين أبو العباس أحمد الشماخي، شرح مقدمة التوحيد لعمر بن جميع ،صححها وعلق عليها أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، القاهرة ١٣٥٣هـ ،ص٢٥

(٢) ٦٦) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) ٦٧)البينة، الآية,٥

(٤) ٦٨) آل عمران، الآية ١٩

المجاري(١) ... الكتاب ... السنة ... الرأي

الحدود ... علم ما لا يسع جهله ... فعل ما لا يسع تركه ... ترك مالا ما لا سع فعله

الإقرار(٢) ... وفاء المؤمن ... تضييع المنافق ... جحود المشرك

---

(١) ٦٩) المجاري بمعنى: مصادر التشريع، والذي في كتاب الوضع لأبي زكرياء ص٢٩،(ومجارية ثلاثة، الكتاب والسنة والإجماع) اقتصر على الإجماع لأن القياس مستمد من الكتاب والسنة، وفي عقيدة التوحيد ص٤٤: الرأي عوض الإجماع، وهو أعم لنه يشمل القياس

والإجماع، ويضيف أ.محمد الشيخ بالحاج ضمن الرأي بعض أنواع الاستدلال خاصة المصالح المرسلة وسد الذرائع، والخروج من الخلاف، والاستصحاب والعرف والقواعد الفقهية العامة، محمد الشيخ بالحاج: الاجتهاد في المذهب الاباضي ص١٩، والواقع ان الاباضية من أشد الفرق تمسكا بالسنة والإجماع الى درجة أنهم يدينون بتكفير من أنكر الرأي والسنة، انظر عامر بن علي الشماخي متن الديانات ص٤٩، أما القطب فيحكم بالشرك على من أنكر واحدا من الثلاثة: القرآن والسنة والإجماع، وهن اصل القياس، محمد اطفيش شامل الأصل والفرع، مط السلفية القاهرة ١٣٤٨هـ، جـ١ ،ص٩. وبهذا يكون المستشرق(موتيلينسكي) قد أخطأ– رغم درايته الواسعة بالعقيدة عند الاباضية– حين أشار في مقال له في دائرة المعارف الاسلامية، ان الاباضية لا تعتمد الإجماع والقياس وتكتفي بدلا من ذلك بالرأي، ولم ينته الى ان الرأي يتضمن الإجماع والقياس للهم الا ان يكون قد أطلع على مقالة السكاكية– وهي إحدى الفرق الشاذة عن الاباضية في المغرب– تنكر السنة والرأي زاعمة ان القرآن وحده كاف للتشريع أخذا من قوله تعالى:(وما فرطنا في الكتاب من شيء) الأنعام ٣٨، فنسب المستشرق هذه المقالة الى مجموع الاباضية.

(٢) ٧٠) الإفراز: جمع فرز وهو عزل الشيء عن غيره، والفرز المقصود هنا التمييز بين المؤمن والمنافق والمشرك فلكل حكمه عند الله.

(٦٥/١)

الإحراز(١) ... ولاية المؤمن الموفي ... براءة المنافق والمشرك ... الوقوف عند المجهول الكفر

الأركان ... الرغبة ... الرهبة ... الشهوة ... الغضب

القواعد ... الجهل ... الحمية ... الكبر ... الحسد

ثانيا: بعض المسائل الخلافية

نفي الرؤية:

رؤية الله تعالى– وهي الإبصار بالعين المجردة– عند الاباضية كما عند المعتزلة مستحيلة على الانسان في الآخرة فضلا عن الدنيا، لأدلة نقلية صريحة وعقلية قاطعة.

أما عند الأشاعرة فالرؤية جائزة لكن ليس بالإبصار الذي بعرفه الإنسان في الدنيا، لأن حكم تلك الدار ليس كهاته. فالله يرى عند جمهور الأشاعرة بالأبصار لكن بدون حلول وكيف وجد، والاباضية لا يقتنعون من تأويل الفخر الرازي وأبو حامد الغزالي(ق ٥هـ/١١م) الرؤية بالعلم لأن حقيقة الله

تعالى لا تعلم وانما تعلم صفاته فقط، وذلك أنه لا بد للشيء المعلوم أن يتصور في ذهن العالم به وحقيقة الله تعالى لا تتصور(٢).

أما المعتزلة فأجمعت على أن الله لا يرى بالإبصار لكن اختلفت هل يرى بالقلوب- فقال أبو الهذيل العلاف(١٣٥-٢٣٥هـ) وأكثر المعتزلة ان الله يرى بقلوبنا(٣) - ويقصدون معرفة الله بالقلب وهذا تأويل مقبول لدى الاباضية والخوارج وطوائف من المرجئة والزيدية، أما الحشوية فتعتقد برؤية الله في الآخرة كما ترى جميع الأشياء المرئية في الدنيا.

على ان الاباضية والمعتدلين منهم خاصة (لا يمنعون أن يكون معنى الرؤية هو كمال العلم به تعالى) ومعرفة الله بالبصيرة القلبية فإذا كانت هنالك حالة لا تدخل تحت قيود الإدراك الإنساني عن طريق حاسة البصر المعهود لدى الإنسان ولا تؤدي إلى التحديد والتشبيه فلا مانع من ذلك، وهذا ما لم يثبته النص ولا سلم به العقل.

مسألة الخلود:

---

(١) (٧١) الإحراز: جمع حرز وهو حفظ الشيء وصيانته.

(٢) (٧٢) نور الدين السالمي، مشارق أنوار العقول، ص١٨٦.

(٣) (٧٣) الأشعري مقالات الإسلاميين، ج١، ص٢٦٥.

مسألة الخلود متعلقة بالعدل الإلهي وهذا متعلق بالوعد والوعيد وما ينتج عنه من ثواب وعقاب فالجزاء عند الله نوعان لا ثالث بهما لقوله تعالى:

{ فأما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك فعال لما يريد، وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ } (١)

وقال تعالى:

{ فريق في الجنة وفريق في السعير } (٢)

وبناء على هذا يكون مصير العبد الذي مات على كبيرة ولم يتب منها تعنتا وعصيانا جهنم خالدين فيها أبدا، وإذا كان من معاني الخلود طول المكوث فإن الأبدية تعني اللانهاية. ودفعا للالتباس أكد الله تعالى طول المكوث في النار بالبقاء الأبدي في آية الجن حيث يقول:

{ ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا } (٣).
والله لا يخلف وعده ولا وعيده كما لا تبدو له البدوات، يوافق الاباضية في هذا الرأي الخوارج والمعتزلة بينما يرى الأشاعرة أن العدل الإلهي يقتضي التمييز بين الموحد العاصي الذي خلط عملا سيئا مع أعمال حسنة وبين المشرك الذي لم تصدر عنه حسنة واحدة، وعلى ذلك فلا يعقل أن يجتمع الموحد والمشرك تحت حكم واحد ويخلدان في العذاب معا إلى الأبد، ومخرج ذلك أن ينال العاصي نصيبه من العذاب إلى أن يستوفي مقدار ذنبه ثم يلتحق بالسعداء في الجنة، وأيا كان نوع النعيم الذي سيلتحق به فإنه حكمه تغير – كان من زمرة أهل النار وأصبح مع أهل النعيم في الجنة، وهذا مالا يرضى به الاباضية، أما المرجئة "فتترك القطع على عقاب من لم يتب عن كبيرة حتى يموت"(٤) فيتولى الله أمره ان شاء عذبه وإن شاء نعمه.
خلق القرآن:

---

(١) ٧٤) هود الآية١٠٨.
(٢) ٧٥) الشورى، الآية ٧.
(٣) ٧٦) الجن الآية ٢٣.
(٤) ٧٧) عبد القاهر البغدادي، الملل والنحل ص١٣٩.

يدين الاباضية بخلق القرآن ويوافقهم في ذلك المعتزلة، والقرآن – كما يعتقد الاباضية – هو كلام الله ووحيه، وتنزيله ،وكتابه، واستقر في قلب محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق الوحي بواسطة جبريل عليه السلام وهو آخر الكتب المنزلة ومهيمنا عليها، جاء بلسان عربي مبين وهو الدستور الإلهي للشريعة الإسلامية.
وأدلة الاباضية على خلق القرآن كثيرة، نقلية وعقلية نذكر على سبيل المثال ما قاله الإمام أفلح(١) في رسالة له حول مسألة خلق القرآن، ويقول:" إذا ثبت أن كلام الله شيء لم يخل من أحد ثلاثة أوجه، أما أن يكون هو الله، أو يكون بعض الله كالجزء من الكل أو يكون غير الله فإنه هو الله ضاهوا اليعقوبية(٢)، فيكون الكلام هو المعبود، ويكون هو السميع البصير....وأجمعت الأمة أيضا ألا يوجد كلام إلا وثم متكلم قبل الكلام، ولو لم يكن المكلم قبل الكلام ولم يكن المكلم أولا بأن يكون مكلما من الكلام فيكون الكلام إذا هو المكلم، والمكلم هو الكلام، والكلام مكلما

مخاطبا، والكليم مكلما مخاطبا، فلم يجز أن يكون الكلام هو المكلم والمكلم هو الكلام ثبت ان هذا غير هذا.... وثبت وجوب الحدوث الثاني... وفي هذا إيجاب الخلق وإثبات وحدانية الصانع"(٣) ومن الأدلة الكثيرة ما يلي:

كل صفات القرآن دالة على الحدوث وكل حادث مخلوق.

الله وحده يوصف بالقدم فلو كان القرآن قديما لما كان الله متفردا بالقدم.

الكتب السماوية المنزلة ليست قديمة والقرآن واحد منها فهو ليس بقديم.

القرآن كلام محفوظ منزل متلو ومكتوب، ممكن فناؤه فهو حادث ممكن عدمه.

---

(١) ٧٨) أفلح عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي ثالث الأئمة الرستميين(١٩٠- ٢٤٠هـ).

(٢) ٧٩) اليعقوبية طائفة من النصارى تزعم ان عيسى عليه السلام هو الله.

(٣) ٨٠) رسالة الامام أفلح ذكرها أبو القاسم البرادي في الجواهر المنتقاة (مخطوط).

(٦٨/١)

يعرض الجدول التالي بعض الآيات التي ذكر الله فيها القرآن مقرونا بأفعال الحدوث، يقابلها الأفعال نفسها الدالة على الحدوث في غير القرآن من الأشياء

الفعل؟؟

ما قاله في القرآن الكريم؟

أنزل ... ما قاله في غير القرآن من الأشياء

جعل ... * وأنزلنا فيه بأس شديد : الحديد٢٥ ... * إنا أنزلناه في ليلة القدر :القدر١

* إنا نحن نزلنا الذكر : الحجر٩

صفة ... * وجعلنا الليل والنهار آيتين : الاسراء ١٢ ... * إنا جعلناه قرآنا عربيا : الزخرف٣

الحفظ ... * ومن الناس من يشتري لهو الحديث : لقمان٦ ... * أو يحدث لهم ذكرا : طه١١٣

* أفمن هذا الحديث تعجبون : النجم٥٩

صفة التشابه ... * وحفظناها من كل شيطان رجيم : الحجر١٧ ... * وانا له لحافظون : الحجر٩

التفصيل ... * والنخل والزرع مختلفا أكله والرمان متشابها وغير متشابه: الأنعام ١٤١ ... *كتابا متشابها : الزمر٢٣

* فيتبعون ما تشابه منه : آل عمران٧

السمع ... * وكل شيء فصلناه تفصيلا : الاسراء ١٢ ... *كتاب فصلت آياته : فصلت٣
الهدى ... * لقد سمع الله قول الذين قالوا : آل عمران١٨١
* الذين يستمعون القول... : الزمر١٨ ... * انا سمعنا قرآنا عجبا :الجن١
* وانا سمعنا الهدى :الجن١٣
* وانا لما سمعنا الهدى آمنا به: الجن ١٣؟
؟* أولئك على هدى من ربهم : البقرة٥؟

حكم الاباضية على مخالفيهم ومن أحدث في الدين:

دماء الموحدين حرام، ودارهم دار توحيد وإسلام إلا معسكر السلطان(١).

---

(١) ٨١) سنعرض للحديث بالتفصيل عن موقف الاباضية من معسكر السلطان في الفصل الثاني من الباب الثاني.

لا تحل غنائم المسلمين المحاربين إلا الخيل والسلاح وكل ما فيه قوة في الحروب، "أما الذهب والفضة فترد إلى أصحابها عند الغنيمة"(١) على خلاف موقف الخوارج الذين أجازوا الاستعراض وأحلوا دماء المخالفين وسبي نسائهم وقتل ذراريهم، ولعل هذا أوضح دليل على الاختلاف الذي يميز الاباضية عن الخوارج علما أن الاباضية يجيزون شهادة مخالفيهم ومناكحتهم والتوارث بينهم، أما دماء المخالفين فحرام في السر بل حتى في العلانية إلا في حالة حرب ودفاع عن النفس، وهذا ما لا تقول به الخوارج.

– موقف الاباضية ممن أحدث في الدين

لا فرق بين الاباضي وغيره إذا أحدث حدثا في دينه مما يقدح في إسلامه فحكم الاباضية واحد يطلق على كل موحد عاص وإنما اختلاف الحكم من قبيل نوع الحدث ودرجة المعصية.

فإن كان الحدث انكارا لله وللقرآن وللنبي عليه السلام خرج المحدث من ملة الإسلام، وصار مشركا حلال الدم والمال وتحرم مناكحته وموارثته، ويسمى بالملة التي دخل فيها ان كان يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا ويلحقه حكمها.

---

(١) ٨٢) عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٨٣.

وان كان حدثه معصية أوجبت له النار وهو مقر بالقرآن فيجري عليه حكم بقدر معصيته، وقد انتقضت ولايته، فإن تاب قبلت منه توبته، وإلا برئ المسلمون منه وإن كان حدثه في شبهة أو تأويل شبهة امتنع بحدثه صار باغيا يقاتل حتى يفئ إلى أمر الله، لا يتعدى عليه ولا يغنم ماله ولا تسبى له ذرية ولا تنكح له زوجة ما كانت في عدته ما أقر القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم وليس المنكر بالتأويل منكرا بالقرآن والنبي صلى الله عليه وسلم فإن ذلك لا يعد خروجا من ملة الإسلام والحكم فيه حكم نبي الله صلى الله عليه وسلم في ملته من أهل الانكار والتكذيب..."(١)

هذا مجمل رأي الاباضية فيمن أحدث من الأعمال أو الأقوال ما يمس به عقيدته أو يهدم به أعماله، وهو موقف وسط بين تسامح الأشاعرة وغلو الخوارج.

رأي الاباضية في الصحابة:

يقرر الاباضية المعاصرون بالإجماع(٢) أن الحث في أحداث من سبقنا كفتنة الصحابة مثلا ليس من وراؤه فائدة ولا أثر محمود ينفع الأمة، بل لا يزيد لها إلا تشتيتا(وعليه فالخير كل الخير للمسلم الذي يستبرئ لدينه وعرضه ،أن لا يفني عمره في التنقيب عن هنات أشخاص أصبحوا في ذمة التاريخ(٣).

---

(١) ٨٣) اكتفينا برأي الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم في موقف الاباضية ممن أحدث في الدين وهو يعبر عن رأي المذهب، أنظر تفصيل ذلك في رسالة للإمام عبد الوهاب لأهل طرابلس، ذكرها بواب بن سلام في كتابه شرائع الدين، (مخطوط) توجد نسخة مصورة منه عند الشيخ الناصر المرموري، القرارة ولاية غرداية، السالة في ص: ٢٦– ٢٧.

(٢) ٨٤) من الاباضية المعاصرين نذكر: ش.نور الدين السالمي، أبو اسحاق إبراهيم اطفيش، ش.بيوض إبراهيم بن عمر ش.أبو اليقظان إبراهيم، ش.عبد الرحمن بكلي، ش. علي يحيى معمر، ش.أحمد بن حمد الخليلي.

(٣) ٨٥) أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، تعليق في هامش كتاب قواعد الاسلام للجيطالي جـ١، ص٨٤.

ولعل أحسن تعبير عن رأي الاباضية في الفتن بين الصحابة، ما قاله العلامة خلفان بن جميل السيابي من علماء عمان ، توفي ١٣٩٢هـ) خلاصة قوله: "ان دماء الفتن طهر الله منها أيدينا فلنطهر منها ألسنتنا:

{ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون }

فالصحابة كلهم عدول في الولاية قبل الافتراق أما بعد الافتراق فمن توقف ولم يدخل في الفتنة فهو على حاله في الولاية، وأما الذين دخلوا الفتنة....فأصحابنا الأولون حكموا على كل ما عاينوه"(١) ولذلك نجد في بعض كتب الاباضية الأوائل أخبار عن أحداث الفتن يروونها كما سمعوها عن أسلافهم بكل انصاف دون غلو ولا مبالغة كما يفعل غيرهم.

فهذا أبو يعقوب الوارجلاني يذكر زلة عثمان بن عفان(رضي) ويعدها في أربعة أمور هي: استعمال أقاربه وصرفه لأموال الفيء في أقاربه وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتطرفه في يوم الدار(٢) مع العلم أن الوارجلاني لم يكتف بالنظر إلى مآخذ عثمان فقد ذكر حسناته وامتدحه في أيامه قبل احداثه في الدين، والشيء نفسه بالنسبة إلى الخليفة الرابع علي بن أبي طالب (رضي) فكتب عنه بأمانة مبينا ما له وما عليه، ويذكر من زلاته التحكيم، وقتله لأصحاب النهروان وقد نهوه عن التحكيم، وفيهم المحق والمبطل(٣) فالوارجلاني لم يكفّر هنا الصحابة ولا أتباعهم كما يفعل الخوارج ثم أنه يعترف بوجود المحق والمبطل بين أهل النهروان.

---

(١) ٨٦) أبو إسحاق إبراهيم اطفيش في هامش كتاب قواعد الاسلام للجيطالي، جأ١، ص٨٥، نقلا عن خلفان بن جميل السيابي (لم يذكر المصدر).

(٢) ٨٧) أبو يعقوب يوسف الوارجلاني، الدليل والبرهان، مط البارونية، القاهرة ١٣٠٦هـ، طبع مجري، ص١٤.

(٣) ٨٨) المصدر السابق، ص١٥

أما الشيخ محمد يوسف اطفيش (توفي ١٩١٤م) فيصرح بأن الصحابة كلهم عدول لأنهم ليسوا كغيرهم لما ورد في حقهم من نصوص صحيحة، وقد أحسن حين اختار الوقوف فيمن أدرك عثمان أو عليا وحضر ما انتقم عليهما فيه إلا أن صوب الخطأ أو خطأ صوابه(١) فالواجب على من لم يدرك الحق أن يقف كما وقف أبو عبيدة مسلم وشيخه جابر بن زيد عن الخوض في فتن الصحابة.

أما عن التهم التي توجه إلى الاباضية لأنهم يقدحون في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من كرامتهم فأنها لا تخلو من الغلو والمبالغة ذلك ان الاباضية ليسوا وحدهم في هذا المجال ولم يكونوا الوحيدين من الذين كتبوا عن الصحابة واحداث الفتن فقد شاركهم في ذلك الكثير من الكتاب والمؤرخين، وقد اتسم موقف الاباضية بتحري الحقيقة ولم يزيدوا على ان بينوا ما حدث سواء في عهد عثمان أو علي رضي الله عنهما بكل انصاف.

---

(١) ٨٩) محمد بن يوسف اطفيش، الذهب الخالص، ص٤٣، أنظر كذلك كتاب: ازهاق الباطل بالعلم الهاطل، طبعة حجرية الجزائر ١٣١٨هـ، ص٣١.

(٧٣/١)

ويصف الشيخ أحمد بن حمد الخليلي(معاصر) ما كتبه الاباضية انه "يتسم بالأدب والحشمة وتعظيم مقام الامام علي واحترام قرابته من النبي صلى الله عليه وسلم حتى في مقام العتاب"(١) ومع ذلك فالاباضية– كما يصرح به الشيخ الخليلي "مستعدون أن يطووا صحائف تلك الفتن التي حدثت في عهد صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا ينبسوا فيها ببنت شفة، ولا يخطون فيها حرفا واحدا ولكن لا بد من احترام أهل النهروان أيضا وعدم النيل منهم، فيجب على المسلمين جميعا أن يتساعدوا (...) حتى تعود للمسلمين وحدتهم، ولا يثيروا أشياء حدثت قبل ١٤ قرنا هم في ألف غنى عن إثارتها في هذا العصر الذي هم فيه أحوج ما يكونون إلى ما يجمع الشمل ويؤلف بين القلوب"(٢) وبهذا تتضح نوايا الاباضية الطيبة، وموقفهم من الاتهامات الباطلة.

الفصل الثالث

الاباضية والفرق الاسلامية

أولا: الاباضية والأشعرية

ثانيا: الاباضية والمعتزلة

ثالثا: الإباضية والشيعة

رابعا: الإباضية والخوارج

آراء الاباضية في الخوارج

خامسا: دعوة الاباضية إلى التقارب ونبذ الخلافات

أولا: الاباضية والأشعرية

يبدوا أن الخلاف لم يكن حادا بين الاباضية والأشاعرة خاصة في المسائل التعبدية أما العقيدة فقد حاول أبو يعقوب الوارجلاني حصر مواطن الخلاف بين الفرقتين فوجدها تتلخص فيما يلي:(٣)
أطلقوا– أي الأشعرية– على الباري صفات لها معاني قديمة ليست هي ذات الله فأوجبوا التغاير، وبمقتضى هذه المعاني كان الله موصوفا بها فبالعلم كان عالما وبالقدرة كان قادرا، فهي قائمة بالذات بينما عند الاباضية هي عين ذات الله سبحانه وليست زائدة عنه.

---

(١) ٩٠) أحمد بن حمد الخليلي، استجواب أجرته معه مجلة جبرين أفريل ١٩٨٤م ص٣٣.
(٢) ٩١) المصدر السابق، نفس الصفحة.
(٣) ١) الوارجلاني، الدليل والبرهان، جـ١، ص٣٨.

(٧٤/١)

وصفوا الله بالوجه واليدين وارأس والعينين، والقبضة والساق والاستواء والميل.... بينما ينزه الاباضية عن الله هذه الصفات والتشبيهات.
الكلام من المعاني التي وصفوه بها، وكذا الأمر والنهي المندرجين في الكلام والقرآن وسائر كتب الله المنزلة، كل ذلك من المعاني التي يوصف بها.
العدل والاحسان والفضل والمن والأنعام صفاته تعالى لكنها أفعال محدثة،
ويضيف الوارجلاني– أما الأشعرية لسنا مختلفين حول وحدانية الله وعدم حدوث المحدث وخصمنا جميعا الدهرية الضالة.
وفي الحديث عن الاشعرية تشير إلى أن العلاقة بين الاباضية وأهل السنة حسنة وتشهد تقاربا ملحوظا في الآراء والأفكار. إذا استثنينا بعض المسائل المختلف حولها كالخلود والقدرة، وخلق القرآن ولذلك نجد الكثير من الدارسين للفكر الاسلامي يثبتون هذا التوافق فلا يذكرون الاختلاف بين الاباضية وأهل السنة إلا أحيانا(١)

---

(١) ٢) أجناس جولد تسيهر العقيدة والشريعة في الاسلام، ص١٧٣.

(٧٥/١)

ويشير ش. محمد أبو زهرة إلى هذا التقارب فيقول عن الاباضية أنهم "أكثر الخوارج اعتدالا وأقربهم إلى الجماعة الاسلامية تفكيرا. فهم أبعدهم عن الشطط والغلو"(١) الا أنه كان من الأحرى أن يقول أقربهم إلى أهل السنة لأن في قوله "أقربهم إلى الجماعة الاسلامية" تلميح إلى أنهم ليسوا من الجماعة الاسلامية. وفي الواقع لا يحسن أن نرى الاباضية على أنها فرقة ليست من أهل السنة وان لا علاقة لها بالسنة إلا من حيث الاقتراب، لأن المعروف عن الاباضية أنها تولي عناية خاصة وعظيمة جدا للسنة النبوية، وهذا ما يثبته أحد الأساتذة المنصفين حين يقول: ان المدقق في المصادر الفقهية الاباضية يجد ان أصحاب المذهب الاباضي من أكثر المسلمين اتباعا للسنة الشريفة والاقتداء بها، أما ما تلصقه بهم بعض المصادر من تهم فإنما هو ناتج عن أحد أمرين الجهل أو التعصيب"(٢).

ومما يؤكد ذلك أن أئمة السنة الذين دونها واشتهروا بها انما جاءوا بعد جابر بن زيد(إمام الاباضية) بمدة طويلة(٣) فيكون جابر قد سبق علماء السنة ورواة الحديث ظهورا ولذلك "أقبل عليه نقله السنة للأخذ عنه فروى عنه البخاري ومسلم في صحيحيهما"(٤)

---

(١) ٣) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٧٦، جـ١، ص٨٥

(٢) ٤) عوض محمد خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الاباضية (الجامعة الأردنية عمَّان) ط٢ وزارة التراث القومي والثقافة، مط الشرقية، مسقط، د.تا، ص٥٤.

(٣) ٥) سالم السيابي (أبو هلال) (ق ١٤هـ) إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، تحقيق وشرح الدكتور سيدة إسماعيل كاشف، مطابع سجل العرب، القاهرة ١٩٧٩م، ص١٥

(٤) ٦) المصدر السابق نفس الصفحة.

أما الأمة الأربعة الذين هم أساس المذاهب الأربعة المشهورة (١) فأنهم جاءوا بعد جابر كذلك.

وبيان ذلك ان الامام أبا حنيفة لم يدرك من حياة الامام جابر سوي ثلاث عشرة سنة(٢).

أما لإمام مالك فلم يدرك الامام جابر سوي عشر سنوات على أقصى تقدير . أو سنة واحدة على أقرب تقدير. نظراً للاختلاف حول تاريخ وفاة الإمام جابر، والمرجع سنة وهي السنة التي وُلد فيها الإمام مالك (٣). أما مولد الإمامين الشافعي وأحمد بن حنبل فكان بعد ذلك التاريخ. وبهذا يكون

الامام جابر متقدماً على الأئمة الأربعة. إذاً فوجه الالتقاء بين الاباضية والسنة يتضح من شخصية الامام جابر بن زيد الذي ينسبه ياقوت الحموي (ت...٦٢٦هـ –١٢٢٨م) في معجمه إلى أهل السنة واعتبره " أحد أئمة السنة من أصحاب عبد الله بن عباس" (٤) لكثرة ملازمته لعبدا لله ورواية الحديث عنه كما روى " عن عبد الله بن عمر وأبي هريرة وعائشة وغيرهم، وهو يعتبر من أبرز التابعين "(٥).

---

(١) ٧) الحنفية، المالكية، الشافعية، الحنبلية.

(٢) ٨) ولد الامام أبو حنيفة سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٥٠هـ (ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ١، ص٢١٨.

(٣) ٩) ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ١، ص٥٥٥– ٥٥٦.

(٤) ١٠) راجع ياقوت الحموي، معجم البلدان المجلد الثاني، ص٢٤٣.

(٥) ١١) صالح الصوافي، الإمام جابر بن زيد وآثاره في الدعوة رسالة ماجستير جامعة الأزهر، ١٤٠١هـ. سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة ١٩٨٣م، ص١٩٨.

(٧٧/١)

هذا بعض ما يتعلق بالتقارب والالتقاء بين أهل الآخر لم يكن على خلاف كبير مع أهل السنة. وحسبه أن يحظى بثقة الأمويين ويرتبط بعلاقة طيبة مع الخليفة عبد الملك بن مروان على غرار العلاقة القائمة بين الإمام جابر بن زيد والحجاج بن يوسف وان كان هذا الأخير لم يكن على علم بحقيقة الانتماء المذهبي لجابر. بينما عبدالله بن اباض "كان المجاهد علناً. المناضل في سبيل تحقيق الحقائق. وتصحيح قضايا العقول فيما أحدثه أهل المقالات. وكان شديداً في الله تعالى له مناظرات مع أهل النطس والتفلسف"(١) وكانت أقاويله كما يذكر أبو العباس المبرد أقرب الأقاويل إلى السنة(٢) ويمكن القول بعد الذي تقدم ان الخلاف بين الاباضية وأهل السنة لم يكن حول الأصول . بل تمركز حول بعض الفروع الجزئية، يذكر منها الأستاذ أحمد أمين مسألة الزواج، فيقول عن الاباضية " أنهم لا يرون الزواج يصح إلا فيما بينهم"(٣) وهذا غير صحيح لأنه لم يرد في مؤلفات الاباضية قول من هذا القبيل، وهو مستبعد اللهم إلاّ أن يكون الاباضية يشترطون شروطاً ذات طابع إسلامي لتمسكهم بالمبادئ الشرعية فيتعذر لغير الإباضي الالتزام بها، والواقع يثبت في موضع آخر من كتابه فجر الإسلام (٤)، ان الاباضية " لم يغالوا في الحكم على مخالفيهم

كالازارقة بل قالوا . يحل التزاوج منهم ويتوارث الخارجي وغيره ونزعتهم أميل الى المسالمة".

---

(١) ١٢) سالم بن حمود السيابي إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، ص,٥٠

(٢) ١٣) أبو العباس المبرد، الكامل، مط التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٥٥هـ ،ص,٢١٤

(٣) ١٤) أحمد أمين، ضحى الاسلام، دار الكتاب العربي، ط١٠، د.تا، جـ٣، ص,٣٣٧

(٤) ١٥)أحمد أمين، فجر الاسلام، دار الكتاب العربي، ط١١، بيروت ١٩٧٩م، ص٢٦١.

وفي مسألة الامامة يتفق الاباضية مع أهل السنة في وجوب الإمامة، وان (طريق عقد الإمامة هو الاختيار بالاجتهاد، وانه ليس للنبيء صلي الله عليه وسلم نص على إمامة واحد بعينه خلاف قول من زعم من الرافضة أنه نص على إمامة علي (رضي الله عنه) نصاً مقطوعاً بصحته)(١). إلا أن أهل السنة وضعوا النسب من قريش شرطاً للأمامة (٢)، والاباضية لم يعتبروا القرشية شرطاً وانما تقدم من باب الأولوية. واتفق الفريقان أيضاً على تفضيل أبي بكر وعمر وعلي وعثمان (رضي الله عنهم) وأنهم جميعاً عدول، خلافاً للشيعة التي فضّلت عليّا عمّا سواه .

ثانيا: الاباضية والمعتزلة

يكاد يتفق المؤرخون ويجمع الدارسون للفكر الإسلامي علي أن التطابق الفكري ولاتفاق حول أصول العقيدة حاصل بين الاباضية و المعتزلة في أغلبية آرائهم سواء المتعلقة بأصول العقيدة أو الكلام، أو السياسة(٣). وفي كثير من الأحيان يؤدي هذا التقارب إلى عدم التمييز بين الفرقتين وهذا ما جعل المؤرخ البكري يصف الاباضية بالمعتزلة وسماهم الواصلية الاباضية .

---

(١) ١٦)عبد القادر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٣٤٠.

(٢) ١٧) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) ١٨) أنظر الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، المنيرية، القاهرة د.تا، ص٣٢، ٤٢، أحمد أمين، ضحى الاسلام، جـ٣، مهدي طالب هاشم، نشأة الحركة الاباضية في المشرق العربي، ص٣٠٥، أجناس جولد تسيهر، العقائد، ص١٦٣، ٢٨١، وانظر كذلك نيلينو الفونسو في: أنظر كذلك تادوز لويسكي: T. Lewitcki, E.I. 2e ed T.3

أما ابن تيمية فيصف المعتزلة أنهم مغانيث الخوارج(١) ذلك ان واصل بن عطا وافق الخوارج في تخليد أصحاب الكبائر في النار إذا ماتوا ولم يتوبوا(٢)، ومن المسائل الكثيرة التي يتفق عليها الاباضية والمعتزلة نذكر منها: الوعد والوعيد، ويترتب عنها الاتفاق على الخلود في النار– كما أشرنا– وخلق القرآن. وان الله لا يرى في الجنة وان الله لا يغفر الكبائر إلا بالتوبة، وحصل الاتفاق على وجوب "العقل للواجبات والتكاليف بمجرده وباستقلال عن الشرع. وفي تأويل آية الاستواء والمتشابهات عامة"(٣) وفي مجال السياسة يتفق المعتزلة مع الاباضية في وجوب الامامة على الامة لحفظ الدين والمصالح الدنيوية وفي أحقية كل مسلم في منصب الامام.

ولكن هذا التوافق بين آراء الفريقين يجعلنا نتساءل عن التأثير بينهما وأيهما أخذت عن الأخرى؟

يقول المستشرق الفونسو نيلينو: لاحظ جولد تسيهر(٤) أن رسالة العقيدة الاباضية لعمر بن جميع التي نشرها موتيلينسكي تضعنا أما أقوال ذات طابع معتزلي واضح" ويورد شاهدا على ذلك المسائل الآتية:

ليس من الممكن رؤية الله تعالى في الآخرة.

تأويل بعض مسائل الحياة الأخرى تأويلا مجازيا (كالميزان والصراط).

---

(١) ١٩) انظر عمار طالبي، أبو عمار عبد الكافي والنسق الكلامي، مقال في مجلة الأصالة العدد ٤١.

(٢) ٢٠) عمار طالبي، آراء الخوارج الكلامية، جـ١، ص١٨٤.

(٣) ٢١) المرجع السابق نفس الصفحة

(٤) ٢٢) في مجلة تاريخ الأديان، مح رقم ٥٢ سنة ١٩٠٥م، ص٢٣٢.

كل تشبيه ظاهر وبخاصة استواء الله على العرش يجب تأويله تأويلا مجازيا(١)... ومما يشير التساؤل أكثر ان الجزء الأكبر من الاباضية في شمال أفريقيا يتنبئون آراء المعتزلة بل هم معتزلون– كما يقول الفونسو نلينو(٢) لذلك يتساءل هل هم أخذوا مبادئ الاعتزال وهم في الشرق قبل أن ينزحوا إلى بلاد المغرب، أم هم تقبلوه في شمال أفريقيا تحت تأثير اتصالهم بالادارسة من الشيعة؟... لكن كيف يغيب عن الأستاذ نلينو أن أرض المغرب لم تشهد الاعتزال قبل نزوح الخوارج إليها؟.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ألا يكون سبق الاباضية على المعتزلة دليلا على تأثير السابق في اللاحق؟ وليس العكس كما يرى المطلي من أن الخوارج ظهر فيهم " مذاهب المعتزلة فمنهم من ترك مذهبه وقال بالاعتزال"(٣) وان صح هذا الرأي فأنه ينطبق على الخوارج وليس على الاباضية، لأنه لم يرد عن الاباضية أنهم غيروا في آرائهم، اللهم ما ورد عن أبي كريمة وحمزة الكوفي وعطية والحارث أنهم أحدثوا في عهد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (خليفة جابر في إمامة الاباضية) بقولهم بالقدر على رأي المعتزلة فتصدى لهم أبو عبيدة وعزلهم عن المجتمع الاباضي وتبرأ منهم(٤)

---

(١) ٢٣) عبد الرحمن بدوي، التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية، ص,٢٠٤

(٢) ٢٤ المرجع السابق ،نفس الصفحة.

(٣) ٢٥) عمار طالبي، آراء الخوارج الكلامية، جـ١، ص١٨٥، نقلا عن الأسفراييني، التبصير في الدين، ص٥٤.

(٤) ٢٦) مهدي طالب هاشم، نشأة الحركة الاباضية في المشرق، ص٣٠٥.

هذا في المشرق، أما في شمال أفريقيا فإن المصادر الاباضية تشير إلى الصراع الذي كان سائدا بين الاباضية والواصلية، وهو صراع يقوم على المناقشات الكلامية حول المسائل الخلافية بين المذهبين. وان قلت. ولم تشر هذه المصادر إلى تأثير أحدهما في الآخر إلى حد أن يتخلى أحد الجانبين عن آرائه، والجدير بالذكر ان الصراع كان فكرياً في بداية الأمر ثم تحول إلى صراع مسلح (١) ويبدو ان الصراع الفكري بين المعتزلة والاباضية كان قديماً ففي عهد أبي عبيدة يذكر الدرجيني في طبقاته أن واصل بن عطاء المعتزلي كان "يتمنى لقاء أبي عبيدة ويقول لو قطعته قطعت الاباضية ..."

فلقيه في الطواف يوماً فقال واصل: انت ابو عبيدة؟ قال: نعم، قال انت الذي بلغني انك تقول ان الله يعذب على القدر؟ قال أبو عبيدة ما هكذا قلت. لكن قلت أن الله يعذب علي المقدور، فقال أبو عبيدة أنت واصل بن عطاء قال نعم قال أنت الذي بلغني عنك أنك تقول: ان الله يعصى بالاستكراه، فنكس واصل رأسه فلم يجبه بشيء (...) وقال لأصحابه: ويحكم بنيت بناء منذ أربعين سنه فهدمه وأنا قائم فلم أقعد، ولم أبرح مكاني(٢)، فيتضح لنا مما سبق ان الاباضية

والمعتزلة تتفقان في كثير من المسائل الكلامية لكن ما قيل عن الاباضية أنها تأثرت بالمعتزلة وأخذت عنها وتبنت مقالاتها في نفي الصفات وخلق القرآن(٣)

---

(١) ٢٧) راجع أبي زكريا يحيى بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق إسماعيل العربي، ط٢، دار المغرب الاسلامي، بيروت ١٩٨٢م، ص١٠١ وما بعدها، انظر كذلك أبو العباس الدرجيني طبقات المشائخ بالمغرب جـ١، ص٦٠. أما ابن الصغير(ق ٣هـ) لم يشر الى الصراع مع المعتزلة راجع كتاب أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق د.محمد ناصر إبراهيم، بحار المطبوعات الجميلة، الجزائر ١٩٨٦م.

(٢) ٢٨ الدرجيني، طبقات المشائخ، بالمغرب، جـ٢، ص٢٤٦.

(٣) ٢٩ أحمد أمين، ضحى الاسلام، جـ٣

عمار طالبي، آراء الخوارج الكلامية، جـ١، ص١٨٥ نقلا عن ابن تيمية.

محمد بلعراد، الحركة الاباضية في تاهرت، مجلة الأصالة العدد٤١ ،ص٤٤.

(٨٢/١)

يحتاج إلى مراجعة، بدليل أن هذه المقالات لم تكن مذاعة بين الناس قبل ظهور الجهمية(١) في أوائل المائة الثانية للهجرة، وعليه فإن الاباضية لم تكن آراؤهم في التوحيد قد تبلورت إلا في أوائل القرن الثاني، فإن هذا الرأي وان كان يبدو معقولاً لكننا لا نستطيع القطع به لأن القائلين به اعتمدوا على المصادر التاريخية وكتاب المقالات دون الرجوع ألى تصانيف الاباضية .

---

(١) ٣٠ أتباه جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار الى الأعمال ونفي الاستطاعات كلها، عبد القادر البغدادي، الملل والنحل، ص١٤٥. وجهم بن صفوان الراسبي يكثر ذكره في التاريخ، قال عنه الطبري انه كان كاتبا للحارث بن سريع الذي خرج في خرسان في آخر دولة بني أمية(أنظره في حوادث سنة ١٢٨هـ) وجهم من الجبرية الخالصة، ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء، انظر الملل والنحل للشهرستاني (١– ١١٣) محمد محي الدين في هامش مقالات الأشعري جـ١، ص٢٢٤.

(٨٣/١)

ولعل أحسن معتمد يمكن الرجوع إليه مسند الامام الربيع بن حبيب الذي أخذ العلم عن أبي عبيدة بن جابر بن زيد، الذي كرس حياته لخدمت العلم فكان يسأل عن دينه وعقيدته فضلا عن مسائل العبادات والمعاملات، ولذلك نجد المسند مفعماً بالأحاديث النبوية التي تعالج أصول الدين ومسائل العقيدة، وقد رتبها الشيخ أبو يعقوب وجمعها وبلغ عددها ١٤٠حديثاً حول الإيمان والتفكير والشرك والقدر، وتعظيم الله عز وجل، ونفي التشبيه والاستواء (١)... وبعد هذا فلا يمكن القول ان الاباضية لم يهتموا ببعض مسائل العقيدة حتى ظهرت مقالات الجهمية والمعتزلة فاطلعوا عليها ثم تبنوها وإذا كان لابد من التأثير فليكن من جانب المعتزلة كما يقول عثمان بن عبد العزيز الناصري الحنبلي (ق١٣ هـ) الذي يقرر ان المعتزلة أخذوا عن الخوارج فيقول:(وأما المعتزلة فغالب مذهبهم في الأمة مكتسب من مذهب الخوارج)(٢). وهذا الرأي أقرب الى الاحتمال نظراً لتقدم الامام جابر بن زيد على رؤوس المعتزلة، وتبلورت الآراء الاباضية قبل ظهور مقالات الخوارج والمعتزلة والجهمية، وأهل السنة، وهذا ما أكده الامام الشيخ بيوض (ت ١٤جانفي ١٩٨١م) عندما ناقش هذه المسألة حيث يقول: إذا كان واصل قد لزم مجلس الحسن البصري عشرين سنة قبل ان يعتزله كما ذكر الشيخ أبو يعقوب الوارجلاني(٣). مع أننا لا نعلم على وجه التحديد السنة التي اعتزل فيها واصل مجلس الحسن، الا أنه ستفاد من مجموع الروايات والتواريخ ان ذلك كان في أواخر أيام الحسن أي في أواخر القرن الأول للهجرة، وعلى ذلك يكون امام الاباضية متقدما كثيرا على امام الواصلية والمعتزلة، وتكون فلسفة الاباضية في الادارة الإنسانية والعدل الإلهي(القدر) قد تبلورت قبل أن

---

(١) ٣١ راجع الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب، الجزء الثالث.

(٢) ٣٢ عمار طالبي، آراء الخوارج الكلامية، جـ١، ص١٨٦.

(٣) ٣٣ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، الدليل والبرهان، جـ١، ص١٥.

يظهر واصل بن عطاء ومذهبه)(١) بدليل ان الاباضية قد ناقشوا مسألة استحالة رؤية الله ومسألة الاستواء بحضور بعض الصحابة كعائشة وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر، فهل يمكن القول: أن المعتزلة تأثرت بالاباضية وأخذوا رأيهم في مسألة الرؤية والاستواء مع ان الاباضية قد سبقوهم إليها؟ علما ان المعتزلة تستدل على مقالتها بنفس حجج الاباضية– لا اعتقد ان منصفا يقول ذلك.

ورب قائل يقول: ان الاباضية لم تكن تمثل فرقة دينية تقوم آراؤها على النظر العقلي والحجج المنطقية وانها لم تشتغل بالدرجة الأولى بقضايا العقيدة، وأصول الدين كما اشتهرت بذلك المعتزلة التي تعد فرقة دينية لأنها نشأت من اشتغالها بأصول العقيدة فكانت آراؤها تتعلق بالتفكير الديني بينما الاباضية والخوارج لا تمثل فرقا دينية لأنها نشأت حول التفكير في السياسة ولا شأن لها بالعقائد إلا بالعرض إذن حزب ديني كما يفصل د.عبد الحليم محمود(٢).

---

(١) ٣٤ إبراهيم بن عمر بيوض، في رسالة له الى أ.منير سلطان، ذكرها الشيخ علي يحيى معمر في كتابه الاباضية بين الفرق الاسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث، مكتبة وهبة، ط١، القاهرة ١٩٧٦، ص٢٤٠.

(٢) ٣٥) د.عبد الحليم محمود ، التفكير الفلسفي في الاسلام، ط٣، دار النصر للطباعة، القاهرة ١٩٦٨م، جـ١، ص١٠٥ وما بعدها.

(٨٥/١)

لكن الواقع يثبت ان الاباضية لم تترك مسألة في الفقه والمعاملات والأخلاق العامة كما في السياسة فضلا عن مسائل العقيدة إلا وتناولتها بالبحث والدراسة وحددت رأيها فيها أما عن منهج التفكير المعتمد لدى الاباضية فهو لم يسلم من النقد فقد شاع لدى المؤرخين والباحثين أن الخوارج عامة ليس لهم منهج عقلي الا ان د.عمار طالبي يقرر بعد بحث مستفيض حول مقالات الخوارج فيقول: "ان الخوارج لم يكونوا من أهل الظاهر وانما كانوا من ذوي منهج عقلي وتأويل للنصوص بما يتفق مع أصولهم، فالمعتزلة ان هم إلا تصوير لأصول الخوارج الأولى"(١) علما ان د.عمار طالبي يعد الاباضية فرقة خارجية.

وجملة القول ان العلاقة بين الاباضية والمعتزلة متقاربة يجمع بينهما موافقة واسعة في أغلب مسائل العقيدة وأصول الدين، وليس ذلك غريبا ما دام المنهج واحد يعتمد على التفكير العقلي والأدلة المنطقية في حدود النصوص الشرعية....

ثالثا: الإباضية والشيعة

قبل وقعة صفين لم تكن الامة الاسلامية تعرف التحزب السياسي ولا الانقسامات المذهبية كان الجميع يعيش في وئام تحت قيادة رشيدة، وفي ظل الوحدة التي أذابت النعرات القبلية والعصبية الجاهلية، لكن هذه الوحدة لم يدم حالها بسبب الفتن ومنها وقعة صفين التي أفرزت شقين في

صفوف الامام علي طائفة وقفت إلى جانبه تناصره وتبارك خطواته ومنها فرقة الشيعة، وطائفة نقمت عليه ما أحدث بقبوله التحكيم ومنها فرقة الاباضية.

---

(١) ٣٦) د.عمار طالبي، أبو عمار عبد الكافي والنسق الكلامي، الأصالة العدد٤٤، سنة ١٩٧٧م.

(٨٦/١)

فأساس الخلاف بدا في ظروف سياسية، ثم شمل العقيدة فبالغت الشيعة في تقديس الامام علي– كرم الله وجهه– إلى درجة التأليه، واعتقدوا أنه معصوم من الخطأ لأنه وصي الرسول الكريم ففضلوه على غيره من الصحابة، وقالوا ان الامامة واجبة وهي حكر على نسل علي في آل البيت. في الحين الذي رفضت فيه الاباضية هذه المقالات على أنها ليست من الإسلام في شيء مع الاحترام الكامل للإمام علي رضي الله عنه والاعتراف بمكانته وفضله على الاسلام أما الامامة مع كونها واجبة فهي ليست من اختصاص آل البيت دون غيرهم بل هي حق مشاع بين المسلمين لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى مع الاحتفاظ بالأولوية للقرشيين أن تساووا وانطلاقا من المبادئ العامة لكل من الشيعة فإن احتمال الاتفاق والتقارب بين الفرقتين يبقى للتناقض الصارخ بين الآراء من جهة ولتعدد مواطن الاختلاف بين المذهبين من جهة أخرى وابرازها تمسك الاباضية بالمبدأ الشرعي الصحيح على حساب كل شيء مهما عظم ولو كان علي بن أبي طالب ويقابل هذا تمسك الشيعة بمبدأ الأفضلية للإمام وتعظيمه ولو على حساب النص الصريح.

وفي سبيل المقارنة بين مواقف الشيعة والخوارج يذكر ابن تيمية كثيرا من الأمثلة. مع ميله للخوارج– والاباضية منهم في رأيه– لأنهم لأقرب إلى الحد من الشيعة وأصدق وأعقل وأكثر اتباعا للحق منهم(١) وهم أهل دين ظاهرا وباطنا وإن كانوا أصحاب ظلالة وجهالة ومروق– في نظره– ويذكر ان حجة الخوارج أقوى من حجة الشيعة، وان تدينهم أصح لأنهم لا يكذبون(٢). بينما الشيعة– كما يقرر ابن تيمية– تكذب النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الصحابة كذبا كثيرا أما الخوارج فلا يفعلون ذلك(٣).

---

(١) ٣٧) عمار طالبي، آراء الخوارج، جـ١، ص١٨٢، نقلا عن ابن تيمية في منهاج السنة.

(٢) ٣٨) المرجع السابق، نفس الصفحة، نقلا عن ابن تيمية منهاج السنة ج٢، ص١٩٧.
(٣) ٣٩)المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٨٧/١)

وهكذا نلاحظ ان أسباب الخلاف كثيرة ودواعي الاتفاق قليلة، ورغم ذلك لم يشهد التاريخ مشادات عنيفة بين الشيعة والاباضية كما لم يسجل التاريخ صراعات مسلحة بين الطائفتين ولعل السبب يعود في ذلك إلى وجود عدو مشترك ممثلا في السلطة الحاكمة التي كانت تحارب باستمرار مذاهب الخوارج والشيعة على السواء. ولذلك توجه اهتمام المذاهب المضطهدة إلى التصدي للحكم القائم ومحاولة تغيير الأوضاع، وسواء نجحت في مسعاها أم فشلت فإن ذلك حال دون اقتتال الخوارج والشيعة فيما بينهم. وأكثر من ذلك نجد أخبارا تشير إلى قيام علاقات ودية بين الاباضية والشيعة، كتلك التي ذكرها الجاحظ عن هشام بن الحكم وعبدالله بن زيد الاباضي أنهما كانا متصاحبين وكانت بينهما شركة في التجارة(١). وليس غريبا إذا علمنا أن الاباضية يكنون لأخوانهمن في الدين كل التقدير والاحترام فهم لا يستعرضون ولا يبادرون بالقتل إلا في حالة الضرورة وبعد إقامة الحجة على خصمهم، حسبما عليه أصولهم ولدينا أمثلة في تاريخ الاباضية تشير إلى نواياهم الطيبة في التعايش السلمي مع مخالفيهم...ففي عهد الدولة الرستمية التجأت طوائف كثيرة من الشيعة إلى الدولة الرستمية ففتحت لهم هذه الأخيرة ذراعيها ورحبت بهم وأكرمتهم وعرفت لهم مقامهم الرفيع ومقام جدهم علي بن أبي طالب، وقد وجد العلويون- وهم أبناء محمد بن سليمان العلوي أخو إدريس الأكبر مؤسس الدولة الادريسية- وجد هؤلاء في الدولة الرستمية- كما يقول أ.محمد علي دبوز(٢) من الإجلال والتعظيم ما جعلهم سادة في المدن التي نزلوا فيها.

---

(١) ٤٠)المرجع السابق، ص١٨٣، نقلا عن الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص٥٤- ٥٥.
(٢) ٤١) أنظر محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ط١، ١٩٦٣م، ج٣، ص٣٣٦- ٣٣٧.

(٨٨/١)

وليس غريبا عن الاباضية أن يعاملوا مخالفيهم بهذا التعامل الأخوي ما دامت تعاليمهم تحث على التقارب وجمع الشمل وقد سعى أئمة الاباضية منذ البداية على ان تكون دعوتهم عبارة عن حركة إسلامية شاملة. وبالفعل كانت كذلك فانتشرت شرقا وغربا واجتذبت عناصر مختلفة من قبائل وأجناس لا فرق بين مسلم وآخر. وهذا أبو حمزة الشاري يقف على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة يخاطب جموع الناس من مذاهب شتى ويقول:" الناس منا ونحن منهم إلا عابد وكفرة الكتاب وإمام جائر" وفي خطبته بالمدينة قال: الناس منا ونحن منهم إلا ثلاثة: حاكم بغير ما أنزل الله وتبع له وراض بعمله(١).

وفي ظلال هذا الشعار تعايش الاباضية والشيعة في سلام. أما عن الخلافات الفكرية فيلخصها ش.عبد العزيز الثميني في ثلاثة أمور هي :"قولهم في الامامة بالأولى مع تركهم التخطية لكل من ولي ثم تجويزهم لعلي تحكيم الحكمين وقولهم بتشريك أهل التأويل ممن زعم ان الله يرى يوم القيامة"(٢) وفيما عدا ذلك يشترك الاباضية والشيعة دونما خلاف أما الخلافات الجزئية فلا تؤخذ مقياسا للتباين بين المذاهب وسببا للصراع بينها.

رابعا: الإباضية والخوارج

من هم الخوارج؟ وما علاقة الاباضية بالخوارج؟ ما رأي الاباضية في الخوارج؟ هل الاباضية خوارج؟

---

(١) ٤٢) الدرجيني، طبقات المشائخ، ج٢، ٢٦٧، ٢٦٩.

(٢) ٤٣) عبد العزيز الثميني، معالم الدين(مخطوط) ورقة٣٤٢ في خاتمة المعالم.

أسئلة كثيرة تفرض نفسها في الموضوع، تعرض لها كل باحث في تاريخ الفرق الاسلامية، والمذاهب الكلامية رغم ذلك لم يحسم الخلاف بعد في مسألة الخوارج وعلاقتهم بالاباضية، ولا يزال الأشكال مبسوطا للبحث والتحقيق، ما دام حول الموضوع آراء متضاربة، ان لم نقل متناقضة، وهذا ما يدعو إلى التساؤل عما دها المؤرخين وكتاب المقالات والمشتغلين بتاريخ الفلسفة الاسلامية أن يخلطوا إلى قول يفصل النزاع ويوحد الرأي خصوصا وأحداث القضية لا تزال قريبة ومصادر تاريخها متوفرة.

والحقيقة أن مسألة كهذه لا أرى ما يلزم الوقوف عندها طويلا فما أحوجنا للبحث فيما هو أجدر

بالاهتمام في تاريخ أمتنا وحاضرنا ومستقبلنا. وما أحوج المسلمين اليوم إلى التعارف الكامل والتقارب ونبذ الخلافات المذهبية على ان المذهبية لا تزول بالقوة والغلبة انما زوالها بالمعرفة والتعارف والاعتراف.

نتطرق في بحثنا لمسألة الخوارج، لما لها من علاقة وثيقة بموضوع البحث، ولا نزيد على أن نعرض باختصار أهم ما قيل في الموضوع مع ابداء فيه ثم استخلاص القول الأقرب إلى الحقيقة.

يقول د.عمار طالبي: ان الاباضيين المتأخرين ينكرون أن يمون مذهبهم مذهبا خارجيا أشد الانكار ويتبرأون من الخوارج أشد البراءة معارضين في ذلك ما كتبه أصحاب المقالات وما كتبه المؤرخون.....(١) والواقع ان انكار الاباضية تسميتهم بالخوارج لا يقتصر فقط على المتأخرين منهم لأننا نجد الأوائل كذلك يرفضون انتماءهم للخوارج، وأكثر من ذلك يتبرأون منهم ويكفرونهم. وهذا ما نستخلصه من رسالة عبدالله بن اباض الذي يحدد فيها موقف الاباضية من الخوارج ويتمثل الموقف في نقطتين:

---

(١) ٤٤) عمار طالبي، آراء الخوارج الكلامية، جـ١، ص٢٠٣.

أولهما اعتراف ابن اباض بموالاته للخوارج واتفاقه معهم من حيث المواقف السياسية فيقول: :هذا خبر الخوارج يشهد الله والملائكة انا لمن عاداهم أعداء ولمن والاهم أوليا..."(١) يقول هذا بعد أن ذكر المواقف السياسة للخوارج وتتلخص في انكارهم لعثمان بن عفان ما أحدث، وإنكارهم للزبير وطلحة حين نكثا، وانكارهم لمعاوية حين بغى، وإنكارهم لعلي حين رضي بالتحكيم.

والموقف الثاني، يتلخص في انكار ما أحدثه ابن الأزرق بخروجه عن الجماعة ومروقه عن الدين، فقال: "غير أنا نبرأ من ابن الأزرق وصنيعه وأتباعه"(٢) ويقصد بالصنيع أحداثه في الدين وبالاتباع الخوارج. ونجد الرأي نفسه عند أبي يعقوب الوارجلاني في الدليل والبرهان، فهو يرفض اطلاق لفظ الخوارج على الاباضية رفضا قاطعا، والخوارج عندهم المارقة والمرجئة والقدرية(٣) وفي ثنايا الكتاب يتهجم على الخوارج كلما ذكرهم ويبين مواطن خلافهم مع الاباضية.

ونجد من جهة أخرى ان الاباضية (قديما وحديثا) يتولون عبدالله بن وهب الراسبي، وعروة بن حدير وأخاه أبا بلال مرداس وحرقوص بن زهير السعدي وغيرهم ممن أنكروا التحكيم، ويتولون كذلك جميع الصحابة ممن شهد الفتنة أو لم يشهدها. أيجوز هذا أن نلحق الاباضية بالخوارج

لأنهم يوالونهم ويتفقون معهم في بعض المسائل، كيف نسميهم خوارج وهم أخذوا أصول دينهم عن الصحابة الكرام والتابعين العدول؟ أو بعبارة أخرى هل يشفع في الاباضية مواقفهم المعتدلة والقريبة من آراء السنة لنمنع اطلاق لفظ الخوارج عليهم رغم انحدارهم من طائفة المحكمة؟ علما ان الاتفاق حاصل بين المؤرخين على ان المحكمة خرجت عن معسكر علي(رضي) لقبوله تحكيم الحكمين فسميت بالمحكمة لرفضها التحكيم وبالخوارج لخروجها عن سلطة علي.

---

(١) ٤٥) عبدالله بن اباض، في رسالة كتبها الى عبد الملك بن مروان ذكرها البرادي في الجواهر

(٢) ٤٦) المصدر السابق.

(٣) ٤٧) أبو يعقوب الوارجلاني، الدليل والبرهان، جـ١، ص١٥.

(٩١/١)

ويبدوا بعد الذي تقدم ذكره ان الأشكال ينحصر في لفظ- الخوارج- وما دام الأمر كذلك فان الامام سيتضح بتوضيح معنى الخروج وتحديد مصطلح الخوارج وبعد ذلك يسهل اطلاق الاسم على المسمى.

يتفق الكثير من المؤرخين على ان لفظه "الخوارج" تطلق على "المحكمة" الأولى الذين أنكروا التحكيم- كما رأينا- حين خرجوا عن علي (رضي) يوم صفين بعد انعزاله وقد كانوا أقرب مناصريه خاصته، فلما حاربهم بالنهروان غذت هذه التسمية تطلق على كل من حضر النهروان- ضد علي (رضي) أو من قال برأيهم.

وذهب فريق آخر من الأصوليين وكتاب المقالات إلى ان الخوارج قوم من أمة الاسلام مرقوا من الدين وخرجوا عن الاسلام، بإنكارهم أصلا من أصول الدين كحالة(ابن الأزرق وأشياعه(....) فقد أحدث وارتد وكفر بعد اسلامه)(١) فرقع الخلط بين الخروج عن علي والخروج عن الدين، وأصبح أهل النهروان (المحكمة) في حكم الخارجين عن الدين، ولا يخلو هذا الحكم من الصدق باعتبار ان المارقين- أو الخارجين عن الدين- صادف أن ظهروا ضمن جماعة النهروان- فيما بعد- مما سهل على كتاب المقالات- في بلاط بني أمية وبني هاشم- أن ينعتوا أهل النهروان بالمارقين وذوي الأهواء وسموهم "خوارج".

والقول الثالث في الموضوع يفسر الخروج (بالجهاد في سبيل الله)(٢) استنادا إلى قوله تعالى: { ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله } (٣)

فإذا بحثنا في التاريخ بقصد إيجاد مكانة الاباضية ضمن المدلولات لكلمة الخروج وجدنا آراء متعددة لكنها تنحصر في النهاية بين موقفين أساسيين أولهما الحكم على الاباضية بأنها فرقة من الخوارج وثانيها ان الاباضية ليست من فرق الخوارج فأين المصيب من المخطئ في هذين الحكمين؟.

---

(١) ٤٨) عبدالله بن اباض في رسالته الى عبد الملك بن مروان.

(٢) ٤٩ علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ الحلقة١، ص١٩.

(٣) ٥٠ سورة النساء، الآية ١٠٠.

(٩٢/١)

أما أتباع ابن اباض وخاصة المتأخرين منهم فأنهم يرفضون انتسابهم للخوارج، ويدافعون عن ذلك بقوة في حين نجد منهم من يغض الطرف عن ذلك ويقبل بالتسمية على ان المقصود بالخروج للجهاد في سبيل الله أو الخروج سياسيا لا خروجا عن الدين ومروقا منه(١).

آراء الاباضية في الخوارج

نقتصر الكلام على ذكر أراء الاباضية في الخوارج لتحديد مواقفهم من القضية ولا نذكر مخالفيهم لسببين: أولهما وضوح موقف المخالفين وأجماعهم عليه والمتمثل في أن كلمة الخوارج تطلق على الخارجين عن علي(رضي)(٢) ومنهم الاباضية فهي فرقة من الخوارج. ثانيها ان المقام لا يتسع لمناقشة هذه المسألة لأتساعها وتشعبها إذ ليس بحثنا في التاريخ.

يقول عبدالله بن اباض(٣) في تعريفه للخوارج:(هم أصحاب عثمان الذين أنكروا عليه ما أحدث من بدعته وفارقوه....وهم أصحاب الزبير وطلحة حين نكثا وأصحاب معاوية حين بغى، وهم أصحاب علي بن أبي طالب حين بدل حكم الله، فهم فارقوا هؤلاء كلهم وأبوا أن يقروا بحكم البشر دون حكم الله وكانوا يتولون في دينهم نبي الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ويدعون إلى سبيلهم فهذا خبر الخوارج نشهد الله انا لمن عاداهم أعداء وانا لمن والاهم أوليا(....) بألسنتنا وقلوبنا(...) غير انا نبرأ من ابن الأزرق وصنيعه وأتباعه(٤).

فقد أقر عبدالله بن اباض أنه يلتقي مع الخوارج حين خرجوا عن الأئمة الذين بدلوا حكم الله بحكم البشر، وفي نفس الوقت يعلن براءته ممن خرج عن الدين. فتفهم من كلامه أنه لم يحشر نفسه مع الخوارج فهو ليس منهم لكنه يوافقهم في رأيهم.

(١) ٥١) عمار طالبي، آراء الخوارج الكلامية، جـ١ ص٣٠.

(٢) ٥٢) المرجع السابق من ص١٥ الى ٣٠.

(٣) ٥٣) له مواقف كلامية وجدالية، ولد في زمن معاوية وتوفي في زمن عبد الملك.

(٤) ٥٤) عبدالله بن اباض في رسالته الى عبد الملك بن مروان، البرادي الجواهر المنتقاة.

لكن الشيخ علي معمر (١٩١٥-١٩٧٩) يخالف ابن اباض في رأيه وهو يرى أن مدلول الخروج لا يلاحظ فيه المعنى السياسي النوري ولذلك لم تطلق هذه الكلمة عن قتلة عثمان، ولا على معاوية وجيشه ولا علي ان فندين(١). بل ويذهب إلى أكثر من ذلك وينكر أن تكون كلمة الخروج معرفة أيام صفين، حتى ان الفرق الخارجة عن الدين كالأزارقة والنجدات لم تتميز حينذاك عن المحكمة ، ويستدل في ذلك بحديث أم نافع بن خليفة:" إن الناس يومئذ على ثلاثة أصناف، صنف جبابرة وأتباعهم، وصنف فساق يشربون النبيذ ويضيعون الصلاة.... وليس هنالك صفرية ولا أزارقة ولا شكاك وانما الذين يسمون القراء....."(٢)

ونجد الرأي نفسه عند الشيخ التعاريتي الجربي الوهبي(أوائل ق ١٤هـ) حين يقول ردا على الشيخ محمد ابن مصطفى مفتي طرابلس (أوائل ق ١٤هـ): "وقولك أنهم من جملة الخوارج باطل"(٣) وهو يعني بالخروج السياسي لأنه يقول فيما بعد "ولا نقول بالخروج عن سلاطين الجور..."(٤).

وعن الخوارج- دائما يقول أبو يعقوب يوسف الوارجلاني(توفي ٥٧٠هـ/١١٧٤م) "وزلة الخوارج نافع بن الأزرق وذويه حين تأولوا قوله تعالى { وان أطعتموهم إنكم لمشركون } (٥) فأثبتوا الشرك لأهل التوحيد..."(٦).

(١) ٥٥) ابن فندين أنكر إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، سنة ١٧١هـ، علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، حلقة ١، ص٣٣.

(٢) ٥٦) علي يحيى معمر، الاباضية بين الفرق، ص٣٨٤.

(٣) ٥٧) سعيد التعاريتي، المسلك المحمود في معرفة الردود، ص٣٤.

(٤) ٥٨) المرجع السابق ص٣٤.

(٥) ٥٩) الأنعام، الآية ١٢١.

(٦) ٦٠) أبو يعقوب يوسف الوارجلاني، الدليل والبرهان لأهل العقول، جـ١، ص١٥.

(٩٤/١)

وقد رأينا أن عبدالله من رأي نافع بن الأزرق لو كان القوم مشركين لكان أصوب الناس "قاتله الله، من رأى رأي نافع بن الأزرق لو كان القوم مشركين لكان أصوب الناس رأيا وحكما فيما يشير إليه لكنه قد كذب وكذبنا فيما يقول"(١)

إذا فالخوارج في نظر الاباضية هم الأزارقة والنجدات والصفرية كانوا مع الاباضية فخرجوا عنهم بخروجهم عن الدين لما قالوا بتحليل الأموال والدماء بالمعصية. والحديث الوارد في الخوارج انما كان المقصود منه هؤلاء لأن في آخر الحديث (يستحلون الأموال والدماء بالمعصية والاباضية لا تستحلها)(٢)

أما الشيخ السالمي العماني (١٢٨٦هـ-١٣٣٢هـ) فنه يقر بخروج الاباضية لكن بمفهوم الجهاد إلى سبيل الله يقول في هذا الصدد: "ولما كثر بذل نفوسهم- أي الاباضية- في رضى ربهم وكانوا يخرجون للجهاد طوائف....سموا بالخوارج جمع خارجة وهي الطائفة التي تخرج في سبيل الله أخذا من قوله تعالى (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له....) فهذه هي أصل تسميتهم بالخوارج وهي تسمية محمودة وسبب مشكور، ولما فارقتنا الأزارقة والصفرية أخذوا عنا اسم الخروج "وانقلب المدح ذما واختصصنا باسم أهل الاستقامة"(٣) .

هذه آراء الاباضية في الخوارج- مجملة باختصار- قد تبدو لأول وهلة مختلفة حينا ومتوافقة حينا آخر لكن سرعان ما يزول الاختلاف حينما نأخذ مدلول كلمة الخروج بعين الاعتبار حيث لا تنصرف عن هذه الدلالات الثلاث.

١- الخروج من الدين وهو انكار الثابت القطعي من أحكام الدين أو مخالفة المقطوع به من النصوص.

٢- الخروج السياسي وهو نقض البيعة لأسباب مشروعة أو غير مشروعة.

٣- الخروج في سبيل الله واعلان الثورة ضد الظلم والكفر اعلاء لكلمة الله امتثالا لقوله تعالى:

---

(١) ٦١) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الملوك والأمم، جـ٤، ص١٤٠.

(٢) ٦٢) محمد بن يوسف اطفيش، الرد على العقبي، ص٢٥.
(٣) ٦٣) نور الدين السالمي، في هامش الرد على العقبي للقطب، ص٢٦.

{ ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله.. } (١).
ولو حكمنا العقل، للنظر في شأن الاباضية وما يناسبها من المدلولات السابق ذكرها لقلنا: أما الخروج بالمدلول الديني فإن التاريخ لم يثبت للإباضية مروقا ولا فسوقا فعقيدتهم وأصولهم ليس فيها ما قد يقدح وهي مدونة في أمهات الكتب فهم ليسوا خوارج إذن(٢).
أما الخروج بالمدلول السياسي فقد ثبت ان أهل النهروان فارقوا عليا والاباضية منهم، وكان ذلك اجتهادا منهم على ان البيعة قد سقطت عن أعناقهم بعد أن ظهر عجز الامام وفقده للحنكة السياسة وأصبح لا يتمتع بالأهلية والكفاءة ورضي بالتحكيم وما ينجم عنه، وليس في هذا الخروج مساس بالعقيدة. على "ان اطلاق اسم على مجموعة من الناس ليس بذي أهمية إذا كان هذا الإطلاق مجرد تسمية"(٣).
أما الخروج للجهاد فمطلب عظيم وغاية شريفة ومن لا يتمنى أن يقع أجره على الله وهو خارج في سبيله ولذلك لم يدخر الاباضية جهدا في طلب الشهادة وقد خرجوا ورغبوا للخروج جهادا في سبيل الله.
خامسا: دعوة الاباضية إلى التقارب ونبذ الخلافات

---

(١) ٦٤) سورة النساء، الآية ١٠٠.
(٢) *) باعتراف الأئمة المخالفين.
(٣) ٦٥ علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، الحلقة١، ص٢٠.

يغلب على ظن الكثير من الباحثين والدارسين للفكر الاسلامي ان الاباضية فرقة خارجية تفضل الانطواء والانغلاق حول نفسها وتؤثر العزلة على الاحتكاك بغيرها من الفرق (١) وقد وصف المؤرخون وكتاب المقالات أتباع الاباضية بأنهم أهل بدع وأهواء وضلال(٢) ونعوتهم بالمروق والغلو والتعصب ولا غرابة في ذلك لأمرين: الأول: اعتماد المؤلفين على مؤرخي الفرق وكتابة

المقالات، الذين يكتبون ويؤرخون انطلاقا من موقف مبدأي الدفاع عن كيان الدولة والتأييد الدائم للسلطة الحاكمة سواء أكانت أموية أو عباسية. ولهذا ينبغي على الكاتب أن يتصدى لكل التيارات المعارضة لنظام الحكم القائم وعليه أن يثبت– بأي طريقة– أن الأقلية الخارجة عن السلطة هي كذلك خارجة عن الدين، وحيث ان الاباضية تقرر أصولها السياسية بأن الخلافة منصب مشاع بين الناس يحق لكل مسلم إذا توفرت فيه الأهلية والكفاءة أن يتولاه، وهذا يعني: المعارضة الصريحة لنظام الحكم القائم على الوراثة، ولأجل ذلك عاشت الاباضية حياة الاضطهاد في كثير من مراحل تاريخها مما اضطر أتباعها إلى الدخول في الكتمان واخفاء أمرهم إلى حين استجماع قوتهم ماديا وفكريا ولعل هذا ما يفسره البعض بالانزواء والانغلاق.

الثاني: عدم اطلاع الدارسين على التأليف الاباضية والرجوع إلى مصادرهم والاكتفاء بتأليف المخالفين. ولعل السبب في ذلك يعود إلى نقص المصادر الاباضية وان صح هذا فسببه الظروف الصعبة التي كانت يعيشها الاباضية– كما أشرنا.

---

(١) ٦٦) انظر أجناس جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الاسلام، ترجمة محمد يوسف موسى عبد العزيز عبد الحق، علي حسن عبد القادر، دار الرائد العربي، بيروت، د.تا ص١٧٤.

(٢) ٦٧) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص١٥٦، عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٥٥، ٨٢ ، وانظر كتاب الملل والنحل، ص٥٧، ٧٩.

ومهما يكن من أمر فإن الباحث لا ينكر ما لاقته الاباضية من اضطهاد من طرف الحكام أو ببغض وكره من طرف المذاهب الأخرى أو تحامل واتهام بالزيغ ونعت بالخروج عن الدين من طرف المؤرخين وكتاب المقالات ورغم ذلك كله يتقبل الاباضية ذلك بحسرة ولا يقابلون بالمثل إلا نادرا في حالة الدفاع عن النفس إذا كان الأمر اقتتالا أو دفاعا عن الدين إذا بلغ الأمر انتهاكا لأصل من أصوله أو تعد لحد من حدود الله.

وفيما عدا ذلك فالتسامح والتجاوز عن الهفوات وكظم الغيظ من شيم الاباضية حرصا على التآلف والتقارب وجمع الشمل، أما الخلافات المذهبية فتراها الاباضية ناضجة عن الاجتهاد المشروع ومحاولة فهم الشريعة الاسلامية كتاب الله وسنة رسوله وهي المنبع الوحيد الذي تأخذ منه جميع الفرق، وانطلاقا من هذا المفهوم يرى الاباضية والمعاصرون خاصة: أن عهد المذهبية قد ولى

وزمان الصراعات بين الفرق الاسلامية قد فات أوانه، وأنه ينبغي الاعتراف "أن جميع الفرق والمذاهب الاسلامية تقف متساوية على صعيد واحد فليس فيها فرقة أفضل من فرقة ولا مذهبا خير من مذهب"(١)

"والحقيقة التي لا سبيل إلى إنكارها أن المسلمين في حاجة إلى التعارف الكامل في هذا العصر الذي تيسرت فيه وسائل اللقاء وفي حاجة إلى أن يطلعوا جميعا عل الحق الذي حمل كل فرقة جانبا منه"(٢).

والواقع أن كل فرقة إسلامية قد ساهمت في خدمة الاسلام من زاوية معينة فلا ينبغي لفرقة أن تعتبر نفسها ممثلة الاسلام وغيرها تابع.

---

(١) ٦٨) علي يحيى معمر، الاباضية بين الفرق الاسلامية، ص٥.

(٢) ٦٩) د.عمر خليفة النامي، مقدمة تحقيقه لكتاب قناطر الخيرات لإسماعيل الجيطالي، جـ١، ص٤.

(٩٨/١)

وبما أن الفرق نتجت عن اختلاف العلماء واجتهاداتهم فإن الآراء التي استخلصوها لا تخلو من الهفوات. ففي علم كل عالم مأخوذ ومتروك، وعليه فالأجدى بالمسلمين اليوم أن يبحثوا في إيجابيات الفرق ويستثمرها ويغضوا الطرف عن سلبيات المذاهب ما دام الاشتغال بها يورث الفرقة والصراع ولا ينكر أحد أن لكل فرقة إسلامية حسنات على الأمة لخصها ش.علي يحي معمر فيما يلي(١).

فضل الشيعة على الأمة جهدهم في إثبات حق آل البيت في الحياة وفي الحكم ولولا الشيعة لقضي جبروت بني أمية علي بني هاشم.

وميزة الخوارج كفاحهم المرير لما استنام المسلمون وسكتوا عن الانحراف بدولتهم من الخلافة إلى الملكية فقاوموا تسلط الديكتاتورية الملكية على الحكم في الاسلام وإخراجه من نظام الشورى إلى نظام الملك العضوض.

ولولا المعتزلة لكانت الفلسفة القديمة بما أوتيت من براعة الجدل وذكاء التمويه قد استطاعت أن تنحرف بعقيدة المسلمين عن الاسلام.

ولولا الاباضية لما كانت هناك حلقة في الاعتدال والتوسط بين الفرق المتطرفة فقد حاولت تقليل

التباعد بين الآراء سواء في العقيدة أو السياسة.

ولولا أهل السنة الذين ناصروا الدولة الأموية ثم العباسية لما بلغ العرب ما بلغوا من حضارة قوامها الاسلام أعطت دفعا قويا للحضارة الإنسانية.

ولولا الظاهرية والحنابلة الذين تمسكوا بالنص واعتمدوا عليه دون العقل لما خدمت النصوص الاسلامية على هذا المستوى العلمي الدقيق الذي نفتخر ونعتز به.

ولولا النزعة العقلية المتحررة من الفقهاء المعتمدة على العقل والمنطق في مناقشة النصوص والآثار لبقي الفقه الاسلامي تحت أثقال من الركود والجمود.

---

(١) ٧٠) علي يحيى معمر، الاباضية بين الفرق الاسلامية، ص٣٧٣- ٣٧٥.

هذا هو الإطار العام الذي يشمل الفكر الاسلامي وتتفق فيه الفرق الاسلامية كل واحدة بما تحمل من شعارات خاصة. فالكل متكامل والكل يخدم الوحدة الاسلامية. وهذا هو رأي الاباضية في طبيعة الفكر الاسلامي الذي ينبغي أن يكون حركة إنسانية شاملة تذوب فيها العصبية والطائفية لتحل محلها القناعات المذهبية التي تكمل بعضها البعض لتخدم الاسلام والمسلمين.

الفصل الرابع

الشيخ محمد بن يوسف أطفيش

(قطب الأئمة)

(١٢٣٦-١٣٣٢هـ /١٨١٨- ١٩١٤م)

أولا: حياته

نشأته وتعليمه

ب -شخصيته

ج - تلاميذه

د- موقفه من الاستعمار الفرنسي

ثانيا: تآليفه

ثالثا: فكره

المنحنى الكلامي

ب –فلسفة العلوم

جـ– المنحنى الأخلاقي والجمالي

أولا: حياته

أ– نشأته وتعليمه

(١٠٠/١)

في بلدة "آت يسجن"(١) إحدى قرى وادي ميزاب(٢) ولد الشيخ محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرحمن بن عيسى أطفيش(٣) سنة ١٢٣٦هـ /١٨١٨م(٤)، توفي والده في كهولته فذاق الابن طعم اليتم منذ سنة الرابعة، لكن أمه بالغت في الحنو عليه وعوضته برعايتها وحسن تربيتها ما فقده من أبيه(٥) فلما توسمت فيه بوادر النبوغ وشهدت فيه الذكاء والفطنة عهدت به إلى أحد المؤدبين لحفظ القرآن فختمه وأتقن حفظه وهو ابن ثماني سنوات(٦) وأسرع الطفل إلى دور العلم فزاحم بالركب زملاءه في حلق العلم، وأظهر ميلا قويا لحضور مجالس العلماء فنال المبادئ الأولى في اللغة وعلوم الدين.

---

(١) ١) وتسمى "بني يزقن" تقع في ولاية غرداية، تأسست عام ١٣٢١م، من اندماج خمسة قرى قديمة على مقربة من المدينة الحالية وهي: تيريشين، موركي، اجنوناي، تلافلالت، بوكياو، حسبما جاء في رسالة ش.اطفيش.

(٢) ٢) قرى وادي ميزاب هي: تاجنينت، بنوره، ملكية، غرداية، آت يسجن، القرارة، بريان.

(٣) ٣) يذكر الشيخ أبو إسحاق ان نسب ش.اطفيش ينتهي الى أبي حفص عمر بن الخطاب، انظر ترجمة القطب في مقدمة الذهب الخالص، أما أ.محمد علي دبوز فينهي نسب القطب الى عمر بن حفص الهنتاتي وإليه تنتسب العائلة الحفصية المالكة في تونس بعد الموحدين، وهو من قبيلة مصمودة البربرية انظر نهضة الجزائر جـ١، ص٢٩٠.

(٤) ٤) راجع: أبي اسحاق إبراهيم اطفيش، الدعاية الى سبيل المؤمنين، ص١٠٧، وكذلك محمد على دبوز نهضة الجزائر، الحديثة، جـ١، ص٢٩٠، وكذلك الذهب الخالص.

(٥) ٥) محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، جـ١، ص٢٩٠.

(٦) ٦) المرجع السابق، جـ١، ص٢٩٠.

(١٠١/١)

وعند رجوع أخيه الأكبر الشيخ إبراهيم بن يوسف اطفيش من رحلته العلمية في المشرق انقطع إليه الشيخ محمد اطفيش فأتم على يده دراسته الثانوية وأخذ كل مفاتيح العلوم الشرعية والعربية، كما درس عليه المنطق والحساب والفلك، ودرس عنه التفسير والحديث والفقه وأصول التشريع وعلم الكلام، وفي العربية: النحو والصرف والبلاغة كما درس التاريخ الإسلامي وتاريخ العالم كله(١)
وكان أساتذة الشيخ إبراهيم اطفيش قد رحل إلى المشرق لطلب العلم بعد ان تخرج في "آت يسجن" على تلاميذ الشيخ عبد العزيز الثميني(١١٣٠هـ/١٧١٨م – ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م). وفي المشرق أقام في عُمان مدة بتخصص في الشريعة واللغة العربية على علمائها ثم رحل إلى مصر وأقام فيها أرِع سنين لطلب العلم في الأزهر(٢). ولما عاد إلى وطنه الجزائر انتصب للوعظ والتدريس في "آت يسجن" إلى أن توفي حوالي ١٣١٠هـ، وترك تلاميذ كثيرين منهم الشيخ محمد اطفيش.

ومما يروى عن ذكاء الشيخ اطفيش وشدة نبوغه أنه لا يكاد يبدأ الكتاب في فن جديد...حتى يختم الكتاب بنفسه دون حضرة شيخه، وكان يقول الأساتذة: "حسبي من دروسك، إن شئت قررت الأبواب كلها وشرحت لك ما فيها"(٣)

---

(١) ٧) محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، جـ١، ص٣٠١.
(٢) ٨) المرجع السابق، ص٢٨٥.
(٣) ٩) المرجع السابق، ص٣٠١.

(١٠٢/١)

ولما اشتد عوده واستساغ حلاوة العلم شمر عن ساعديه واعتمد على نفسه في طلب العلم فأقبل على الكتاب يلتهم المعرفة من بطونها "وكان لا يسمع بخزانة حافلة إلا ويتخذ كل الوسائل للاطلاع عليها فيستعير نفائسها ليدرسها وإذا تعذرت الاستعارة بذل أكبر الأجور لمن ينسخها له من أهل البلدة"(١) ومن حسن حظه أن دعاه نجل الشيخ عبد العزيز الثميني ليقدم له خزانة والده قائلا له: "هذه كتب والدي ومؤلفاته تحت تصرفك فخذ منها ما شئت وفي أي وقت شئت"(٢).

---

(١) ١٠) المرجع السابق،ص ٣٠٤.
(٢) ١١) تعتبر خزانة الثميني أول الخزائن التي حصل القطب عليها ودرسها فكونته لذلك نجده

ينوه بالشيخ عبد العزيز الثميني ويثني عليه ويذكر فضله عليه ويراه أكبر أساتذته من ناجيتين، أولاهما دراسته على تلاميذ الثميني وثانيهما دراسته لتأليفه انظر محمد علي دبوز نهضة الجزائر الحديثة، جـ١، ص٢٨٥.

وهكذا وجد الشيخ نفسه أما عدد من خزائن الكتب(١) فلم تتق نفسه إلى الرحيل إلى خارج الوطن طلبا للعلم، واكتفى بما لديه وما حوله وما يأتيه من مصادر العلم والمعرفة، وما كاد يصل الخامسة عشرة من عمره حتى جلس للتدريس مع أخيه وشيخه في المدرسة، ولما بلغ العشرين كان أكبر عالم في وادي ميزاب ففتح دارا للتعليم، وعكف على التأليف وشمر للإصلاح الاجتماعي والسير بالنهضة الحديثة(٢). وليس هذا بالأمر الهين على مفكر أعزل نشأ في وطن عظمت فيه المحن وانعدمت وسائل الراحة وقلت مذكيات المواهب. بل عاش في وسط كثير الفتن اشتدت فيه وطأة الاضطهاد للعلماء العاملين وقويت فيه شوكة الذين يستنكفون عن قبول الحق والامتثال للواجب(٣) فليس قليلا ما لاقاه من اضطهاد حتى أخرج من بلدته، لكن عزيمته لا تزيد إلا صلابة فما يزال يذوب عن الدين بالنصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتنقيح العلوم بالتدريس والتأليف إلى أن انتقل الى عالم الأرواح عند تنفس الفجر ليوم السبت ٢٣ ربيع الثاني ١٣٣٢هـ/١٩١٤م(٤) عن عمر يناهز ٩٦ عاما في خدمة العلم والاسلام.

ب —شخصيته

---

(١) ١٢) من خزائن الكتب التي حظي بها القطب خزانة زوجته التي ورثتها عن أبيها وكان عالما خاطبت هذه الزوجة تلاميذ القطب من وراء ستار وفي ليلة زفافها قائلة(اشهدوا أنني قد وهبت خزانة الكتب وهذه الدار للقطب فهما ملك له) انظر محمد علي دبوز نهضة الجزائر ،جـ١، ص٣٠٥.

(٢) ١٣) محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، جـ١، ص٣٠٢.

(٣) ١٤) أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، ص أ من مقدمته لكتاب الذهب الخالص للشيخ محمد أطفيش.

(٤) ١٥) أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، الدعاية الى سبيل المؤمنين، ص١٠٩.

تحدث العديد من الكتاب والعلماء حول شخصية القطب، وأطالوا في ذكر مناقبه ونشاطه الفكري والاجتماعي، وأغلب المتحدثين عنه من المشرق ومن سلطنة عمان خاصة، ولعل المشارقة كانوا أكثر اهتماما بالقطب من أبناء طينته في المغرب سواء في عصره أو في أيامنا. فلم يألوا جهدا في جمع تراثه وطبعه ونشره، وهذا مما يدل على علو مكانته بين علماء المشرق "فقد ذاع صيته حتى صار مرجع المسلمين في جميع الأقطار في مشكلاتهم"(١) مما يقول فيه شاعر(٢):

هو الكامل المرضي والفاضل الذي

...............تدين لعلياه السراة الأكابر

همام غدا بالمغرب اليوم آية

...............وبالمشرق انقادت إليها الخواطر

وفي موضع آخر يقول:

وجرى شذاها في الرياض كما جرى

فضل ابن يوسف سائر الأقطار(٣)

لم يكن القطب عظيما بين العلماء فحسب بل كان ذا منزلة سامية لدى الملوك، وخاصة السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٢٤م–١٩١٨م)(٤) وسلاطين عمان(٥) وزنجبار(٦) ومنهم من أهدى له الأوسمة إكراما له "واعترافا بمنزلته السامية في العلم والدين"(٧).

---

(١) ١٦) المصدر السابق، ص١٠٨.

(٢) ١٧) الشاعر الشيخ محمد بن شيخان العماني، أكبر شعراء بني قحطان.

(٣) ١٨) مقدمة الذهب الخالص، ص. ج، ط.

(٤) ١٩) سلطان عثماني(١٨٧٦– ١٩٠٩م) تربطه بالقطب مراسلات عديدة.

(٥) ٢٠) سلطنة مستقلة في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية مساحتها ٣٧٠. ١٢١كلم٢ وعدد سكانها أكثر من مليوني نسمة، عاصمتها مسقط، وأهم مدنها مطرح وصور. ونخل ونزوى وصحار وظفار احتلها البرتغاليون سنة ١٥٠٨م فأجلوهم اليعاربة. اقتصادها قائم على الزراعة والصيد والبترول.

(٦) ٢١) زنجبار() جزيرة في المحيط الهندي مقابلة لتنغانيكا تؤلف مع جزيرة بمبا وتنغانيكا دولة تنزانيا عاصمتها دار السلام.

(٧) ٢٢) إبراهيم اطفيش الدعاية الى سبيل المؤمنين ،ص١٠٨.

كان شديد المقاومة للبدع، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، شديد الغيرة على الدين لا يخاف في الله لومة لائم(١) ولا يهاب جبارا ولا يعظم لديه خطر ذا هيبة ووقار، قوي الإرادة حصيف الرأي(٢) حريص على وحدة المسلمين كثير الدعاء بالنصر للأمة الاسلامية. يرى من الواجب أن يكون الاسلام في عز وأهله في منعة، ويرى أم كل ما لم يلم بشعب اسلامي كائنا من كان من الإرهاق فهو نكبة أصابت الامة(٣) ولذلك يعتبر خدمة الاسلام والمسلمين من أكبر الواجبات التي يجب أن يتحملها ومن هنا كانت أفكاره تتسم بالموضوعية (لا يتعصب لمذهب اسلامي فيحصر فيه نفسه، فهو كثير الدراسة لكتب المذاهب الاسلامية كلها(...) وفي تآليفه يعرض بأمانة أقوال المذاهب فيناقشها في نزاهة ويقارن بينها)(٤). ونجده في الوقت ذاته يعتد بمذهبه أيمانا منه بصحة آرائه فيقول: "نحن أهل الحق تحقيقا لا تقريبا فقط(٥) ولسنا نستكمل بغيرنا(...) وان كلام الأدرعي وابن حزم (٩٩٤-١٠٦٣م) وابن خلدون(٧٣٢- ٨٠٨هـ /١٣٣٢-١٤٠٦م) وابن حجر (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩م) كلام خير فينا لا كلام سوء)(٦)، وهو يقصد بهذا إظهار مذهبه على حقيقته وإزالة الحواجز بين الفرق لأنها تعود إلى أصل واحد هي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويظهر ايمانه بوحدة المسلمين وإخلاصه للدين في قوله:

وربعي معمور بحب محمد

..............وآل وصحب والدموع عباب(٧)

فق الناس حتى أنهم أنت كلهم

---

(١) ٢٣) المصدر السابق، ص١٠٨.

(٢) ٢٤)إبراهيم اطفيش، مقدمة الذهب الخالص، للقطب ص٥.

(٣) ٢٥) المصدر السابق، ص ج.

(٤) ٢٦) محمد على دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، ج٣، ص٣٠٦.

(٥) ٢٧) ردا على القائلين: ان الاباضية أقرب المذاهب الخارجية الى السنة.

(٦) ٢٨) سالم السيابي، إزالة الوعثاء...، ص٥٤ نقلا عن ش.اطفيش في الرد على العقبي.

(٧) ٢٩) ش.اطفيش، الذهب الخالص، (المقدمة)، ص: هـ

..............وكن لهم طردا وغيرك جنحابا(١)

كما يظهر إيمانه الصادق بالعمل والجهاد وغيرك من أجل توحيد كلمة المسلمين وجمع ما تفرق من الأمة في قوله:

وسعيا لتحقيق هذا الشعار كرس الشيخ أطفيش حياته لنشر العلم وخدمة الدين، فأخذ منه ذلك كله وقته حتى حرم نفسه من الراحة فكان يقضي معظم ليله يؤلف لا يعرف النوم(٢) إلا قليلا، يغتنم أقصى ما يمكن من وقته فكان يؤلف في السفينة(٣) أثناء رحلته إلى الحجاز، "وكان يكتب أو يقرأ وهو على دابته مسافرا إلى البادية"(٤).

وحرصا على حسن استغلاله نظم حياته اليومية تنظيما دقيقا، فبلغ معدل ساعات العمل أكثر من ١٦ساعة(٥) موزعة كالآتي:

من صلاة الفجر إلى طلوع الشمس: درس للعامة في المسجد.

فترة قصيرة بعد طلوع الشمس: يلم بدار إحدى زوجاته لفطور خفيف.

بين الفطور والزوال: دروس منتظمة للتلاميذ في حلقات وإذا لم تكن يجلس للتلاوة إلى العصر.

فترة قصيرة بعد العصر: يلم بندوة العزابة يعرضون عليه أهم مشاكل للإدلاء برأيه فيها.

بين العصر والمغرب: يستقبل الناس في مكتبه للإجابة على أسئلتهم وإصدار الفتاوى.

بين المغرب والعشاء: يراجع ويستحضر ما يحتاج إليه للتأليف.

بين العشاء والهزيع الأخير من الليل: يتفرغ للتأليف(٦).

ذلك هو النظام اليومي لنشاط القطب خلال أيام الأسبوع لما بلغ درجة الاجتهاد أما يوم الجمعة فقد يخصصه للاستراحة أحيانا فيذهب في الصباح إلى بستانه.

جـ – تلاميذه

---

(١) ٣٠) المصدر السابق، ص: ح، يريد بالطول الجيل العاصم وعليه يرتقي ويهتدي به، أما عبارة جنحايا فغير واضحة، عله يقصد الأجنحة ليسمو بها.

(٢) ٣١) محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، جـ١، ص٣٠٩.

(٣) ٣٢) المرجع السابق، ص٣٠٩

(٤) ٣٣) المرجع السابق، ص٣٠٨

(٥) ٣٤) المرجع السابق، ص٣٠٨

(٦) ٣٥) ملخص عن أ.محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، جـ١، ص٣٠٩– ٣١٠.

تلمذ على يد القطب نخبة طيبة من المشائخ جاؤوا من كل قرى الوادي طلبا للعلم والمعرفة، فوجدوا إقبالا وحفاوة كما وجدوا علما وأدبا، وفي جو من الجد والانضباط والحرص على التحصيل تخرجوا فمنهم من واصل السير في طلب العلم ونال ، ومنهم من تفرغ للعمل الاجتماعي وخدمة الصالح العام ومنهم من شمر للعمل في الميدان الاقتصادي في الزراعة والتجارة والكل تجمعهم النية الصادقة والعزم الخالص لخدمة الدين وقيادة النهضة الاصلاحية حيثما حلوا وارتحلوا.

وتجدر الإشارة إلى أن الآثار الحميدة للتربية والتكوين في معهد القطب قد ظهرت في كل من الجزائر وتونس وليبيا، عن طريق تلاميذ القطب وتلاميذهم.

ومن تلاميذ القطب نذكر– على سبيل المثال– ش.ح.عمر بكلي، وش.ح.داود بن سعيد ابن يوسف من العطف(١) وش.ح.صالح عمر، وش.محمد بن سليمان ابن أدريسو من بني يسجن، وش.الحاج الناصر بن إبراهيم الداغور، وش.اعمارة بن صالح موسى المال من بريان(٢)، وش. بابكر بن الحاج مسعود، وش.ح.يوسف حدبون من غارداية(٣)، وش.ح.إبراهيم الأبركي، وش.ح.عمر بن يحي، وش.ح.محمد القاضي من القرارة(٤)، وش.سليمان باشا الباروني وأخوه ش.يحيى من ليبيا(٥).

---

(١) ٣٦ أنشئت مدينة العطف واسمها (تاجنينت، سنة ٤٠٢هـ/ ١٠١٢م)

(٢) ٣٧ تأسست مدينة بريان عام ١٦٧٩م وتبعد ب٤٥ كلم عن غرداية، مقر الولاية.

(٣) ٣٨ أنشئت غرداية سنة ٤٧٧هـ/ ق ١١م، وتبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي ٦٠٠كلم جنوبا.

(٤) ٣٩ أنشئت القرارة سنة ١٦٣٠م، تبعد عن غرداية مقر الولاية بحوالي ١١٨كلم.

(٥) ٤٠ توفي سليمان الباروني في بمباي بالهند، يوم٢٣ ربيع الأول ١٣٥٩هـ، الموافق لفاتح ماي ١٩٤٠م، انظر تاريخ حياته في كتاب سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، لأبي اليقظان الحاج إبراهيم ، مط العربية

ومن تلاميذ القطب الذين ساهموا في بعث النهضة الإصلاحية خارج الجزائر نذكر ابن أخيه ش.إبراهيم بن يوسف أطفيش (أبو إسحاق) في القاهرة(١)، وش.إبراهيم ابن عيسى أبو اليقظان، وش. محمد بن ح.صالح الثميني، وش.صالح بن يحيى بن ح.سليمان(٢) في تونس.

د- موقفه من الاستعمار الفرنسي:

---

(١) ٤١ ولد أبو اسحاق إبراهيم اطفيش في بني يسجن، سنة ١٨٨٧م، ودرس على قطب الأئمة نفاه الاستعمار الفرنسي الى تونس لوطنيته ثم نفاه ثانية الى مصر وفي القاهرة أصدر مجلة المنهاج سنة ١٩٢٥م لمناهضة الاستعمار الفرنسي وبقي في دار الهجرة حيث كان يعمل مصححا بدار الكتب المصرية الى ان توافاه الله بها سنة ١٩٦٥م(د.محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ش.و.ن.ت. الجزائر ١٩٨٠م، ص١٦ انظر محمد علي دبوز نهضة الجزائر الحديثة، ج٢، ص٣٨.

(٢) ٤٢ توفي في تونس عام ١٣٦٧هـ، الموافق ٥. ١. ١٩٤٨م، راجع تاريخ حياته في نهضة الجزائر الحديثة محمد علي دبوز، ج٢، ص .ص ٣٨- ٤٠.

(١٠٩/١)

الأمة الجزائرية أمة مسلمة والأوربيون أمة مشركة كافرة. واستعمار الفرنسيين الجزائر يعني قهر المسلمين ومحاربة الاسلام. من هذا المنطق يرفض ش.أطفيش تواجد الكفار على أرض الاسلام وبالتالي يمقت ظاهرة الاستعمار في أي شكل من أشكاله، ويعز عليه أن يهضم شعب إسلامي وسلب حريته أو يناله أدنى ضيم(١) ولذلك قارع المستعمر بكل ما أوتي من حيلة حتى أنه دخل في حرب ديبلوماسية مع الفرنسيين حين ساروا لاح تلال منطقة ميزاب سنة ١٨٨٢م .فقام القطب وأنصاره يعارضون الاحتلال واحتج القطب لدى قائد الحملة بكل جرأة وأنكر عليه نقض المعاهدة(٢) وأفهمه ان ميزاب في غنى عنه وعن خدمات دولته وأنهم لا يرضون بالاحتلال وأسمعه كلاما قاسيا(...) فخاف القائد أن يثير عليه ميزاب والصحراء فاعتقله(....) حتى احتل غرداية وشحنها بالجند وأمن على نفسه من الثورة فأطلق سراحه(٣) لكن القطب لم يهدأ ولم يستسلم للواقع فراح يحرك الشعب، ويستنهض الهمم ويثير الرأي العام كلما سنحت له الفرصة لذلك. وكان يغرس في تلاميذه كره الفرنسيين واحتقار المستعمرين المتجبرين. ومن الطريف أنه "كان يلصق الطوابع البريدية التي تحمل صور المستعمرين مقلوبة"(٤) استهزاء ونكاية بهم، ومن

نوادر اعتداده بدينه ووطنه أنه زاره بعض القسس وكبار الولاة من الأجانب فوقفوا معه في مستوى واحد من الأرض لكنه أبى ذلك فارتفع إلى درجة ولما استفسر أحدهم، قال:"الاسلام يعلو ولا يعلى عليه"(٥) ولما حاول المستعمر هدم الجامع الكبير بالعاصمة كتب قطب رسالة احتجاج إلى الوالي العام يحذره فيها من الاقتراب إلى بيوت الله

---

(١) ٤٣ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش في مقدمته للذهب الخالص، ص: ج.

(٢) ٤٤ تنص المعاهدة على ان يبقى الميزابيون أحرارا لا تتدخل فرنسا في جميع شؤونهم

(٣) ٤٥) محمد علي دبوز نهضة الجزائر الحديثة، جـ١، ص٣٣١.

(٤) ٤٦) المصدر السابق، ص٣٢٧.

(٥) ٤٧) أبو إسحاق إبراهيم اطفيش في مقدمته لكتاب الذهب الخالص، ص:ج.

وتوعده بالانتقام لله تعالى.

ومن رسائله الاحتجاجية لرسالته إلى الحكومة الفرنسية ذكر فيها ظلم الولاة لأبناء الشعب، "ومنعهم من الحج والسفر إلى الخارج"(١) وفي رسالة أخرى بعثها إلى "بوان كاري" بمناسبة اغتيال أحد الوزراء الفرنسيين في باريس جاء فيها– بأسلوب تهكمي– "لقد تمادى بكم ظلم المسلمين فكان الله يراقبكم حتى أصبح وزراؤكم يقتلون في الطرقات كالكلاب..."(٢) فلما اشتد غضب الفرنسيين من تصرفات القطب الجرئية قرروا إيقافه عند حده، "فحاولوا أن يستقدموه إلى فرنسا للمحاكمة، لكنهم عدلوا عن ذلك حين قال أحدهم: "من العار على فرنسا أن تستدعي رجلا أما أن يحاججها فتكون أضحوكة أمام الدول، وأما أن تحاجه وهو أعزل ليس له إلا علمه، فخير لكم أن تتركوا الرجل فتتناسوه"(٣)

هكذا كان الشيخ أطفيش يحارب الاستعمار بقوة الحجة والكلمة المؤثرة. يتألم لما يرى من العسف والحيف وقهر المسلمين بالقطر الجزائري وكامل الأمة الاسلامية، شديد الحرص على إقامة شعائر الدين والمحافظة على مقومات الأمة الاسلامية التي هي الوحدة والحرية، وإحياء اللغة العربية.

ثانيا: تآليفه

---

(١) ٤٨) محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، جـ١، ص٣٣٠
(٢) ٤٩) إبراهيم عبد العزيز(معاصر) نبذة من حياة الشيخ اطفيش
(٣) ٥٠) المصدر السابق

من مزايا الشيخ أطفيش انتاجه الغزير، فقد وهبه الله قلما سيالا، وفكرا غريزا وإرادة قوية لا تعجز عن التأليف، ولذلك تعددت تصانيفه وكثرت مؤلفاته حتى اختلف المهتمون بتراثه حول عدد مؤلفاته فقال أ.محمد علي دبوز أنها تجاوزت المائة(١). وقال الشيخ أبو اسحاق إبراهيم اطفيش: "إحصاء تآليفه غير يسير وقد تجاوزت المئات وأما أجوبته فلا تحصى(٢) أما أ.إبراهيم عبد العزيز فقال أنها تزيد عن (٣٢٠) مؤلف ومهما يكن من أمر فإن الخلاف دليل الوفرة. ولعل من أسباب هذه الوفرة إن قلم القطب كان جوالا بين مختلف فنون العلم ولذلك نجد الشيخ أطفيش يؤلف كتابين أو ثلاثة أو أكثر في ذات الوقت حول موضوعات مختلفة.

ومن أهم الفنون التي كتب فيها ما يلي: التفسير، الأصول، التوحيد، الحديث والسيرة، الفقه، الفرائض اللغة وآدابها وفنونها، التجويد، التاريخ، النحو، الصرف، العروض، الحساب والجبر، المنطق، الفلسفة، الطب، الفلك، الفلاحة. وفيما يلي ذكر أهم تآليفه في الفنون المختلفة:

أ- التفسير:

فسر القطب كتاب الله ثلاث مرات، وهذا شاهد على تبحره في علوم القرآن وغزارة مادته، وهو تفسيره يهتم بجانبين، الناحية اللفظية واللغوية والناحية العلمية والفقهية(٣)، ومن الملاحظ أن طريقته في التفسير تغايرت "بين ما ألفه من التفاسير في العشرينات من عمره في غضاضة شبابه وبين ما ألفه في عقود نضجه بعد العقد الخامس(٤)" وترتيب تفاسيره كما يلي:

---

(١) ٥١) محمد علي دبوز، نهضة الجزائر، جـ١، ص٣١٨.
(٢) ٥٢).أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، مقدمة الذهب الخالص، ص: هـ.
(٣) ٥٣) محمد ابن الشيخ، القرآن والسنة عند الاباضية، ص٤٠
(٤) ٥٤) المصدر السابق، ص٤٠.

١- هميان الزاد ليوم المعاد، فسر فيه القرآن كله في ستة أجزاء(١) "ويقع في ١٤ مجلدا يناهز الواحد منها ٦٠٠ صحيفة أو تزيد"(٢) طبع في زنجبار حوالي سنة ١٣٥٠هـ وأعيد طبعه مؤخرا في سلطنة عمان.

٢- تيسير التفسير، وهو أحسن تفاسيره يقع في سبعة أجزاء، طبع في الجزائر سنة ١٣٢٦هـ.

٣- داعي العمل ليوم الأمل، من سورة الرحمن إلى سورة الناس، يقع في أربعة أجزاء، ويبدوا أنه آخر تفاسير القطب، فقد وافته المنية قبل إتمامه(٣) لكن أ.بيار كوبيرلي(Pierre Cuperly) يرجح أن يكون القطب قد وضع هذا التفسير بين هميان والزاد وتيسير التفسير ويعتقد أن نسخته الكاملة موجودة في مكتبة مسقط بسلطنة عمان(٤).

ومن تآليفه القطب في موضوع القرآن رسالته المسماة "جامع حرف ورش" ٥٦صفحة مطبوعة في الجزائر في سنة ١٣٢٥هـ.

ب -الحديث والسيرة:

- ترتيب الترتيب، ج١،ص٢٨٩، الجزائر ١٣٢٦هـ.

- وفاء الضمانة بأداء الأمانة، ج٣، البارونية، القاهرة، ١٣٢٦هـ.

- جامع الشمل في حديث خاتم الرسل،ج١، ص٤٣٦، طبع حجري البارونية ١٣٠٤هـ.

- السيرة الجامعة من المعجزات اللامعة، ج١، ص٢٥٢، القاهرة ١٣٤٤هـ.

جـ- أصول الفقه:

- شرح مختصر العدل والإنصاف لأبي يعقوب الوارجلاني (مخ).

د- الفقه:

- شرح كتاب الدعائم (للمبتدئين) جزآن الجزائر ١٣٣٦هـ.

- شرح رسالة الوضع، لأبي زكريا(مخطوط).

- جامع الوضع والحاشية، ج١، ص٣٨٨، البارونية، القاهرة١٣٠٦ هـ.

- ترتيب المدونة الكبرى للخراساني، (مخطوط).

- شامل الأصل والفرع، في الطهارات والصلاة، ألفه لما بلغ درجة الاجتهاد في جزأين ،ج١، ص٣٨٧، ج٢، ص٢٦٤، مط السلفية، القاهرة ١٣٤٨هـ.

---

(١) ٥٥) محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، جـ١، ص٣١٥.

(٢) ٥٦) محمد ابن الشيخ، القرآن...والسنة عند الاباضية، ص٤٠.

(٣) ٥٧) محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، ج١، ص٣١٥.
(٤) ٥٨) أثناء لقاء مع الأستاذ كبيرلي، الجزائر يوم ١٢. ١. ١٩٨٦

(١١٣/١)

– شرح النيل وشفاء العليل، للشيخ العزيز وهو عبارة عن دائرة معارف في الفقه الاباضي، طبعة جديدة، ٢٤جزاءا/١٧مجلدا، دار الفتح، بيروت.

– مختصر شرح النيل، في موضوع الحقوق والبيوع، (مخ).

– تفقيه الغامر بترتيب لفظ موسى بن عامر، الجزائر ١٣١٩هـ.

– حي على الفلاح، تفسير باب الصلاة من كتاب الإيضاح للشماخي(مخ).

– الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص، حققه وعلق عليه أبو اسحاق إبراهيم اطفيش، ج١، ص٣٤٠، مط السلفية، القاهرة ١٣٤٣هـ.

هـ– التوحيد وعلم الكلام والفلسفة:

– شرح عقيدة التوحيد لأبي حفص عمر بن جميع،ص ٤٥٨، الجزائر ١٣٢٨هـ.

– حاشية الموجز لأبي عمار عبد الكافي الاباضي (مخ).

– حاشية شرح النونية، لعبد العزيز الثميني(مخ).

– شرح عقيدة تبغورين، (مخ).

– شرح معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين لعبد العزيز الثميني (مخ).

– الحجة في بيان المحجة في التوحيد بلا تقييد.

– الجنة في وصف الجنة، ص٢٠٦، القاهرة١٣٢١ هـ.

– إيضاح المنطق في بلاد المشرق (مخ).

– إزهاق الباطل في العلم الهاطل،ص ٢٠١، الجزائر.

و– التاريخ والسير:

– كف الغمة في شرح لأمية ابن النظر (مخ).

– مسائل السير، (مخ).

– الإمكان في ما جاز أن يكون أو كان،ص١٢٩، الجزائر ١٣٠٤هـ.

– الرسالة الشافية في بعض تواريخ أهل ميزاب (مطبوع)

– شرح نونية المديح، (مخطوط)

ز- اللغة والآداب والأخلاق:

- شرح شواهد القزويني(مخ).
- شرح مخمسة في الأخلاق(مخ)
- حاشية في المحو(مخ).
- أجور الشهور(مخ).
- شرح أبي داود(مخ).
- إطالة الأجور وإزالة الفجور(مط).
- شرح شواهد قواعد الأعراب(مخ).
- خطبة العيدين(مط)
- حاشية شرح الأجورمية للداودي.
- البائية في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.
- بيان البيان(مخ).
- الغسول في أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم.
- كتاب الرسم في تعليم الخط (مط).
- شرح القصيدة الحائية (مط).
- مختصر ثان في علم الخط (مط).
- رسائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (مخ).

(١١٤/١)

- مجموعة قصائد (مطبوعة)
- شرح الأسماء الحسنى (مط).

ط- جوابات وردود ومؤلفات مختلفة المواضيع:

- إزالة الاعتراض عن محقي آل اباض(مط).
- القنوان الدانية في مسألة الديوان.
- الرد على العقبي الطاعن في الدين
- أساس الطاعات لجميع العبادات.
- الرد على الصفرية والازارقة.

- مختصر كتاب العمارات.
- شرح كتاب الزكاة.
- جواب في ملل أهل الكتاب وأهل الشرك.
- تقريرات على كتاب المعلقات.
- جواب لعامر بن مسعود
- شرح شواهد الوضع
- جواب لمحمد بن عبدالله.
- شرح لغز الماء.
- جواب لأحمد بن عليوة.
- تحفة الحب في أصل الطب.
- جواب في الأوراق المالية.
- شرح القلصادي (في الفلك).
- جواب في المعاملة.
- النحلة في غرس النخلة (مط).
- جواب لأهل زوارة.
- كتاب المعلقات (طبع حجري).
- جواب لعلماء مكة (مطبوع).
- مسلك الفلك(يبدو أن الكتاب ليس من تأليف القطب لعدم وجود ما يثبت ذلك)
- رسالة في حكم الدخان والضغوط.

ك- أشعاره:

لم يكن الشيخ اطفيش شاعرا نابغا، لكن اهتمامه بالأدب وتذوقه للشعر العربي، يبعث في نفسه ميلا إلى نظم الشعر أحيانا، فكتب قصائد عديدة ولعل أول ما كتب من الشعر (أرجوزته في نظم المغني في خمسة آلاف بيت)(١). أما الموضوعات التي تناولها في شعره فكثيرة منها: "المواعظ، مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، الدعاية إلى العلم والنهضة الحديثة(٢) وفي فنون الفقه والقراءات(...) والنصائح والحكم"(٣).

من نماذج شعره البديعة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم قصيدة تبلغ ١٨٠ بيتا، مطلعها(٤):

حمدا لمن أخرج الأشياء من العدم
إلى الوجود لخير العرب والعجم

(١) ٥٩ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، مقدمة الذهب الخالص، ص: ه يقول ان القصيدة مفقودة.
(٢) ٦٠ محمد علي دبوز نهضة الجزائر الحديثة، جـ١، ص٣٥٥.
(٣) ٦١ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، مقدمة الذهب الخالص، ص: ز
(٤) ٦٢ المصدر السابق، نفس الصفحة.

(١١٥/١)

وله قصيدة بائية في ١١٧ بيتا، في النصائح والحكم منها هذه الأبيات(١):

أرى في قيام الليل فوزا وفي الغنى
عن الناس عزا فاتخذ منهما دأبا
ودر حيث دار الحق واجتنب الهوى
بوقت الرضى أو حين اعتضبت اعتضابا
من ذا الذي يبني على الموج داره
ومن ذا الذي يجني من الطلع أعنابا

ل– مراسلاته:

للقطب رسائل عديدة ومتنوعة فمنها رسائله الانتقادية يرد فيها على الطاعنين في الدين، ومنها رسائل الإفتاء، ورسائل الاحتجاج إلى الحكام، أما رسائل الأخوانيات فقليلة ان لم تكن معدومة، وأهم مراسلاته تلك التي بعثها إلى العلماء في عصره، ومنهم الامام محمد عبده، وش.سالم بوحاجب في الزيتونة وش.دحلان مفتي مكة، والهادي باي(٢) وسلاطين عمان وزنجبار وتركيا.

ثالثا: فكره

يتضح لنا جليا ونحن نطلع على آثار القطب أنه كان شمولي التفكير واسع الاطلاع، ملما بمختلف فنون العلوم، غير أنه يركز بشكل واضح على علوم الشريعة وما يخدم الشريعة من لغة وفنون على ما سواها من أنواع العلوم. وبناء على ذلك يمكن لنا أن نصنف الشيخ أطفيش ضمن الفقهاء وعلماء الشريعة والأصوليين، وفقهاء اللغة، والمفسرين لكتاب الله ويكون حينئذ صاحب فضل في هذه العلوم، متبوئا مكانة الصدارة بين المشتغلين بهذه الفنون، أكثر مما لوصفناه ضمن الفلاسفة علماء الطبيعة، المشتغلين بالعلوم التجريبية.

(١) ٦٣ محمد علي دبوز نهضة الجزائر الحديثة، جـ١، ص٣٥٥.
(٢) ٦٤ إبراهيم عبد العزيز، نبذة من حياة القطب.

(١١٦/١)

ونظرا لذلك سيكون الحديث حول فكره في هذا المبحث محدودا لأننا لا نتعرض إلى الجانب الشرعي والفقهي من مجموع فكره، كما لا نتعرض إلى تحليل آرائه السياسية لأنها متضمنة في الأبواب اللاحقة(١) أما آراؤه الكلامية فهي في مجموعها متطابقة مع الآراء الاباضية جملة وتفصيلا، حتى أننا لا نكاد نلمس اختلافا في المسائل العقيدية بينه وبين أسلافه أو بينه وبين لاحقيه من علماء الاباضية إلا نادرا. ولذلك لا تخرج آراؤه الكلامية والسياسية عن الحالات الثلاث التالية:

- إما أن تكون تلخيصا وإيجازا لآراء أهل المذهب.
- وإما أن تكون تحليل وتفصيلا لها لغرض التوضيح.
- وإما أن تكون ردا على أهل الخلاف ودفاعا عن مقالات المذهب.
- ومن خلال هذه الحالات يتضح تمكن القطب في مسائل العقيدة كما تظهر مكانته العلمية أثناء طرح المشاكل ومعالجتها معتمدا على المنطق العقلي والتفكير الموضوعي.

وفيما يلي إشارات عابرة لأهم المناحي الفلسفية في تفكير القطب:

أ- المنحنى الكلامي:

لم يفرد الشيخ أطفيش كتابا من تأليفه في الفلسفة وعلم الكلام رغم اهتمامه الكبير بهذا الفن. ويتضح لنا هذا الاهتمام من خلال قراءته لتصانيف أسلافه في هذا الموضوع، ثم أنه لم يكتف بالقراءة فحسب بل كان يعلق عليها ويسجل آراءه وانطباعاته وفي كثير من الأحيان كان يعمد إلى شرح مؤلف بأكمله في موضوع الفلسفة وعلم الكلام، وهذا ما فعله حين وقف على عقيدة تبغورين وهو كتاب صغير في علم الكلام تحدث فيه مؤلفه ش.تبغورين بن عيسى الملوشائي (ق.٣هـ/١١م) عن أصول الاباضية التسعة(٢). فإذا بالقطب يشرحه شرحا وافيا لينجز منه كتابا يفوق حجمه ٣٠٠ورقة(٣).

---

(١) ٦٥ انظر آراءه السياسية متضمنة في فصول الباب الثاني من هذا البحث.

(٢) ٦٦ حول أصول العقيدة عند الاباضية راجع الفصل الثاني من الباب الأول من هذا البحث.
(٣) ٦٧ يبدو ان الكتاب لم يكمله القطب أو ان النسخة الموجودة في كتبته مخزونة.

(١١٧/١)

كما شرح عقيدة التوحيد لأبي حفص عمر بن جميع (ق ٨هـ) وهي متن من متون أصول الدين.
ولعل أهم إنجاز في علم الكلام شرحه لكتاب معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين للشيخ عبد العزيز الثميني (ت ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م) حتى وان لم يكمله فقد قام بمجهود كبير في تحليله ومناقشة موضوعاته، وفيه تعرض إلى ذكر الفرق الاسلامية والرد على مقالاتها، كما تصدى للرد على الدهريين والفلاسفة اليونانيين، وإلى جانب هذه الشروح وضع حواشي عديدة في الكلام والفلسفة أهمها حاشية الموجز لأبي عمار عبد الكافي، وحاشية شرح النونية لعبد العزيز الثميني في أصول الدين والتوحيد.
وكان لا بد للشيخ اطفيش أن يهتم بالمنطق حين تعرض للكلام والفلسفة فوضع مؤلفا حول المنطق سماه إيضاح المنطق في بلاد المشرق.
ب –فلسفة العلوم:
اهتم القطب بالطب فوضع مؤلفا سماه تحفة الحب في أصل الطب(١) ضمنه وصفات طبية مع عرض الحالات المرضية التي تنتاب الانسان والحيوان ويلاحظ فيه تركيزه على الجوانب النفسية والروحية فكان يستشهد بالآيات القرآنية والأحدايث النبوية. فكان أقرب إلى الوعظ والنصح ووصف الحالات المرضية منه إلى علم الطب المعتمد على النظر العقلي في الظواهر الطبيعية وتحليلها واجراء التجارب، ومع ذلك فإن القطب لم يهمل هذا الجانب حيث عمد في كثير من الأحيان على التجربة مستعينا بخبرته التي أكتسبها في حياته اليومية.

---

(١) ٦٨ الكتاب مطبوع في الجزائر سنة ١٣٠٤هـ، يقع في ٤٠٦ صفحة.

(١١٨/١)

أما الفلك، فهو الآخر كان موضع اهتمام القطب، ولعله تأثر بالقصادي في دراسته للفلك، حين اطلع على كتابه "الفلك" فشرحه القطب ولا يزال مخطوطا كما ينسب إليه كتاب مسلك الفلك، وهو مؤلف ضخم عرض فيه ظواهر الفلك متتبعا الكواكب في مسيرها والنجوم في حركاتها. وكذا

نشاط الشمس والقمر ودوران الأرض وما نتج عنها من تعاقب الليل والنهار، مدعما أقواله بأشكال توضيحية، ولكن نسبة الكتاب إلى القطب تبقى موضع شك إذ لم نجد في الكتاب قرينة تثبت نسبته إليه، وليس بعيدا أن يكون لغيره فاهتم به ودرسه، علما ان الكتاب مخطوطا وكتابته رديئة(١).

وفي علم النبات وضع القطب كتابا سماه النحلة في غرس النخلة(٢) وفيه استعرض جميع أنواع النباتات المثمرة مع ذكر مواسم غرسها وجني ثمارها، وما تستحق من عناية، وركز الكلام أكثر على النخلة لأنها عمدة الفلاحة في محيطه من ناحية ولمكانتها السامية وفضلها على سائر النباتات من ناحية أخرى. فهي أول شجرة استقرت على الأرض وهي شجرة مباركة(٣)، وهي عمة الانسان "لأنها خلقت من فضلة طين آدم عليه السلام، ولأنها تشبه الانسان من حيث استقامة قدها وطولها وامتياز ذكرها من بين الإناث واختصاصها باللقاح(...) وإن رائحة طلعها كرائحة المني ولطلعها غلاف كمشيمة الجنين، وانها تموت بقطع رأسها ، والجماز من النخلة كالمخ من الانسان ومنها :الغنم...والعشق...ومني الحمل...وسقوط ثمارها بعد الحمل..."(٤).

---

(١) ٦٩ الكتاب مخطوط توجد نسخة منه في مكتبة القطب بآت يسجن.

(٢) ٧٠ مطبوع ضمن مجموع ستة كتب ،مط غرداية، د.تا.

(٣) ٧١ محمد اطفيش كتاب النحلة في غرس النخلة ضمن مجموع ستة كتب، ص٤٧

(٤) ٧٢ المصدر السابق، ص٤٨.

(١١٩/١)

ومن الطريف في الموضوع أن القطب يرى علاج بعض أمراضها يتم بطرق العلاج النفسي، كالعشق وهو ميل شجرة إلى أخرى فيخف حملها وتهزل وعلاجها أن يشد بينها وبين معشوقها بحبل أو يعلق عليها سعف معشوقتها! أو تلقح من طلعها، أما علاج مرض منع الحمل أن يأخذ الفلاح فأسا ويقول لها حضرة رجل آخر: "أنا أريد أن أقطع هذه النخلة لأنها منعت الحمل، وبعد المفاوضة تضرب ثلاث ضربات(...) وبقدرته تعالى يخلق لها سمعا وعقلا تسمع وتفهم وإذا سمعت وفهمت فإنها تثمر بإذن الله"(١).

وهذا يذكرنا بنظرية التوازي عند ابن سينا، وهي التشابه بين النبات والحيوان في (الأفعال والانفعالات المتعلقة بالغذاء إيرادا على البدن، وتوزيعا وإبانة للفضل، وتوليدا للبرز المتولد

عنه...)(٢) وكذا ظهور الأعراض المرضية عليها كلها يحدث لدى الإنسان.

جـ- المنحنى الأخلاقي والجمالي:

تناول القطب الجانب الأخلاقي في تفكيره من وجهة نظر الشرع وما أجمع عليه المجتمع من آداب وعادات وقيم أصبحت مألوفة في العرف العام وفي حدود التعاليم الاسلامية، ولذلك اتسمت المباحث الأخلاقية عند الشيخ اطفيش بالنزعة الدينية، فما حلال شرعا جائز أخلاقيا واجتماعيا وما هو محرم شرعا فممنوع أخلاقيا واجتماعيا.

---

(١) ٧٣ المصدر السابق، ص٤٨.

(٢) ٧٤ ابن سيناء ،كتاب الشفاء، الطبيعيات، النبات، ص٢.

(١٢٠/١)

ولعل أحسن ما كتبه القطب في الأخلاقيات، شرحه للجزء الأخير من النيل تحت عنوان الأفعال المنجية من المهلكة، وهذا في الواقع تلخيص لكتاب تبيين أفعال العباد لأبي العباس(١)، تعرض فيه القطب إلى الأخلاق العامة الواجب مراعاتها بين الناس في المجتمع الاسلامي وحدد فيه العلاقات الإنسانية وفق الكتاب والسنة، وبين فيه ما يجوز للعبد من أفعال وما لا يجوز، وفي الذهب الخالص الركن السابع منه للحقوق والمظالم والمحارم والآداب والأخلاق العامة وفي الآداب عالج بعض الظواهر الاجتماعية كاللباس والشرب والأكل والجماع والعلاقات الزوجية، مبينا آدابها وما يستحسن فيها من أمور يقبلها الشرع والمجتمع، كما وضع معالم الأخلاق المؤدية بالإنسان السعادة ومنها حسن الحديث، ووفاء العهد واداء الأمانة، وترك الخيانة، وحفظ الجار، ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام، وحفظ الجناح وخير الأمور أوسطها، فيحسن الترفع بلا كبر والتواضع بلا ذل، ومن مفسدات الأخلاق: تشبيك الأصابع، والعبث باللحية، وإدخال الإصبع في الأنف، والتمطي، وطرد الذباب عن الوجه تطرفا إلا للضرورة. وإذا جلست فبسكون وتنظيم وترتيب، وإذا صغيت فأحسن بلا تعجب، ولا طلب الإعادة إلا في طلب العلم(٢) وفي الجماليات اهتم القطب بالجانب اللغوي وتعمق في علوم العربية لاستخراج أسرارها فكتب في النحو العربي وقواعد الإعراب وعلم الخط، ورسم الحروف، وكان مولعا بالشعر، وأكثر ميله للأدب الأندلسي لما امتاز به من فخامة المعنى ومتانة المبنى ورقة الأسلوب ودفعه هذا الميل لقرض الشعر فكتب قصائد في الطبيعة وجمالها، وكان يدعو تلاميذه بالتغني بها في حفلاتهم(٣) وكم كانت نطيب

نفسه وينشرح صدره لسماع

---

(١) ٧٥ أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر، تبيين أفعال العباد(مخ) نسخة خزانة الشيخ بالحاج بالقرارة.

(٢) ٧٦ أنظر محمد اطفيش الذهب الخالص، ص. ص ٢٩١- ٣٣٩.

(٣) ٧٧ محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، جـ١، ص٣٥٥.

(١٢١/١)

الأناشيد مما يدل على سلامة الذوق ورهافة الحس الجمالي.

كان ذلك عرضا موجزا لجوانب مختلفة من فكر الشيخ اطفيش أحسبه كافيا لاطلاعنا على شخصية القطب ومكانته العلمية هذه الشخصية التي قدمت الكثير من المعارف لاثراء الفكر الاسلامي، لكننا لم نأخذ مما ترك إلا القليل، وعسانا بعد هذه الإطلالة على معالم فكره أن نهتم بتراثه ونستثمر ما فيه من ثمار علمية.

الفصل الأول

مفهوم الإمامة ومشروعيتها وشروطها

أولا: مفهوم الامامة (تحديد المصطلح)

ثانيا: مشروعية الامامة ووجوبها

آراء الفرق الاسلامية

ب- رأي الاباضية

جـ- الأدلة النقلية

د- الأدلة العقلية

ثالثا: ثبوت الامامة

رابعا: وحدة الامامة وتعددها

خامسا: شروط الامامة

الباب الثاني

الفكر السياسي عند الاباضية

الفصل الأول: مفهوم الامامة ومشروعيتها وشروطها.

الفصل الثاني: أنواع الامامة (مسالك الدين).

الفصل الثالث: إمام الظهور.

الفصل الرابع: أعوان الإمام

أولا: مفهوم الامامة (تحديد المصطلح)

الامامة والخلافة والإمارة والرئاسة، عبارات مختلفة في اللفظ متفقة في المعنى العام(١) وهي "رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص وهي خلافة الرسول في إقامة الدين وحفظ حوزة الملة(٢)

---

(١) ١) تبغورين بن عيسى نخبة المتين من أصول تبغورين، ص١٨٨، انظر أيضا، ش. محمد اطفيش في شرح العقيدة، ص٤٣٧.

(٢) ٢) الشيخ محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد(ط حجري) ص٤٣٧.

نلاحظ ان تعريف الإمامة والخلافة عن الاباضية مشابه الى حد بعيد التعاريف الأخرى فالماوردي(ت ٤٥٠هـ مثلا يعرفها بقوله(الامامة موضوعة الخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا)، الأحكام السلطانية ص٥، ويعرفها ابن خلدون (١٣٣٢– ١٤٠٦م) بقوله:(هي حمل الكلفة بمقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية(...) وهي خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا) المقدمة ص١٥٩، وهي كما يرى محمد بن عبد ربه (زمام الأمور، ونظام الحقوق وقوام الحدود والقطب الذي عليه مدار الدين والدنيا) شهاب الدين النوري، نهاية الأرب في فنون الأدب السفر ط، ص٥، أما الماوردي فيستوحي مفهوم الخلافة من قوله تعالى:

(ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم)

فيغطي مفهومين للخلافة: الأول: ان الاسلام يستعمل لفظ الخلافة() بدل لفظ الحاكمية لأن الخلافة للإنسان والحاكمية لله وحده، الثاني: ان الله وعد جميع المؤمنين بالاستخلاف فالخلافة عمومية فكل مؤمن خليفة لله. المودودي، نظرية الاسلام السياسية ص٤٦.

(١٢٢/١)

تعهد لمن هو أهل لها على أن يفرض على الرعية كافة أتباعه وطاعته ما لم يأمر بمعصية الخالق، فالمهمة الأساسية هي إقامة الدين وتطبيق أحكام الله والمحافظة على وحدة المسلمين والدفاع عن

الأمة وهي مهام الرسول صلى الله عليه وسلم من بعد البعثة إلى حين وفاته فكل من تولى هذه المهام يعتبر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رعاية شؤون الأمة.

والواقع أن الخلافة بالمفهوم العام لا يعني الحاكمية والسلطة المطلقة لأن ذلك من اختصاص الله، أما الانسان فحسبه أن ينفذ تعاليم الحاكم الأعلى وهو الله فيكون بذلك قد خلف الله في الأرض، وبهذا لا تنحصر الخلافة في الأرض على جنس معين بل هي حق لمن صدق إيمانه وعمل صالحا(١). قال تعالى:

{ وعد الله الذين آمنوا وعلموا الصالحات ليستخلفهم في الأرض.. } (٢).

وقد يطلق لفظ الملك على الإمامة إلا أنه يختلف عنها في أمور منها إن الملك يميز بين تعاليم الدين ومصالح الدنيا ففي شؤون الدنيا يتقيد وضعية يجمعها دستور ينفق عليه نخبة من العقلاء وساسة الدولة فتكون سياسة الدولة حينئذ عقلية لا شرعية دنيوية لا دينية، بينما الامامة فإنها تجمع بين الدين والدنيا، وتصدر الأحكام من الشرع ومن العقل ان عدم النص وقد يحدد أن تخرج السلطة عن معنى الخلافة لتصير ملكا عضوضا إذا فسق الخليفة وحاد عن الشرع، أو أن يتولى الخليفة منصبه بغير رضى المسلمين أو تكون مبايعته غير حرة، أو أن يخرج عن حدود العدالة ففي هذه الحالة لا تعتبر ولايته خلافة نبوية لكنها تعتبر ملكا دنيويا، كما قال ذلك ابن تيمية(٣).

ويطلق أحيانا على صاحب الحق في الخلافة، السلطان "كناية عن الامام ووجه التشبيه: القدرة على إنفاذ الأمور والأحكام، قال تعالى:

---

(١) ٣) أنظر أبو الأعلى المودودي، نظرية الاسلام السياسية، ص٤٦

(٢) ٤) الشورى، ٥٥

(٣) ٥) أنظر محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الاسلامية، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٧٦م، جـ١، ص١٠٣

(١٢٣/١)

{ وآتينا موسى سلطانا مبينا } (١) أي تسليطا واستيلاء.

إلا أن ش.اطفيش يأخذ من السلطان مفهوم القوة المرافقة للظلم(٢)

والتصرف بغير حق، فلا يرى صوابا تسمية الامام العادل بالسلطان.

أما الأمير فلفظ يطلق على الحاكم لكثرة ما يأمر أو لنفاذ أوامره، بينما أمير المؤمنين فلفظ يطلق

في الغالب على الامام الذي يبسط نفوذه على كل بلاد الاسلام فإذا لم يستطع ذلك أو اقتصر نفوذه على رقعة ضيقة فإنه لا يستحق هذا اللقب.

وبما أن الاباضية لم يتمكن لهم هذا النفوذ منذ نشأتهم سواء في المشرق أو في المغرب فأنهم لم يتخذوا لأئمتهم هذا اللقب، هذا ما قال به الشيخ أطفيش(٣) والشهرستاني(٤) لكن الشيخ السيابي يرد على ذلك بقوله: "هذا غلط بل يسموز أمامهم– أي الاباضية– أمير المؤمنين وإمام المسلمين ولا مشاحة في الاصطلاح على التسميات فإنها ألقاب... ولعلهم يحترمون بذلك قدر أمير المؤمنين أو لعلهم تركوا ذلك لما سمعوا الناس يقولون بأمير المؤمنين للفلسفة والظلمة من الملوك العتاة والجورة الطغاة"(٥). أما الشيخ عبد الرحمن بكلي (ت.١٩٨٦/١/١٣م) فيرى ان الأقطار الاسلامية لو اتحدوا على توحيد الرئاسة "اعتبر من ينتخب منهم أميرا للمؤمنين واعتبر كل من كان إماما أو رئيسا في كل قطر من تلك الأقطار عاملا له وهذه النظرية لا يمكن تطبيقها عمليا إلا إذا هيمنت النزعة الاسلامية وسيطرت روحها على تلك الأقطار كما كان الشأن في صدر الاسلام"(٦).

---

(١) ٦) الشماخي، مقدمة التوحيد وشروحها، ص,١١٣

(٢) ٧) محمد أطفيش شرح عقيدة التوحيد ص,٤٢٧

(٣) ٨) محمد اطفيش، شرح النيل، ج١٤، ص. ص ٣٧٢– ٣٧٣.

(٤) ٩) الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص١٣٤.

(٥) ١٠ سالم السيابي إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء ص٥٣.

(٦) ١١ عبد الرحمن بكلي، في هامش كتاب النيل وشفاء العليل، ج٣، ص٣٨٦.

ومن التسميات التي استعملها الاباضية: إمام البيعة، أو امام الظهور إذا انتخب الامام بصفة عادية أو إمام الدفاع في حالة الكتمان أو الدفاع وفيما عدا ذلك نجد امام الأحكام وإمام أهل التحقيق(١). ونجد أحيانا اباضية شمال أفريقيا يسمون الحاكم بالملك رغم ان هذه التسمية تتنافى تماما مع العقيدة الاباضية لأن مفهوم الملك لديهم مخالف للدين. ولعل هذه التسمية تكون قد تسربت من اللسان البربري التي تعني الرئيس والحاكم والكبير والعظيم.....

ومهما يكن من أمر فإن التسمية الغالبة والمألوفة عند الاباضية هي الامام فلإمام كما يرى الشيخ

اطفيش حاكم عدل يعطي بحق ويأخذ بحق، أما الملك فيأخذ بحق ويعطي بلا حق. أما السلطان، وهو المتسلط الذي يأخذ بلا حق ويعطي بلا حق(٢). وإضافة إلى هذا فإن الاباضية حين أطلقوا لفظ الامام دون غيره من الألقاب، فإنهم يقصدون من الامامة مفهوم الاقتداء كاقتداء المأموم بإمام الصلاة(٣) فضلا عما ورد في ذلك من نصوص كقوله تعالى:

{ وجعلنا للمتقين إماما } (٤)

وقوله تعالى: { إني جاعلك للناس إماما } (٥).

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: الإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته(٦) وقوله (من نزع يده عن طاعة إمامه فإنه يأتي يوم القيامة لا حجة له)(٧).

---

(١) ١٢ T .Lewicki, En Is 2e edition.

(٢) ١٣ محمد أطفيش، شرح العقيدة، ص٤٢٧.

(٣) ١٤ ابن خلدون المقدمة، ص٣٣٩، وهو ما ذهب إليه أ.محمد الشيخ بالحاج في لقاء معه.

(٤) ١٥ الفرقان الآية ٧٤.

(٥) ١٦ البقرة الآية ١٢٤

(٦) ١٧ رواه البخاري ومسلم في صحيحهما.

(٧) ١٨ رواه مسلم، راجع باب الإمامة في كتب الحديث، نيل الأوطار للشوكاني، جـ٩ مسند الربيع بن حبيب، جـ١، ص١٩، روض النضير من فقه الزيدية، جـ٥، ص١٠.

ويلتقي الاباضية مع الشيعة في تسمية الحاكم بالإمام غير إن الشيعة يطلقون لفظ الامام على خلفائهم ما داموا يدعون لهم في الخفاء حتى إذا استولوا على الدولة يحولون اللقب إلى أمير المؤمنين(١) أما الاباضية لا يفعلون ذلك.

ومهما يكن من أمر الخلاف بين الفرق الاسلامية حول تحديد لقب للحاكم فإن جميع التسميات من إمام وخليفة وأكير المؤمنين قصد منها تمييز النظام السياسي الاسلامي عن النظام الملكي بالمفهوم اليوناني والفارسي والروماني، والأمم التي تختلف اختلافا جوهريا عن الأمة الاسلامية من حيث أصول العقيدة ونظام الحكم.

ثانيا: مشروعية الامامة ووجوبها

آراء الفرق الاسلامية:

هل الامامة واجبة؟ أم جائزة؟ أم أنها ليست بلازمة إطلاقا؟ ما رأي الاباضية في ذلك؟ وما هي أدلة مشروعيتها؟

يجدر التعرض إلى موقف غير الاباضية من وجوب الامامة أو جوازها ليتضح الرأي الاباضي بجلاء ضمن المذاهب الاسلامية لتيسير المقارنة بين وجهات النظر.

ونبدأ أولا بالمعتزلة: فحيث أنها تعتمد على "النظر العقلي كمنهج للتفكير الفلسفي)(٢) فإنها لم تتخذ موقفا موحدا في مسألة الامامة، فذهب فريق منها يقول: ان وجوب الامامة انما عن طريق الشرع وفي هذه الحالة تكون واجبة بثبوت الأدلة النقلية، أما حكم العقل فأنه لا وجوب للإمامة لأنه ليس في العقل ما يدل على وجوبها يمثل هذا الفريق مشائخ البصرة"(٣).

---

(١) ١٩) عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ص١٩٨.

(٢) ٢٠) د.عبد الرزاق قسوم، محاضرة في موضوع المعتزلة ألقاها بمعهد الفلسفة جامعة الجزائر في ١٦. ١١. ١٩٨١م أنظر في موضوع المعتزلة، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، جـ١، ص٢١٥، الفرق بين الفرق للبغدادي.

(٣) ٢١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، جـ١، ص٢١٥، أطفيش شرح العقيدة ص٤٣٦.

(١٢٦/١)

الفريق الثاني يقول بوجوب إقامة الامامة اعتمادا على العقل الذي يؤكد على وجوب إقامتها. يمثل هذا الفريق البغداديون والجاحظ من البصرة(١).

أما غير المعتزلة من العلماء فيجمعون على وجوب الامامة. وهذا ابن خلدون يؤكد "إن نصب الامام واجب قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين ووجب بالعقل لضرورة الاجتماع للبشر واستحالة حياتهم ووجودهم منفردين) ومن ضرورة الاجتماع التنازع لازدحام الأغراض..." لكنه يرد على القائلين بوجوب الامامة عقلا دون الشرع(٢). كما يثبت ابن تيمية وجوب الامامة فيقول: " ولاية أمر المسلمين من أعظم واجبات الدين بل قيام للدين إلا بها"(٣) لكنه بالرغم من دعوته إلى رئاسة الدولة كواجب ديني الا أنه يثبتها لموجب لا يقل أهمية من الشرع وهو اقتضاء المصلحة الاجتماعية، ويقرر ذلك رغم انه عاش قبل ابن خلدون بنحو ثمانين سنة، فهو يقول: (ان بني آدم لا تتم مصلحتهم الا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد عند اجتماعهم من

رأس"(٤).

(رأي الشيعة:

الامامة عند الشيعة واجبة، بل هي جزء من أصول عقيدتهم ولا يتم الدين إلا بها. تجب بالنص لشخص من الأشخاص من آل البيت عن الرسول صلى الله عليه وسلم فالدليل الدال على وجوب النبوة يدل على وجوب الامامة(٥) وتنقسم الشيعة إلى فرق لكل منها رأيها في الامامة.

الامامة (الاثناعشرية):

---

(١) ٢٢) المرجعان السابقان، علي أبو ملحم، المناحي الفلسفة عند الجاحظ، ص١٣٢.

(٢) ٢٣) ابن خلدون المقدمة، جـ١، ص. ص٣٣٩ —٣٤٠.

(٣) ٢٤) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص١٦١.

(٤) ٢٥) المرجع السابق، ص١٦١

(٥) ٢٦) محسن الأمين، أعيان الشيعة، اعتقادهم في الإمامة والخلافة، جـ١، قسم٢، ص٦، النيوبختي، فرق الشيعة، ص٩، الشهرستاني، الملل والنحل، جـ١، ص١٤٦، ابن تيمية يرد على تكريتي الشيعي منهاج السنة.

سميت بالإثناء عشرية لأنها تسلسل الأئمة إلى الثاني عشر وهو محمد بن الحسن بن علي (المهدي المنتظر) يزعمون أنه سيظهر في آخر الزمن ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا. من تعاليم هذه الفرقة:

* الأئمة أوصياء استودعهم النبي أسرار الشريعة التي لم يبين منها إلا قليلا.

* ما يقوله الأوصياء شرع إسلامي لأنه تتميم للرسالة، وكلامهم شرع وهو بمثابة كلام النبي.

* يجوز للأئمة أن يخصصوا النصوص العامة، ويقيدوا النصوص المطلقة.

* الإمام معصوم عن الخطأ والنسيان والمعاصي فهو ظاهر مظهر.

* يجوز أن تجري خوارق العادة على يد الإمام لتثبت إمامته ويسمونها معجزة.

* الإمام أحاط بكل شيء علما وفي أمور الشريعة خاصة يقول الطوسي "أنه قد ثبت ان الامام إمام في سائر الدين ومتولي الحكم في جميعه،جليه ودقيقة..."(١).

ب— الامامة (الإسماعيلية):

سميت بالإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق من أهم مبادئها في الإمامة ما يلي(٢):

* يتمتع الامام بالفيض الإلهي من المعرفة فيكون فوق الناس قدرا وعلما، اختص بعلم الشريعة الذي ليس عند الناس لأنه فوق مداركهم.

* لا يلزم أن يكون الامام ظاهرا بل يصح أن يكون خفيا مستورا، ومع ذلك تجب طاعته ،ولا بد سيظهر قبل قيام الساعة لأنه المهدي الذي سيهدي الناس.

* الامام ليس مسؤولا أمام الناس وليس لأحد من الناس أن يخطئه مهما يأت من أعمال بل كان ما يفعله خير لا شر فيه فهو معصوم.

* الإمام لا يكون إلا أفضل الناس، ويجوز له في حالة التقية أن يقول أنه ليس بإمام(٣).

---

(١) ٢٧) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الاسلامية، ص٥٥ فما بعد أنظر أيضا عبد الحليم الفرابي في رأيه عن الرئيس.

(٢) ٢٨) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الاسلامية، ص٥٥ فما بعد أنظر أيضا عبد الحليم الفرابي في رأيه عن الرئيس.

(٣) ٢٩) عبد الحليم محمود ، التفكير الفلسفي في الاسلام ص١٦٦.

(١٢٨/١)

* ان عليا كان مصيبا في جميع أحواله وانه لم يخطئ في شيء من أمور الدين(١).

ج– الزيدية:

سميت بالزيدية نسبة إلى صاحبها المذهب، زيد بن علي بن الحسين البسط(ت ١٢٦ه/٧٤٤م) من آراء هذه الفرقة في الامامة ما يلي:

* تقوم الامامة باختيار أهل الحل والعقد لا بالنص(٢).

* الأدلة الخاصة بإمامة علي(رضي) اقتضت تعينه بالوصف لا بالشخص.

* تتبرأ الزيدية من الشيخين دون الطعن في إمامتهما وعلي أفضل منهما(٣).

* تجوز إمامة المفضول مع وجود الأفضل.

* يشترط في الامام أن يكون عالما زاهدا جوادا شجاعا. يخرج داعيا الناس إلى إمامته.

(النجدات

أتباع نجدة بن عامر الحنفي (ت ٦٦٩ه)، الدين عنده أمران: أحدهما الإقرار بما جاء من عند الله

بعد معرفته ومعرفة رسوله وتحريم دماء المسلمين وأموالهم، وثانيها أن النار يدخلها من خالفه في دينه، وان النصر على المعصية مشرك ولو بكذبة، وغير المصر مسلم ولو زنى وشرب الخمر...(٤). ورأي النجدات في الامامة أنها غير مفروضة، والناس ليسوا ملزمين بتعيين الامام وإقامة حدود الله لأن مهمة الامام مراقبة الرعية وحملهم على طاعة الله فإن هم استقاموا فإن الامام لا لزوم له(٥).

---

(١) ٣٠) المصدر السابق، ص١٦٦ أنظر:

Merghoub B. Le development politique en Algerie, p.14.

(٢) ٣١) المصدر السابق، ص١٨٠ وأنظر المقدمة لابن خلدون ص٣٥٤..

(٣) ٣٢) ابن خلدون المقدمة، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١م، ص,٣٥٠

(٤) ٣٣) عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٦٦، الشهرستاني، الملل والنحل، جـ١، ص١٢٢.

(٥) ٣٤) الموجز لأبي عمار عبد الكافي، جـ٢، ص٢٣٣، للشهرستاني، الملل والنحل جـ١، ص١٢٤ انظر أيضا أبو ستة في حاشية الوضع باب الإمامة وانظر محمد اطفيش جامع الوضع والحاشية، ص٢٧.

(١٢٩/١)

وممن يقول النجدات الأزارقة والصفرية: فهم يرون عدم وجوب نصب الامام أصلا، وبعض منهم قالوا يجب عند الأمن لا عند الفتنة، كهشام بن عمر القوصي وأتباعه(١) وذهب غيرهم إلى أن الامامة لا تنعقد إلا باجماع الامة عن بكرة أبيهم ويعني هذا استبعاد نصب الامام ما دام هناك خلاف...

(السكاكية:

وهم أتباع عبدالله السكاك اللواتي(٢) الذي يرى أن شروط الامامة لا تتوفر في أي أحد حتى في الآذان والصلاة(٣) وعليه فالإمامة غير واجبة لا في الأمن ولا في الحرب لعدم وجود من يستحقها الا أن هذه الفرقة من الاباضية لم تعمر طويلا فقد تلاشت من الوجود منذ أواخر القرن (٥هـ/١١م)(٤).

ب- رأي الاباضية في مشروعية الامامة:

إقامة الامامة عند الاباضية أمر واجب على المسلمين– حيثما وكيفما كانوا– يقول الشيخ تبغورين بن عيسى(ق ٥هـ) (وعقد الامامة فريضة عندنا لفرض الله الأمر والنهي، والقيام بالعدل وإقامة الحدود على ما بينه في كتابه فاجتمعت الأمة على أن هذه الحدود مع وجوبها لا تقام إلا بالأئمة وولاتهم فثبت أن عقد الإمامة على المسلمين واجب وحق لازم(٥).

---

(١) ٣٥) اطفيش، شرح العقيدة ، ص ٤٣٦.

(٢) ٣٦) من قنطرار بالجريد التونسي، عاش في أوائل ق ٦هـ، انفصل عن الاباضية بآرائه المتطرفة منها إبطال الأذان وصلاة الجماعة.

(٣) ٣٧) صالح باجيه، الاباضية بالجريد، ط١، دار بوسلامة للنشر، تونس ص٣٩.

(٤) ٣٨) عوض محمد خليفات، النظم الاجتماعية والتربوية عن الاباضية، ط١، عمان ١٩٨٢، ص١٠٥ انظر أيضا الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، جـ١، ص١١٨– ١١٩.

(٥) ٣٩) تبغورين، رسالة في أصول الدين مخطوطة، انظر سيرة ش.أبي الحسن العماني، في سير أهل عمان مخطوط جـ١، ورقة ٩٥، راجع أيضا: أبو عمار عبد الكافي الموجز، جـ٢، ص٢٢٣...كذلك: أطفيش جامع الوضع والحاشية، ص٢٧.

(١٣٠/١)

أما الشيخ اطفيش(١٨١٨م– ١٩١٤م) فيرى أنها "من الأصول لما صح عن عمر وغيره من الأمر بقتل من تعين نصبه إماما فأبى قبولها. الا أنها ليست مما يقدح تخلفه في صفة الله تعالى فمعنى كونها من الأصول أنه لا يجوز الخلاف فيها(١). وفي شرحه للنيل يقول: "إن الأمر والنهي لا يتمان إلا بإمام عدل، فنصبه واجب، إذا كان المسلمين على نصف عدوهم الذي يتقون شوكته، ويرد الشيخ اطفيش بقوة على القائلين بعدم وجوب نصب الامام ودليلهم على عدم النصب، ان الانسان تأبى نفسه أن يتولى عليها غيرها، ولأن منصب الامام قد تحتكره طائفة دون أخرى فيكون الصراع ويعظم الضرر. وحيث الامام غير معصوم فقد يكفر ويحمل الناس على الكفر فيكفرون أو يقاتلونه ويقاتلهم بمن معهم فيكون الضرر أشد.

وقد يحتج القائل بعدم نصب الامام بوجوه أخرى منها: ان الناس إذا توفرت مصالحهم الدينية والدنيوية فإن الحاجة إلى نصب الامام غير واردة والدليل أن أهل البادية الخارجين عن أحكام السلطان قد انتظمت أحولهم بلا امام، فيرد الشيخ اطفيش على ذلك بقوله: "إن ضرر عدم نصب

الامام– في الحالة الأولى– أكثر لأن كثيرا من الناس ينقاد إلى مثله فكيف إلى من هو أعظم، وإذا كفر لم يترك على كفره فقتاله مأمور به شرعا"(٢). أما عن أحوال أهل البادية فإن الواقع يثبت أنها غير منتظمة "وفيهم فتن عظيمة لا يبقى بعضهم على بعض ولا يقيمون على فرض ولا على سنة ومتى اتفقوا فإنما يتفقون على باطل ثم انه يتوزع إلى بواطل فيختلفون أيضا"(٣).

---

(١) ٤٠) اطفيش، شرح العقيدة ، ص ٤٣٦.

(٢) ٤١) محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص ٤٣٨.

(٣) ٤٢) المصدر السابق، ص٤٣٩.

وقد يستدلون على عدم تعيين الامام بأن الانتفاع بالإمام انما يكون بالوصول إليه وطرح المشاكل عنده وهذا أمر متعذر لأنه لا يستطيع كل واحد من الرعية الوصول إلى الامام كلما ظهرت لديه أمور دينية أو دنيوية فيجيب الشيخ أطفيش "بأن الانتفاع بالإمام لا يكون بالوصول إليه فقط بل يكون أيضا بوصول أحكامه وسياسته إليهم...."(١).

أما الامامية من الشيعة فتقول بوجوب نصب الامام على الله لا على الانسان. وذلك لطفا من الله بعباده ليتوصولا إلى طاعته، فإن الشيخ أطفيش يرى في رأيهم هذا تصرفا ومغالاة ، ذلك إن الامامة إذا وجبت– على حد قولهم– فإن رأيهم فإن الوجوب مقدور عليه، وأيضا يحصل اللطف بالإمام لزجره وانصرافه الضعيف والقوي"(٢).

والواقع ان الامامية– في رأي القطب– مخطئون في قولهم بوجوب نصب الامامة على الله لأنهم لم يوجبوا ذلك على الله في هذا الزمان– بعد موت علي(رضي)– وانما الذي يوجبونه هو امام معصوم مختف، ويترتب على ذلك خطآن، الأول: أبطلوا لطف الله لعدم ظهور الامام لأن ظهوره بين الناس لطف من الله، الثاني:لزم عن عدم الظهور كونه تعالى تاركا للواجب، ما داموا يقرون أن نصب الامام واجب على الله.

ثم يتصدى القطب لمناقشة رأي الخوارج(٣) المتمثل في عدم وجوب نصب الامام لأن تنصيبه يثير الفتنة، لاختلاف الأهواء، فبعض يحب نصب فلان، وبعض يحب نصب الآخر، فيتعذر حينئذ الاتفاق الجماعي على تعيين واحد، حتى وأن نصب الامام بالأغلبية، فإن بوادر الخلاف وأصول الفتنة ستظهر في الفئة القليلة الناقمة على الامام فيحصل الضرر، والسبب راجع إلى اختلاف

الناس حول الشروط المطلوب توفرها لدى الامام وحيث أنه يتعذر اجتماع كل الشروط عند واحد فانه بالتالي يتعذر تعيين الامام.

---

(١) ٤٣) المصدر السابق، ص٤٣٩.

(٢) ٤٤) محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص ٤٤٠.

(٣) ٤٥) الخوارج القائلون بعدم وجوب نصب الامام هم الصفرية والازارقة والنجدية.

هذا محمل رأي الخوارج في عدم النصب لكن الشيخ اطفيش يرد عليهم ويعطي البديل لحل هذه المسألة فيقول: "إن هذا نفسه أدل على الوجوب(...) فيقدم العلم وان تساويا فالأروع(...) وإن تساويا، فالأسن، وقد يقدم الأليق مع وجود الأعلم فتندفع الفتنة بهذا التفصيل ومن أبي ففاتن، ففتنته باغية، ولا تخلو الدنيا منن انكار حق وقبول باطل والزجر عند ذلك(١)، وهكذا يرد القطب على الخوارج، ورده صميم دليلهم فإذا كان الدليل يقوم على درء الناس فإن المشكل إذن ينحصر في الاتفاق على شخص يصلح للإمامة ويرضى عنه الجميع، وإذا كان كذلك فالحل في الاتفاق. وأحسن وسيلة هي ضبط الشروط وتحديد المواصفات الموضوعية المطلوب توفرها لدى المرشح للإمامة، على ان تكون هذه الشروط محل رضاء الجميع، وحتى تكون كذلك يضع القطب جملة من الشروط مع ترتيب عقلاني لها حسب الأهمية، فقدم العلم أولا ويليه الورع في حالة التساوي ثم الأسن المتمتع بالخبرة والحنكة الكافية، على أن هذا الترتيب يخضع عند الضرورة للتعديل المناسب(٢) فقد يرشح العالم لكنه ضعيف في السياسة قليل الخبرة بأمور الحرب، غير بصير والاحتمال الثاني ألا يكون العالم المترشح للإمامة ذا نفوذ في قومه، ولا يتمتع بالشعبية الكافية مما يثير نصبه فتنة بين الرعية، وهنا تقتضي المصلحة العامة التنازل عن أحد الشروط المطلوبة تلبية لرغبة الرأي العام، وهذا من أصول الديموقراطية، غير ان الشيخ اطفيش لا يقول بتحقيق مطالب الناس فردا فردا لأن الاتفاق العام على قضية لا يمكن حصوله لاختلاف الأهواء والأغراض بين الناس، فحينئذ يلجأ إلى الأخذ بمبدأ الأغلبية الصائبة "ومن أبي ففاتن وفتنته باغية"(٣)، لأن الطبيعة الإنسانية لا تخلو

---

(١) ٤٦) محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص ٤٤٠.

(٢) ٤٧) **Pierre Cuperly, Introduction a I,ctude de L,Ibadisme et de sa theologie O.P.U. Alger, 1984, p.296**.

(٣) ٤٨) محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص ٤٤٠.

(١٣٣/١)

من الاعوجاج والتطرف السلبي من أجل تحقيق الأغراض الخاصة بأية وسيلة حتى بإنكار حق وقبول باطل"(١)، وفي هذه الحالة يجب حسم الموقف بالقوة المشروعة، ويصبح الزجر ضروريا حتى تفيء الباغية إلى أمر الله تعالى.

ومجمل القول أن الاباضية ترى أن الامامة فرض واجب لأنها ضرورية من أجل تطبيق الأحكام الإلهية ونشر العدالة بين الرعية، والعدل في توزيع الثروات ومحاربة المرتدين(٢) ويتفق مع الاباضية أغلب المذاهب الاسلامية في ضرورة نصب الامام.

جـ- الأدلة النقلية لوجوب الامامة عند الاباضية(٣):

شرع الله في القرآن أحكاما لا يتصور تنفيذها دون وجود دولة تتولى تنفيذها كقتل القاتل(٤) وقطع اليد(٥) ومعاقبة الساعي في الأرض فسادا(٦) وغيرها من الأحكام التي تستلزم وجود سلطة تطبق ما شرع الله، هذا فضلا عن الآيات التي تشير صراحة إلى ضرورة إقامة الدولة منها قوله تعالى:

{ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون } (٧)

وقال:

{ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل } (٨)

---

(١) ٤٩) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) ٥٠) **Pierre Cuperly, Introduction a I,ctude de L,Ibadisme p.291**.

(٣) ٥١) ذكر الشيخ اطفيش أكثر من أربعين حديثا من السنة بشكل مباشر وغير مباشر وجوب الإمامة انظر شرح النيل، جـ١٤، ص٢٦٧...

(٤) ٥٢) المائدة الآية ٤٥.

(٥) ٥٣) المائدة، الآية٣٨.

(٦) ٥٤) المائدة، الآية ٣٣

(٧) ٥٥) آل عمران، الآية ١٠٤.

(٨) ٥٦) النساء الآيات ٥٨- ٥٩.

(١٣٤/١)

أما الأدلة النقلية من السنة فكثيرة نذكر منها قوله – صلى الله عليه وسلم – :"الإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته"(١) ، وقال:"تخيروا لإمامتكم وتخيروا لنطفكم"(٢)، وقال في طاعة الأمراء:أطيعوهم ما لم يمنعوكم الصلوات الخمس"(٣)، وإلى جانب هذه الأدلة وغيرها نجد في حرص عمر بن الخطاب وأبي عبيدة من قتل المرشح للإمامة أن أبي ورفضها، دلالة صريحة على وجوبها.

د- الأدلة العقلية لوجوب الامامة:

لما كان اجتماع الأمة على ان حدود الله لا تنفذ إلا بالأئمة العدول ولاتهم...ثبت أن عقد الإمامة على المسلمين فرض واجب وحق لازم، يقول أبو عمار عبد الكافي: ولما كانت الفروض التي ذكرناها منوطة بالإمامة التي لا تقام إلا معها فكل ما كان من الفرص لا يتم إلا به فهو فرض مثله والأمة لا تجتمع على شيء ثم تختلف فيه(٤) أما الشيخ اطفيش فيرى وجوبها إلى جانب ما تقدم- اقتضاء للمصلحة الاجتماعية من دفع الضرر وجلب المصالح يقول: فإذا وجد في نصب الامام دفع ضرر مظنون واجب إجماعا، وعليه فنصب الامام واجب"(٥).

---

(١) ٥٧) رواه البخاري ومسلم.

(٢) ٥٨) الربيع بن حبيب، الجامع الصحيح، ص٢٠٤، رواه جابر عن ابن عباس.

(٣) ٥٩) المصدر السابق، ص٢٠٣.

(٤) ٦٠) أبو عمار عبد الكافي، الموجز تح عمار طالبي، جـ٢، ص٢٣٤.

(٥) ٦١) أطفيش، شرح العقيدة، ص٤٣٦، انظر: سعيد التعريتي، المسلك المحمود ص٤٩.

(١٣٥/١)

وإذا كان فضل الرسول – صلى الله عليه وسلم – مصدرا أساسيا للتشريع، فإنه أقام دولة مثالية في أسلوب جديد لم يعهده العرب من قبل فولى الولاة، وعين القضاة، وأرسل القواد وأقام الحدود

وعقد العهود، ونمى أموال بيت المال فوزعها بالعدل بين مستحقيها. هذه أسوة الرسول – صلى الله عليه وسلم – في شخص الحاكم والقائد، وراعي الرعية، فالمسلمون مأمورون بالاقتداء بها، لا على أنها مشروعة فحسب، بل لاقتضاء المصلحة العامة وضرورة الاجتماع لها. ومن بين هذه المصالح الاجتماعية، وحدة الأمة واتحادها لا يتحقق إلا بوجود سلطة يخضع لها كل فرد في الأمة، وتنقاد لها جميع الطوائف والأقليات، وهو ما انتبه إليه زعماء القبائل البربرية قبل ميلاد الدولة الرستمية حين وجدوا أنه لا مناص من تعيين إمام فقالوا: "قد علمتم أنه لا يقيم أمرنا إلا إمام نرجع إليه في أحكامنا وينصف مظلومنا من ظالمنا، ويقيم لنا صلاتنا ونؤدي إليه زكاتنا ويقسم فيئنا"(١) إذن فقد اجتمعت الأدلة النقلية والعقلية على وجوب نصب الامام وإقامة الدولة، لكن لا يزال في المسألة إشكال يطرح نفسه بعد الأخذ بمبدأ وجوب نصب الامام والإشكال ينحصر في طرق ثبوت الامامة وشروطها.

ثالثا: ثبوت الامامة

اختلفت المذاهب الاسلامية حول طرق إثبات الامامة الا أنها اتفقت جميعا على إثباتها بالنص من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أما الطرق المختلف حولها فهي ثبوتها بالنص من الامام السابق أو بأهل الحل والعقد ولو كانوا غير مجتهدين(٢) بمعنى الاختيار والبيعة أو عن طريق الدعوة وهي ان يباين الظلمة من هو أهل للإمامة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو الناس إلى اتباعه.

---

(١) (٦٢) ابن الصغير أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق، د.محمد ناصر. أ.إبراهيم بهاز المطبوعات الجميلة الجزائر ١٩٨٦م، ص. ص ٢٥– ٢٦.

(٢) (٦٣) محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص٤٤٣.

وبيان الخلاف ان الامامية(١) تنفي طريق الاختيار والدعوة، واتفقت الأشاعرة والمعتزلة والخوارج والصالحية من الزيدية على ان الاختيار طريق إليها أيضا وهو مذهب الاباضية، أما الجارودية(٢) من الزيدية فتجعل الدعوة طريقا لثبوت الامامة(٣)

ومن أدلة الشيعة على إثبات الامامة بالنص: ان الامامة نيابة عن الله ورسوله فلا تثبت بأهل البيعة وإلا كان الامام خليفة عنهم لا عن الله ورسوله، وير القطب عليهم "بان اختيار أهل البيعة دليل على

نصب الله ورسوله للإمام وحكمها به كسائر إنفاذ الأحكام، فالبيعة مظهرة له لا مثبته(٤).
ومن أدلتهم ان أهل البيعة لا يجوز لهم التصرف على غيرهم فكيف يملكون ذلك–كما يرى الشيخ اطفيش– ان بيعة أهل البيعة هي إمارة من الله ورسوله، وحكمها ينطبق على سائر الرعية لأنهم ممثلون عنهم، أما القضاء فأمر يثبت بما دون البيعة " وهو إقامة الامام له وبإمكان الرجوع فيه الى الامام وان لم يكن امام فلا بد من البيعة للقاضي أو إقامة الجماعة أو ذي إمارة له تغني"(٥)، ثم ان البيعة لا يشترط فيها الإجماع بل تصح ولو بواحد كعقد عمر للصديق. كما لا يشترط على الامام ان يعلم كل شيء فإذا لم يعلم سأل أو اجتهد. إذن فلا مجال لضرورة النص عقلا.

رابعا: وحدة الامامة وتعددها

---

(١) ٦٤) انظر حول الإمامية وفرقها، عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص١٧، ٣٩.
(٢) ٦٥) انظر حول الجارودية، المصدر السابق، ص١٦.
(٣) ٦٦) محمد اطفيش. شرح عقيدة التوحيد، ص٢٢٩.
(٤) ٦٧) المصدر السابق، ص٤٤٣.
(٥) ٦٨) المصدر السابق، ص٤٤٣.

كثر الحديث بين الفقهاء ومؤرخي الفلسفة الاسلامية حول جواز تعدد الأئمة وعدم الجواز، فالقائلون بالجواز يستدلون بتراضي علي(رضي) ومعاوية سنة أربعين للهجرة على اقتسام الشام والعراق فكتب معاوية الى علي يقول له: "أما اذا شئت فلك العراق ولي الشام، وتكف السيف عن هذه الامة ولا تهرق دماء المسلمين"(١)
هذا ما ذهب إليه قوم من الكرامية (٢) وهو جواز نصب أمامين أو أكثر في وقت واحد....
والرأي الآخر يرى انه لا يجوز تعدد الأئمة إطلاقا استنادا الى حديث لعمر بن الخطاب يقول فيه :"إن الله واحد والاسلام واحد ولا يستقيم سيفان في غمد واحد" يعني إمامين في وقت واحد(٣).

---

(١) ٦٩) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مط الحسينية، القاهرة ١٣٥٥هـ، ج٥، ص١٤٠.
(٢) ٧٠) فرقة من المجسمة تنتسب الى محمد بن كرام السجشتاني المتوفى سنة ٢٥٦هـ، تزعم

هذه الفرقة ان عليا ومعاوية كانا إمامين، يجب على الناس اتباع كل واحد منهما(...) غير ان عليا كان إماما على السنة ومعاوية على خلاف السنة، فأجازت الكرامية كون إمامين أو أكثر في وقت واحد من وقوع القتال له. أنظر عبد القاهر البغدادي كتاب الملل والنحل حققه وقدم له وعلق عليه د.ألبير نصري نادر، ط٢، دار المشرق بيروت ١٩٨٦، ص. ص ١٤٩– ١٥٤.

(٣) ٧١) ش. أبو الحسن العماني، سير أهل عمان، ج١، ص١٠٠، البقلاني نصوص من الفكر السياسي ليوسف أيبش، ص٥٠، عبد القاهر البغدادي أصول الدين، ص١٢٨، الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٩، ابن ١٩٨٦حزم الفصل في الملل والنحل ج٤، ص٨٧

(١٣٨/١)

والرأي الثالث في الموضوع :ان الامامة لا تجوز لشخصين في آن واحد بنفس البلد الا اذا "بعد المدى وتخلل بين الإمامين شسوع النوى، فالاحتمال في ذلك مجال، وهو خارج من القواطع"(١) وهذا رأي الاباضية في الغالب، فقد أقر التعاريتي بقوله: "لا يجوز تعدد الأئمة في صقع متضائق الأقطار خلافا للماوردية"(٢)، أما اذا اتسع نطاق البلد أو كان البحر فاصلا بين القطرين بحيث لا يطيق الامام الواحد تولي جميع شؤونه فانه يجوزه"(٣) وهو ما ذهب إليه الشيخ عبد العزيز الثميني في قوله: "ولا يرى إمامان لعسكر واحد وجاز لعساكر ولبلاد متفرقة"(٤).

ويبدوا ان العمل جرى بالسماح بتواجد عدة أئمة اباضية في عدة بلدان من العالم الاسلامي في آن واحد(٥)

---

(١) ٧٢) الجويني، إمام الحرمين(ت ٤٧٨هـ) الإرشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد نقله يوسف أيبش في كتابه نصوص الفكر السياسي، ص١٧٩.

(٢) ٧٣) لكن الماوردي لم يخالف التعاريتي، انظر الماوردي، الأحكام السلطانية.

(٣) ٧٤) سعيد التعاريتي، المسلك المحمود....، ص٥٠.

(٤) ٧٥) عبد العزيز الثميني، كتاب النيل وشفاء العليل، ج٣، ص٨٨٦.

(٥) ٧٦) تادوز لويكي، دائرة المعارف الاسلامية مادة الاباضية،

.**T. Lewicki, En. Is, 2e edition**

(١٣٩/١)

"مثل ما عقد لعبدالله بن يحيى طالب الحق(١) في المشرق في حين كانت إمامة الاباضية قائمة بالمغرب"(٢). على أي حال فإن الرأي الصحيح في نظر الاباضية هو ما جاء على لسان الشيخ عبد الرحمن بكلي (ت.١٣-١-٨٦) في قوله: يجوز إقامة امام بكل قطر ولا يجوز إقامة امامتين في قطر أو مصر واحد لما يتولد على ذلك من شتات الشمل واختلاف الكلمة وتنازع النفوذ(...) وهو ما استقر عليه العمل اليوم في سائر الأقطار الاسلامية"(٣). وقد أشار الشيخ اطفيش إلى هذا الرأي في قوله :"الواجب امام واحد ولكن لو فصلت أقوام لا تطاق فانه يصح إمامان وأكثر"(٤) الا ان هذا ينافي قول اباضية المشرق في انه "لا يجوز إمامان في الدنيا الا في خصلة واحدة هي ان يفصل بينهما البحر"(٥).

خامسا: شروط الامامة:

رغم اعتقاد الاباضية بوجوب الامامة واقتناعهم بضرورة تعين الامام فانهم لا يرونها واجبة في ظروف خاصة، معنى ذلك ان وجوب الامامة مشروط بتوفر العوامل المساعدة على إقامتها ونظرا لذلك وضع علماء الاباضية جملة من الشروط ينبغي مراعتها في اختيار الامام واعلان الدولة.

---

(١) ٧٧) أبو إسحاق الحضرمي، مختصر الخصال، أما طالب الحق فتولى الامامة باليمن، واستولى على الحرمين سنة ١٣٠هـ.

(٢) ٧٨) استبعد ان تكون إمامة عبدالله بن يحيى معاصرة للإمامة الاباضية لأن وفاة طالب الحق كانت على الأرجح سنة ١٣٣هـ، بينما الإمامة بالمغرب كانت في ١٤٠هـ على يد أبي الخطاب.

(٣) ٧٩) عبد الرحمن بكلي، في هامش النيل وشفاء العليل، تأليف الشيخ عبد العزيز الثميني (ت ١٢٢٣هـ) ط٣، المطبعة العربية، غرداية الجزائر ١٩٦٩م.

(٤) ٨٠) محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص٤٢٨.

(٥) ٨١) المصدر السابق، ص٤٢٨.

وينبغي الإشارة الى ان هذه الشروط قد تختلف الظروف التي يعيشها الاباضية من ناحية، وقد تختلف من ناحية أخرى باختلاف نوع الامام المراد إعلانها فشروط إمامة الظهور ليست هي شروط إمامة الدفاع، أو إمامة الشراء، أو إمامة الكتمان، وعليه فإننا نركز الآن على شروط إمامة الظهور، التي هي ثلاثة- كما يرى أبو اسحاق الحضرمي (ق ٥هـ).

أحدهما: قوة أهل الدعوة، وذلك أن يغلب على ظنهم ان يغلبوا أهل الباطل ، والثانية أن يكون أهل الدعوة(١) أربعين رجلا أحرارا بالغين أصحاء والثالث أن يكون فيهم ستة رجال فصاعدا أهل علم بأصول الدين والفقه من ذوي ورع وصلاح في الدين(٢) فإذا اجتمع للإباضية هذه الشروط يصبح إعلان الامامة أمرا واجبا فيعقدونها لأفضلهم أو من يستحقها منهم(٣).

لكن نلاحظ ان الشرط الثاني متعلق بعدد الرجال فانه في الواقع يخص الامامة في مرحلة الدفاع أما في مرحلة الظهور فيجب ان يكون عدد المسلمين (كنصف عدوهم في جميع ما يحتاجون إليه)(٤) لقوله تعالى:

{ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين } (٥).

يحدد الشيخ محمد اطفيش (١٨١٨-١٩١٤) أهم ما يحتاج إليه لقيام الدولة بقوله: (ما يكفي من سلاح وكراع وعلم ومال)(٦) فاشتراطه للكفاية له معنى كبير لأن محاولة قيام الدولة بدون الأعداد لها- مسبقا- أعدادا كافيا وقويا لا يضمن النجاح والاستمرار للمحاولة وفيما يلي بيان وسائل الإعداد.

---

(١) ٨٢) المقصود بأهل الدعوة، جماعة الاباضية، انظر أصل التسمية في الفصل الأول من الباب الأول.

(٢) ٨٣) أبو إسحاق الحضرمي، مختصر الخصال، (مخطوط) ورقة ٧ ب.

(٣) ٨٤) راجع شروط الامام، الفصل الأول الباب الرابع.

(٤) ٨٥) محمد بن عمر أبو ستة، حاشية الوضع، باب مسالك الدين(مخطوط).

(٥) ٨٦) الأنفال، الآية ٦٦.

(٦) ٨٧) محمد بن يوسف اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص٤٣٦.

السلاح: رمز القوة، وبدونه لا تستطيع الامة الدفاع عن نفسها ولا الظهور على أعدائها، بل حتى الأمن الداخلي لا يمكن تحقيقه ان لم يكن للسلطة سلاح كاف، ويستتبع السلاح بالضرورة جيشا كفؤا قادرا قويا، حسن التدريب.

الكراع: ويرمز الى الوسائل والتجهيزات بمختلف أنواعها وهي غير محددة النوع والكيف،

لاختلافها من عصر الى أخر، وحيث ان أهل القرون الماضية يعولون على الحيوان فمه معاشهم فمنه اللباس والأكل والشرب وعليه ينتقلون ويحملون متاعهم، وبه يدافعون ويحرسون. فإنهم جعلوا توفره من شروط إقامة الدولة ونظرا للاعتبارات المتقدمة، على انه من الممكن الاستغناء عنه واستبداله بما هو أفضل وأصلح خصوصا وان الانسان يعيش عصر الآلة المتطورة والتكنولوجيا المبدعة.

العلم: ويرمز الى الثقافة الضرورية تجاه الدولة، وهي بمثابة العقل من الجسد والعلم يحمله العلماء وذوو الحجا فعلى كواهلهم تقوم الدولة وبيدهم يكون زمام الأمور.

المال: وهو قوام الأعمال، ويرمز الى الجانب المادي الذي لا بد منه لضمان سير الأمور بوجه أفضل.

هذه أهم الشروط الواجب توافرها لإقامة الدولة واعلان الظهور، وتأتي في الدرجة الثانية بعد العناصر الأساسية لتكوين الدولة وهي ثلاثة:

١- السلطة: وتتمثل في الامام الذي يتولى أمور المسلمين، ويرعى شؤونهم ويساعده جهاز الحكم من قضاة وعمال ومجلس الشورى والقائمين بالحسبة والجيش.

٢- الأمة أو الرعية التي تتولى السلطة قيادتها ورعايتها ويشترط فيها أن تكون في العدد كنصف العدو- على الأقل- كما أشرنا.

٣- الأرض التي يسكنها الشعب ويجري فيها حكم تلك السلطة.

الفصل الثاني

أنواع الإمامة (مسالك الدين)

أولا: الظهور

أ-علاقة الاباضية بالأمم في مرحلة الظهور

ب- الحكم في الأموال والكنائس والبيع

ج- علاقة الاباضية بأهل الخلاف في مرحلة الظهور

د- حكم الدار ومعسكر السلطان.

ثانيا: الدفاع

أ-موجبات الدفاع

ب- نتائج الدفاع

ثالثا: الشراء

أ-شروط مرحلة الشراء

ب- أهداف الشراة

رابعا: الكتمان

أ-التنظيم الاجتماعي في مرحلة الكتمان

ب- علاقة الاباضية بمخالفيهم في مرحلة الكتمان

جـ- نظام العزابة

د- نظام العشيرة

أنواع الإمامة (مسالك الدين)

المسالك لغة مواضع السلوك وهي الطرق(١) قال تعالى:

{ الذين جعل لكم الأرض مهادا وسلك لكم فيها سبلا } (٢).

أما المسالك اصطلحا فهي "الطرق التي يتوصل بها إنفاذ الأحكام الشرعية(٣)، وهي تعبر عن مراحل الامامة لـ الاباضية- التي يمكن ان تجتازها في مختلف أدوار حياتها إزاء واجب الدعوة لدين الله...."(٤)

ويعتبر هذا الأصل "مسالك الدين" من أهم ما يتميز به الاباضية في مجال الفكر السياسي. فهو يضع جملة من التعاليم والمبادئ يحدد الاباضية وفقها مواقفهم السياسية في مختلف الظروف الزمانية والمكانية سواء المتعلقة بالشؤون الداخلية حيث تتواجد التجمعات الاباضية أو المتعلقة بالشؤون الخارجية متمثلة في علاقاتهم بالدول الأخرى أو تكتلات مخالفيهم.

ولعل السر في استمرار البقاء الاباضي، منذ ان سطع نور الاسلام الى يوم هذا سواء البقاء الفكري في عقيدتهم وتعاليمهم. أو البقاء الاجتماعي في قبائلهم وشعائرهم، يعود الى هذا الأصل الذي يضمن لهم أسباب التكيف والتأقلم مع الحياة وتطوراتها مع الأمم وسياستها، مع المخالفين وعقائدهم، كل ذلك ضمن الإطار الشرعي وفي حمى الكتاب والسنة.

---

(١) ١) بدر الدين الشماخي، مقدمة التوحيد وشرحها ص٥٠.

(٢) ٢) سورة طه، الآية ٥٣.

(٣) ٣) محمد بن يوسف اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص١١٣.

(٤) ٤) عبد الرحمن بكلي، فتاوي البكري، جـ٢، ص٣٣٧.

وخلاصة ما يهدف إليه هذا الأصل "مسالك الدين" هو التخطيط لإقامة دولة إسلامية عادلة دستورها القرآن والسنة، حكامها خبراء في أمور الدين والدنيا فإن لم يتحقق هذا المطلب بان عدمت شروط إقامة الدولة وجب حينئذ تصحيح الأوضاع أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر، بمختلف الوسائل والنهج المشروعة، فقد يضطر الموقف لإعلان الثورة ضد الجور والفساد، وقد تقتضي الحكمة انتهاج سياسة اللين والعمل في الخفاء من الإصلاح وتغيير المنكر بالتي هي أحسن(١).

وفيما يلي عرض تحليلي لمسالك الدين الأربعة: وهي الظهور، والدفاع، والشراء، والكتمان مع إبراز العلاقة بين تعاليم الاباضية مبادئها وبين ما تقوم عليه نظرية مسالك الدين من أبعاد سياسية.

أولا: الظهور

الظهور (هو الأصل والمأمور به)(٢) يمثل المرحلة الأولى من مسالك الدين وتعتبر أفضل المراحل وأحسنها وعادة ما تكون هذه المرحلة "تتويجا للمساعي والجهود للحالات الثلاث: الكتمان والدفاع والشراء" وهي الهدف الذي بتقاتل ويستشهد في سبيله الاباضية وعند الانتصار تسمى هذه الحالة بالظهور. ويعني بها قيام حكومة اباضية وفقا لتعاليم المذهب الاباضي(٣) تسير على منهج الشرع الاسلامي، فتنفذ أحكام الله وتقيم الحدود وتصون الحقوق وترد الظلم وتحفظ الثغور وتحمل دعوة الاسلام الى بلاد الكفر(٤)، لأن الدولة حينئذ تكون قد ظهرت على غيرها. بعد ان تكاملت فيها جميع الوظائف العامة والأساسية ويكون المجتمع الاسلامي فيها حرا ولا يطغي عليه ذو سلطان"(٥)

---

(١) ٥) أنظر للمزيد من التوضيح:

Cheikh Bekri, Ie Kharijisme Berbere, p. 60.

(٢) ٦) محمد بن عمر أبو ستة، حاشية الوضع، (مخ) غير مرقم، وانظر مقدمة التوحيد وشروحها لعمر بن جميع ط القاهرة، ١٣٥٣هـ، ص٥٠

(٣) ٧) مهدي طالب هاشم نشأة الحركة الاباضية بالمشرق، ص٢٩٨.

(٤) ٨) علي يحيى معمر الاباضية بين الفرق الاسلامية.

(٥) ٩) علي يحيى معمر الاباضية في موكب التاريخ، الحلقة ١، ص٩٣.

ومرحلة الظهور– لا تتحقق الا "بالإمامة الكبرى لإنفاذ حقوق الله وحقوق العباد، لا يزول إمامهم الا بأحداث في الاسلام أو زوال عقل أو عدم نفع...."(١).

ويضع الاباضية جملة من الشروط الواجب توافرها لإعلان الظهور وإقامة الدولة سبقت الإشارة إليها(٢) أما أدلة مشروعية الظهور فكثيرة منها قوله تعالى:

{ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين } (٣)

{ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون } (٤).

ويشير الاباضية إلى أمثلة من التاريخ للدول في حالة الظهور منها ظهور النبي بمكة بعد إسلام عمر(رضي) ثم ظهوره بالمدينة بعد الهجرة وظهور أبي بكر وعمر يصليان الجمعة، ويجمعان الزكوات والغنائم(٥) وظهور الدولة الخطابية(٦) في طرابلس الغرب والدولة الرستمية في الجزائر.

وفي الواقع يمكن ان نلاحظ نوعين من الظهور : الأول: للظهور الكامل حيث تتحقق الامامة العادلة– كما ينبغي ان تكون وفق المبادئ العامة للفكر السياسي الاباضي وفي إطار الحدود الشرعية ويمثل هذا النوع حالة الدولة الرستمية في عز أوجها. والنوع الثاني وهو الظهور الناقص أو الظهور الضعيف، وفيه تكون الأمة ظاهرة ومستقلة وذات سيادة لكنها لا تحقق كل الأهداف المرجوة ولا تبلغ كمال الظهور ولا الامامة العظمى فتضعف عن تطبيق بعض المبادئ السياسية كالانتخاب الخاص والبيعة الشرعية، أو تعجز عن تطبيق الأحكام الشرعية كإقامة الحدود وإعلان الجهاد يمثل هذا النوع حالة الامة العمانية في نهاية القرن العشرين.

أ–علاقة الاباضية بالأمم في مرحلة الظهور:

---

(١) ١٠ محمد يوسف اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص١١٣.

(٢) ١١ راجع شروط الامامة في الفصل الخامس.

(٣) ١٢ سورة المنافقون الآية ٨.

(٤) ١٣ سورة آل عمران الآية ١٠٤.

(٥) ١٤ محمد يوسف اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص١١٤.

(٦) ١٥ نسبة الى أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح، دامت دولته من ١٤١هـ إلى ١٤٤هـ.

(١٤٥/١)

الاباضية لا يرون قهر غيرهم ولا التدخل في شؤونهم وغايتهم ان يعيش الجميع في وئام وتفاهم، وهذا ما يلمسه الدارس لتاريخ الدولة الرستمية حيث سلك الاباضية فيها "سياسة التعايش السلمي مع جيرانهم(...) واحترموا مبدأ الحرية والعدل والمساواة وغيرها..."(١). كما تمتاز دولة الرستمين "بانتماء السكان فيها الى فرق دينية شتى عاش بعضهم مع بعض في سلام ووئام"(٢).

---

(١) ١٦) أسسها عبد الرحمن بن رستم سنة ١٦٠هـ وعاصمتها تيهرت، دامت ١٣٦ عاما.
(٢) ١٧) رشيد بوريبة، الجزائر في التاريخ، ج٣، ص٦٣.

(١٤٦/١)

وفي الوقت ذاته يجتهد الاباضية في تبليغ الرسالة، والدعوة الى الاسلام كلما سنحت الظروف لذلك، وأما علاقتهم بأهل الذمة فيجب ان تكون علاقة الضعيف المحمي بالقوي الرحيم.

والضعيف هو غير المسلم الذي يدفع الجزية، وهنا يفصل الوارجلاني الكلام في علاقة الاباضية بأهل الذمة فيقول: "ان عطل أهل الذمة ما عليهم من الخراج ومن الجزية سنين عديدة فإنا نأخذهم بذلك"(١). يعني بالقوة لأن السكوت عن ذلك تعبيرا عن الضعف أما اذا غاب أهل الذمة في بلاد بعيدة غير بلادنا فأتوا علينا فإنا نأخذ منهم شيئا من الجزاء الا إذا مكثوا في بلادنا سنة كاملة سواء تلك البلاد التي جاؤوا منها بلاد شرك أو بلاد إسلام(٢) ولا نعشر أموالهم إلا لعام واحد، فإن هم ادعوا أنهم أعطوا الجزية أو العشر لبعض أهل تلك البلاد التي جاؤوا منها أو لأهل الخلاف ولهم على ذلك(٣). أما اذا كانت إقامتهم دون العام فلا عليهم شيء. وهم على هذا الحال ما داموا في ملتهم إما أن اختاروا الاسلام– وهذا هو المرغوب فيه– أصبحوا في حكم المسلمين فيبطل عنهم الفيء والجزية والخراج "وإن كانت بلادهم بلاد صلح لا بلاد فيء فمن أسلم فله اسلامه وماله وعليه فيه الصلح والعشر"(٤) وبهذا تحفظ الحقوق في إطار شرعي من غير ظلم ولا جور.

ب– الحكم في الأموال والكنائس والبيع

قد يظهر الاباضية في ناحية من البلاد على الملوك أو السلاطين فيقيمون دولة إسلامية فما حكم الأموال ومخلفات الملوك؟

يجيب الوارجلاني على ذلك بالتفصيل لكننا نكتفي بخلاصة ما قرره. أما الغنائم فان أعطى الملوك فيها السهام وردوها الى بيت مال المسلمين "تركناهم وفعلتهم وان كانت قائمة لم يمضوا فيها بأمر

أجريناها على السهام"(٥) ويعطي لكل ذي حق حقه.

---

(١) ١٨) أبو يعقوب الوارجلاني، الدليل والبرهان، ج٣، ص٥٢.
(٢) ١٩) المصدر السابق ص٥٢.
(٣) ٢٠) المصدر السابق ص٥٢.
(٤) ٢١) المصدر السابق ص٥٢.
(٥) ٢٢) المصدر السابق ص٥٣.

(١٤٧/١)

أما الأموال التي جمعت من الضرائب أو بعقاب من عمل المعاصي أو خالف أمر الملك فإن دخلت في بيت مال المسلمين بقيت فيها الا إذا كانت أموالا أخذت عنوة وجورا فإن كانت عقارا قائمة بأعيانها أو أموالا معلومة في يد من أعطوها له وعرف أصحابها أعيدت لهم أما ان جهل أصحابها فإنها للدولة تودع في بيت المال.

وقد يحصل ان ينقض الملوك عهدا أو عذرا أو مظالم كانت قائمة بينهم، بين أهل الذمة والمحاربين، فهناك يجب الصلح "سواء كان النقص أو الغدر من أهل الاسلام أو من أهل الذمة والمحاربين، فمن امتنع أجرينا عليه حكم الاسلام وأهله ومن امتنع قاتلناه وحاربناه"(١)، وإذا أحدث أهل الذمة أيام الملوك دسائس وبيع ينظر في أمرها فإن بنوها بطرق غير شرعية كاستخدامهم للرشوة، والحيلة والقوة والظلم فحكمها الهدم. وإن بنوها على يد السلطان لا الملك فانهم يمنعون منها لأن السلطان يحكم بالجور والظلم فليست أوامره مقبولة ولا أعماله شرعية.

أما اذا بنوا معابدهم بأمر الملك، أو بعد طلب رضاه، وتحت رعايته فالحكم فيها تركها لهم.

ج- علاقة الاباضية بأهل الخلاف في مرحلة الظهور

أول واجب للإمام أن يدعوا أهل الخلاف الى ترك ما به خالفوا "فإن أجابوا للطاعة فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين"(٢) وكان العدل والمساواة في كل شيء لهم حقوقهم من الفيء والغنائم والصدقات "ولهم علينا دفع الظلم عنهم وان غزوا معنا فلهم سهامهم كما لنا(٣) أما اذا امتنع منهم عن أداء الواجبات عوقب بما يرده إلى سواء السبيل.

---

(١) ٢٣) المصدر السابق ص٥٣.
(٢) ٢٤) أبو زكرياء يحيى بن أبي الخير الجناوني، كتاب الوضع، مط الفجالة، القاهرة، د.تا ص١٧.
(٣) ٢٥) الوارجلاني، الدليل والبرهان، ج٣، ص٥٤.

(١٤٨/١)

أما اذا فضل المخالفون بالمكوث في بلادهم واقامة دولة لهم فيها ليجروا أحكامهم وفق مبادئهم فان الاباضية يتركونهم لشأنهم على شرط ان يعترفوا بالدولة الاباضية ويذعنوا لطاعتها ويصبحوا في حكم المحميين، على الدولة الاباضية والدفاع عنهم ،يقول الوارجلاني: "نأخذ منهم كل ما يجب من الحقوق ونردها في فقرائهم وذوي الحاجة منهم، ولا نتركهم يظهرون منكرا بين أيدينا(...) ونمنعهم ان يحدثوا في أيامنا...إلا أن يكون أمرا لا مكروه تحته فلنا الخيار"(١)
وإذا حدث أن وقع صراع مسلح فالاباضية لا يتبعون مدبرا ولا يجهزون على جريح ولا يقتلون النساء والأطفال والشيوخ، فإذا هزم الاباضية فأموال المخالفين مردودة عليهم إلا ما كان لبيت مال المسلمين.
كان ذلك عرضا لأحوال الاباضية في مرحلة الظهور فما حالهم في الدفاع؟
د- حكم الدار ومعسكر السلطان.
حكم الدار
موقف الاباضية من السلطان
حكم العسكر
السلطان
الوطن
إسلام وتوحيد وعدل
طاعة السلطان واجبة
والخروج عليه فسوق
إسلام
وتوحيد
وعدل

شرعي ملتزم
مسلم
غير شرعي ملتزم
مسلم
تحذير السلطان وأمره بالاعتدال
أمره بالمعروف
ونهيه عن المنكر
طاعته فيما يوافق الحق
لا تجب طاعته في
معصية
يجوز الخروج عليه وتغيير حكمه
بغي وظلم
شرعي غير ملتزم
مسلم
غير شرعي مشرك
مسلم
طاعة السلطان غير واجبة
الخروج عليه وتغييره واجب
كفر
ثانيا: الدفاع

---

(١) ٢٦) المصدر السابق ص٥٤.

مرحلة الدفاع بعد الظهور أقل مرتبة ودرجة وفضلا سميت بالدفاع لأن المسلمين يشغلهم الدفاع عن أنفسهم ودينهم ومكتسباتهم عن إقامة الدولة والظهور على الأعداء، ويكون المسلمون حينئذ قد ضعفوا وتخلفو عن شرف الظهور، لنقص إمكانياتهم وقلة عددهم وع ذلك "يجب الا يهادنوا

الظلم وان لا يستكينوا للطغيان وان لا يسمحوا للأيدي العابثة ان تهتك حرماتهم وتحول دون أمور دينهم وتتحكم في أعمالهم وعبادتهم"(١) بل ويصبح أمر الدفاع واجبا فيلجأ الاباضية الى اختيار امام يقود الجماعة لاسترجاع حقوقهم وتدعى إمامته بإمامة الدفاع.

يرى أ.مهدي طالب هاشم (معاصر) ان إمامة الدفاع تعقد بعد موت الامام الشاري(٢) وقد اعتمد حسب قوله على رواية الدرجيني في طبقاته التي تشير الى تعيين عبدالله بن سعيد الحضرمي إماما للدفاع بعد موت الامام الشاري عبدالله بن يحيى الكندي (طالب الحق)(٣). لكن يبدوا ان إمامة الدفاع لا تعقب الامام الشاري بالضرورة أما رواية الدرجيني فلم تثبت تعيين الحضرمي بعد طالب الحق، وان الذي ذكره كان في سياق الخروج على الظلمة، ومبايعة رجل "يقال له حسن بعدما وقع في أمر عبدالله بن سعيد الذي أنكروا عليه أشياء..."(٤) ولعله من الأرجح ان تعقد إمامة الدفاع بعد زوال الظهور وضعف الدولة الاباضية.

أ–موجبات الدفاع

من موجبات الدفاع ورفع رايته ما يلي:

---

(١) ٢٧) علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، الحلقة١ ص٩٣.

(٢) ٢٨) مهدي طالب هاشم، نشأة الحركة الاباضية في المشرق العربي، ص٢٩٥.

(٣) ٢٩) إمام من اليمن استولى على صنعاء، ومكة، بعث له الخليفة عبد الملك بن محمد وقتله سنة ١٣٠هـ

(٤) ٣٠) طبقات الدرجيني، جـ٢، ص٢٥١.

أ– مداهمة العدو للأمة، وسيطرته على الوضع، وقد يكون هذا العدو من خارج الدولة، استهدف الأرض والشعب وأطاح بالإمامة القائمة وقد يكون العدو من الداخل كظهور حزب منشق يقوم بثورة ضد الحكم القائم. أو من الخارج بتدخل أجنبي في شؤون الدولة وهذا هو الغالب.

ب– تفشي الفساد وإشاعة الفاحشة، وكثرة الظلم بسبب انحراف الامام عن الجادة وتخليه عن الأمانة وخيانته لله ورسوله والمؤمنين(١).

حينئذ يجتمع المسلمون على امام ينصبونه "وتجري عليه الأحكام التي تقع في حالة إماما للظهور– وتجب عليهم طاعته"(٢) فيعلنون الدفاع عن الدين والامة مبتدئين أولا بتحذير الظالم وارشاده

ونصحه واقناعه بالرجوع الى سواء السبيل فإذا امتنع وتعنت استكبارا عن الخضوع لأمر الله حينئذ تشمر الجماعة الثورة على الظلم والبغي والجور والكفر والاستعمار....

يسمى قائد الثورة امام الدفاع له على الامة الثائرة حق الطاعة والامتثال ما دامت الثورة قائمة، فإذا هدأت واستقرت الأوضاع أصبح واحدا من أفراد الامة "تزول إمامته بزوال الثورة، فتجدد له أو لغيره لحادث، وقيل يجوز نصبه على استمرار وإبقاءه اذا نصب بلا قيد استمرار ولا نفي استمرار فلا يزول بزوال الحرب"(٣) فالعبرة بشروط التنصيب.

ب- نتائج الدفاع

والثورة لا تهدأ الا بأحد أمرين: الانتصار أو الفشل.

أولا: تنتصر الامة الثائرة وترجع الأمور الى نصابها وتستقيم الأوضاع وفي هذه الحالة تحتمل نتيجتين:

١- تستجيب الدولة الباغية الى الرشد الى أهل الحق وفي كلا الحالتين لا يكون لزعيم الثورة حق في الامامة كما رأينا.

---

(١) (٣١) علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، الحلقة١ ص٩٣.

(٢) (٣٢) حاشية الوضع لأبي ستة، باب مسالك الدين، انظر أيضا: محمد بن يوسف اطفيش، شرح النيل جـ١٤، ص٢٧٦.

(٣) (٣٣) اطفيش شرح عقيدة التوحيد، ص١١٤، أنظر أيضا: مهدي طالب هاشم، نشأة الحركة الاباضية في المشرق العربي، ص٢٩٦.

ثانيا:تفشل الثورة ولا تحقق أهدافها وتحتمل نتيجتين كذلك.

١- يستشهد الثوار عن بكرة أبيهم، بعد أن أدوا واجبهم وهذا مطلب عظيم أجره ونتيجة مرغوب فيها.

٢- تبقى أقلية من الثوار لا حول لهم ولا قوة، فيختارون بين أمرين: أما الاستراحة وطريق السلم فيدخلون في مرحلة الكتمان، واما تجديد العزم والدخول في مرحلة الشراء.

وللدفاع أمثلة في التاريخ كأيام عبدالله بن وهب الراسبي (بايعوه إذ غشيهم العدو فاستشهد بالنهروان ومن معه من المسلمين إلا يسيرا)(١). وأبو حاتم ابن حبيب يعقوب الملزوزي (منذ بويع

ما استكان للشيطان ولا طلب الراحة للبقاء بل جرد سيفه وأقام دين الله طاعة فقاتل جنود الظلم)(٢).

مرحلة الدفاع

ثالثا: الشراء

يأتي الشراء كمرحلة ثالثة من مسالك الدين تتفق هذه المرحلة مع الدفاع من حيث الأهداف المتعلقة بالإطاحة بالسلطان الجائر وتصحيح الأوضاع السياسية والاجتماعية وكذا المطالبة بتنفيذ أحكام الشريعة لكن تختلف وإياها في أسلوب التغيير وطريقة تنفيذ العمليات، حيث يعتمد الشراة في تحركاتهم على الحيلة والمباغتة والعنف من أجل تغيير المنكر وتصحيح الأوضاع في أوساط الدولة الفاسدة.

---

(١) ٣٤) حاشية الوضع لأبي ستة، باب مسالك الدين مخطوط.

(٢) ٣٥) أحمد بن سعيد الشماخي، مقدمة التوحيد وشروحها ص٥٣، وأنظر أيضا الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، جـ١، ص٣٦، وأنظر أيضا عبد العزيز الثميني، معالم الدين (مخطوط) ص٢٦٩.

(١٥٢/١)

يقول الشيخ علي يحيى معمر(١٩١٥-١٩٧٩م): (ان هذا التنظيم يشبه ان يكون شعبا على دولة ظالمة، مسلمة أو مسألة راضية بالذل حتى لا تطمئن الى تنفيذ خططها الجائرة وقد لا تكون لها نتائج غير هذا القلق يخيم على الظالمين)(١) والذين يتولون هذه المهمة يسمون "الشراة" لأنهم باعوا أنفسهم بالجنة "أو لشراء أنفسهم من النار، أو لشراء الجنة بأنفسهم، فإن الشراء يطلق أيضا للبيع(٢).

قال تعالى:

{ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله } (٣)

وقال في آية أخرى:

{ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة } (٤)

أ-ما هي شروط مرحلة الشراء؟

يشترط الاباضية عند خروج الشراة معلنين الثورة ضد الحكم أن يكون عددهم من أربعين فما فوق

"تأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم أول أمره(...) فلما اكتمل عدد من آمن به أربعون نزل عليه قوله تعالى:

{ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين } (٥)

فأمر بإظهار دعوته والجهر بها"(٦) وان لا يعودوا الى أهلهم الا ان يموتوا أو يصبح عددهم ثلاثة أو اقل. يقول القطب (اطفيش محمد): "وإمام الشراء اذا نزل عن ثلاثة فليس عليه وقيل عليه شيء وقيل يجاهد حتى يظهر أمر الله أو يموت"(٧).

---

(١) ٣٦) علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، الحلقة ١، ص,٩٤

(٢) ٣٧) أطفيش شرح عقيدة التوحيد، ص,١١٤

(٣) ٣٨) البقرة، الآية ,٢٠٧

(٤) ٣٩) التوبة الآية ,١١١

(٥) ٤٠) الحجر الآية ٩٤.

(٦) ٤١) بكلي عبد الرحمن، فتاوي البكري، جـ٢، ص٣٣٩.

(٧) ٤٢) أطفيش ترتيب لقط الشيخ موسى بن عامر، ص١٦

هذا بعض ما يشترطه الاباضية فيمن يهب نفسه عن طواعية للجهاد ابتغاء مرضاة الله. لكن هناك تساؤل يفرض نفسه في الموضوع، كيف يعود الثلاثة الى أهلهم وقد عاهدوا الله بالخروج للموت؟ يقول الشيخ عبد الرحمن بكلي(معاصر) ذلك عندي اجتهادا منهم– رحمهم الله– ولولا ان أكون قد تجرأت على مقام أئمتنا(...) لقلت: لا يسوغ لمن بلع نفسه لله أن يعود الى أهله ولو بقي وحيدا بل يظل موفيا لصفقته أو يستشهد(١). ولعل في الأمر مقصدا آخر مفاده ان البقية الباقية يؤثرون على أنفسهم ليحرموا من الشهادة في سبيل إعادة الكرة من جديد ويشكلوا نواة لجماعة أخرى تعلن الثورة على الفساد وبهذا يستمر البقاء الاباضي...

أما الشروط أثناء الخروج فقاسية تأخذ طابعا عقائديا(٢) "لا يقبلها الا الفدائيون الذين وهبوا حياتهم لحياة الامة الاسلامية"(٣) ويمكن حصر هذه الشروط والتعاليم فيما يلي:

١– لا يعود الشراة الى ديارهم بعد الخروج الا في حالات استثنائية يمكن للواحد ان يدخل منزله اضطرارا من اجل استمرارية الثورة للتزود أو لجمع الذخيرة والاستخبار.

٢– يعتبر العائد الى منزله– لمهمة– غريبا عنه وفي حكم المسافر فيقصر في صلاته وعندما يكون في سعف الجبال وفي بطون الأودية(...) يعتبر في منزله وبين أهله...)(٤)

٣– أن لا يستقروا في مكان واحد ولا يركنوا الى الراحة لن مهمتهم تقتضي التنقل الدائم واليقظة المستمرة استعدادا لمباغتة العدو في كل لحظة.

٤– ان لا يعترضوا سبيل المسالمين ولا يروعوا الآمنين وان لا يمسوا الشيوخ والنساء والأطفال بسوء وكل ضعيف.

٥– ان لا يهلكوا الحرث والزرع والغلال وان لا يهدموا الأسوار والمباني...الا لضرورة تقتضيها المصلحة.

---

(١) ٤٣) بكلي عبد الرحمن، فتاوي البكري، ج٢، ص٣٤٠.

(٢) ٤٤) مهدي طال هاشم، الحركة الاباضية في المشرق، ص٢٩٧.

(٣) ٤٥) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤) ٤٦) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(١/١٥٤)

٦– ان لا يتخلوا عن رسائلهم حتى ينتهي بهم الأمر الى النجاح أو القتل والقتل أقرب الأمرين لهم(١)

ب– أهداف الشراة

الغاية القصوى التي خرج من أجلها الشراة تتمثل في إعلان الثورة ضد الظلم والفساد، وتغيير نظام الحكم ان لم يحكم الرعية بمقتضى الشرع، أو كان الحاكم من غير الملة أصلا دخل البلاد مستعمرا. حينئذ ينشد الشراة أهدافا مرحلية تكون مطية لبلوغ الهدف الأسمى، وتتلخص الأهداف فيما يلي:

قطع المواصلات على السلطة الظالمة.

هدم قلاع الطغاة وحصونهم...

الاستيلاء على مخازن الذخيرة والعتاد.

إثارة الشغب في أوساط أجهزة الدولة المستعمرة.

"ضرب مضاجع ومعاقل السلطة الجائز وزعزعة هيبتها حتى تشعر الامة الاسلامية ان هناك قوة

روحية...إلهية أقوى واشد من القوة المادية الحاكمة التي وصلت الى الحكم عن طريق الوسائل اللاأخلاقية لأجل حب الرئاسة ومفاتنها"(٢).

يقيم الشيخ علي يحيى معمر مرحلة الشراء بقوله: "انه تنظيم رائد للفدائية في الاسلام عندما يتحكم الظلم وتعطل أحكام الله بأحكام السلطان"(٣) وقد سجل التاريخ صفحات خالدة لثورات رائعة في مرحلة الشراء نذكر منها :" ثورة أبو بلال مرداس الثميني، وأخيه عروة– أول من قال لا حكم الا الله– وقريب بن مرة الأودي وزحاف الطائي..."(٤) قال أبو القاسم سعيد العماني :"بلغنا ان هؤلاء كانوا يخرجون بأمر أمامهم جابر بن زيد العماني ويحبون سيرة الحرب لئلا تموت دعوتهم"(٥).

هذه سيرة الشراة وبعض أعمالهم في حالة الحرب وطغيان الجور، وفيما يلي مهام الشراة في حالة السلم وتحت الدولة العادلة.

---

(١) ٤٧) علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ الحلقة١، ص٩٥.

(٢) ٤٨) بكير أعوشت، دراسات إسلامية في الأصول الاباضية، ص١١٢.

(٣) ٤٩) علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ الحلقة١، ص٩٥.

(٤) ٥٠) الشماخي مقدمة التوحيد، ص٥٤.

(٥) ٥١) محمد أبو ستة، حاشية الوضع، باب مسالك الدين مخطوط.

حيث يقوم نظام الحكم على أصوله ويجتهد الامام في تطبيق الأحكام الشرعية، فإن الشراة الذين عاهدوا الله على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تأخذهم في ذلك لومة لائم ولا خوف من الموت، فأنهم لا يجنحون الى الراحة والقعود عن أداء واجبهم حتى في حالة السلم والرخاء حيث تشغلهم عناية الدولة ومراقبة السلطة في تسيير شؤونها، ومتابعة الأئمة وأعوانهم في تنفيذهم لأوامر الله واقامة حدوده...ولا يخفى ما لهذه المهمة من آثار إيجابية في سياسة الامة كما يسمح مركزهم هذا بالتوسط بين الرعية وساستها وحل الكثير من المعضلات بفضل إخلاصهم يقول الشيخ سليمان الباروني(١) في شأن الشراة: "انهم يمتحنون دائما الأئمة والعمال"(٢) فيراقبونهم في أعمالهم واخلاقهم ومعاملاتهم ولا يخفى الشراة نتائج تحرياتهم بل يعلنون عن كل شيء وجدوه فيطلعون الرعية بذلك ان كان خيرا يحمدون ويثنون وان كان غير ذلك يذمون وينتقدون ويطالبون

بالإصلاح "وعلى ذلك يكون مدار أقوال الناس فيهم"(٣) وبفضل هذا النظام الرقابي ينضبط الأئمة ويحرص الحكام على السير السوي ويجعلون نصب أعينهم "علم الجميع بإخلاصهم العمل لله في إصلاح الامة وإقامة الدين"(٤).

---

(١) ٥٢) توفي يوم ١ ماي ١٩٤٠م، راجع تاريخ حياته في كتاب: سليمان الباروني باشا، تأليف إبراهيم أبو اليقظان ، مط العربية الجزائر ١٩٥٦م.

(٢) ٥٣) سليمان الباروني، الأزهار الرياضية، ص٢١٠.

(٣) ٥٤) المصدر السابق، ص٢١٠

(٤) ٥٥) المصدر السابق.

(١٥٦/١)

والواقع ان نظام الشراء عند الاباضية، يشبه الى حد كبير حركة ثورية مبدؤها مقاومة الظلم أما بالدعوة السلمية أو بالقوة ان اقتضى الأمر ذلك(١)، وتتميز هذه الحركة بالتخطيط المسبق لها وتنظيماتها الدقيقة التي تشبه تنظيمات الأحزاب السرية المعاصرة(٢) من ثم كانت حركة الدعوة الاباضية تحاول دائما "التغيير والتبديل نحو الأفضل (...) ضمن مفاهيم ومبادئ وأهداف داخل إطار الاسلام وقيم العروبة(٣)

رابعا: الكتمان

المرحلة الرابعة من مسالك الدين هي الكتمان، وهي أدنى درجات الجهاد في سبيل الله، وفيها تفتر القوة، وتضعف النفوس، فيعجز المسلمون عن رد المظالم وإنكار المنكر –الا بالقلب– فترضى الامة بالواقع وتستسلم الحكم الجبابرة ولا تجد سبيلا للثورة ضد الحكم، فيضطر ذوو الغيرة على الدين حينئذ لكتمان أمرهم وانعزالهم بعيدا عن المجتمع الفاسد ويوجهون نشاطهم لأمورهم الداخلية ويكونون بذلك قد دخلوا مرحلة الكتمان وهو تنظيم خاص للمجتمع الاباضي الذي عجز عن إقامة الدولة لعدم توفر الشروط الكافية للظهور(٤).

وتمتاز مرحلة الكتمان بتنظيم جيد يقوم على مبادئ وتعاليم دقيقة تدل على قدرة الاباضية على التنظيم المتسم بالعقلانية والواقعية والاعتدال في التفكير وإصدار الأحكام ووضع المبادئ كما تدل مرحلة الكتمان على "النضج السياسي لدى الاباضية فالكتمان لا يعني السكوت وعدم الحركة وانما هو مرحلة أعداد لاستلام السلطة"(٥).

(١) ٥٦) علي يحيى معمر، الاباضية بين الفرق الاسلامية، ص٢٩٨.
(٢) ٥٧) فاروق عمر، التاريخ الاسلامي وقمر القرن العشرين، دراسات نقدية في تفسير التاريخ، ط٢، دار اقرأ، بيروت ١٩٨٥م، ص٤٠.
(٣) ٥٨) المصدر السابق ص٤٠.
(٤) ٥٩) راجع شروط إقامة الدولة، الفصل الأول من الباب الثالث.
(٥) ٦٠) مهدي طالب هاشم، نشأة الحركة الاباضية في المشرق العربي، ص٢٩٢.

(١٥٧/١)

الا ان الواقع يشير الى ان الاباضية في الكتمان المعاصر لا يفكرون في العودة الى الظهور لأن الظروف الحالية مختلفة عما كانت عليه في القرون الأولى للهجرة لأن وجود سلطة إسلامية قائمة بشؤون الدولة تغني الاباضية عن الخوض في المجال السياسي، ولذلك "لم يقم من الاباضية قائم يدعو لنفسه أو يعمل لغيره أو يساعد أحدا للوصول الى الحكم منذ أواخر القرن الثالث للهجرة الى اليوم"(١).

وفي مرحلة الكتمان يركز الاباضية نشاطهم على جانبين، الأول: التنظيم الداخلي للمجتمع في المجال الديني والاجتماعي والتربوي والاقتصادي والثاني: العلاقات الخارجية للمجتمع الاباضي بغيره من الطواف والمذاهب.

أ-التنظيم الاجتماعي في مرحلة الكتمان:

(١) ٦١) علي يحيى معمر، الاباضية بين الفرق الاسلامية

(١٥٨/١)

ما من نشاط داخلي للمجتمع الاباضي في مرحلة الكتمان الا يقوم أساسا على مبدأ (المحافظة على الدين) حتى اصبح هذا المبدأ عنوان المرحلة وهدفها فقالوا "من ضيع دينه فليس جاريا على حكم الكتمان(١). ومع المحافظة على الدين يجب المحافظة على المجتمع شكلا ومضمونا شكلا من حيث المؤسسات من الأسرة ومجلس العائلة والعشيرة الى المسجد والبلدة ومجلس أعيان المساجد... ومضمونا من حيث القيم والعادات والتقاليد والتراث الأصيل بمختلف أنواعه

وفنونه، مع الاهتمام بالجانب الثقافي لما له من فعالية في استنهاض الهمم وشحذ العزائم وذلك يحسن تربية النشء والعناية بتعليمه وتلقينه أصول دينه ومن ناحية أخرى اهتمام المثقفين بدراسة أصول المذهب ونشرها لضمان استمرار البقاء الفكري. وهو ما دأب عليه الاباضية "فقد حاولوا في السنين الأخيرة ان يستنهضوا همتهم ونشاطهم وان يستعيدوا الشعور بكيانهم فغمدوا الى طبع عدد من كتبهم الرئيسية في علم الكلام"(٢) والفقه والتاريخ وكل ذلك لا يتحقق الا بإنشاء جمعيات ومؤسسات خيرية تتكفل "بإرشاد الناس الى الخير العام وتهذيب نفوسهم وتسعى الى غرس فضائل الاسلام وقيمه الخلقية وتربية النشء تربية دينية إسلامية سليمة ونشر الوعي الديني بين طبقات الشعب"(٣).

---

(١) ٦٢) محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص١١٤.

(٢) ٦٣) أجناس جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الاسلام، ترجمة محمد يوسف مرسي عبد العزيز عبد الحق، علي عبد القادر، ص١٧٤.

(٣) ٦٤) بكير أعوشت، دراسات إسلامية في الأصول الاباضية، ص١١٣.

(١٥٩/١)

والمؤسسات الدينية عديدة تختلف باختلاف المهام المنوطة بها كالمسجد والعشيرة والمدارس والمعاهد والنوادي ودور اليتامى يقوم برعاية هذه المؤسسات وتوجيهها هيئة عامة متمثلة في حلقة العزاب وهو نظام محكم يقوم مقام السلطة في مرحلة الكتمان يقول ابو عمار عبد الكافي(ق ٦ه/١٢م): "ومنزلة الحلقة أي نظام العزابة التي أثبتها المشائخ حين عدم أهل المذهب السلطان العادل وتبوؤها ونزولها منزلة السلطان العادل في العدل سواء"(١)

وتشير المصادر الاباضية إلى انه كان للعزابة في دور الكتمان مهام سياسية فضلا عن المهام الدينية والاجتماعية فكان على المجلس توليه الأمراء وعزلهم يقول الشيخ أبو سليمان التلاتي(توفي ٤٦٢ه) "نحن جماعة العزابة ليس بأيدينا ولا إلينا تولية الأمراء ولا عزلهم في هذا الزمان"(٢) ويعلق الشيخ على يحيى معمر على هذا بقوله: "يدل هذا على ان تولية الأمراء وعزلهم كان من عمل العزابة لكنه نزع من أيديهم في هذا العصر"(٣) غير أني استبعد ان يكون لهيئة العزابة دور في المجال السياسي علما ان العزابة كنظام ديني واجتماعي لا يظهر الا في مرحلة الكتمان حيث لا تكون السلطة السياسية في يد الاباضية والواقع يفرض عليهم ذلك ومن ثم يتعذر عليهم التدخل

في شؤون السياسة فضلا عن تولية أو عزل الأمير يومي أبو عمار عبد الكافي الى ذلك حين يعتبر الحلقة في منزلة السلطان وليست هي السلطة(٤).

ب- علاقة الاباضية بمخالفيهم في مرحلة الكتمان:

---

(١) ٦٥) أبو عمار الكافي، نظام العزابة، رسالة مخطوطة، ص٥ أنظر أيضا فرحات الجعبيري، نظام العزابة....ص٢٥.

(٢) ٦٦) أورد الشماهي هذا الخبر في السير، ص٥٨٣.

(٣) ٦٧) في رسالة بعثها

(٤) ٦٨) أبو عمار عبد الكافي، رسالته في نظم العزابة مخطوطة، ص٥.

أما هذه العلاقة فإنها غير ثابتة- في الواقع- حيث نجدها تتسم بالتقارب والتآزر حينا وبالتباعد والتنافر حينا آخر وفي الحالة الثانية تركن الجماعة الاباضية الانزواء حول نفسها رافضة كل ما يأتي من الخارج.

ويبدو ان هذا التارجح بين الحالتين ناتج أساسا عن التغيير الحاصل في الظروف الزمانية والمكانية وبما ان الاباضية يضطرون للدخول في مرحلة الكتمان هروبا بدينهم بسبب الفساد وتسلط الحكم الجائر فهذا مما يدعو بالضرورة الى الانعزال مع إبقاء العلاقات الأخوية بالمخالفين على الدوام دون إثارة الفتنة ما لم تمس الجماعة في سياسة الحياد الإيجابي وأول ما ينبغي في ذلك الالتجاء الى مواقع منعزلة "بعيدة عن مواطن الاتصال بين الأمم فيقطنون بقعا تكاد نسيل منسيا"(١).

ومن مظاهر الانغلاق في مرحلة الكتمان الابتعاد عن مجالس المخالفين وعدم دراسة مؤلفاتهم مخافة التأثر بهم والذوبان في مجتمعهم يقول الشيخ أبو الربيع سليمان بن يخلف النفطي(أواخر ق ٥هـ) يوصي اتباع الاباضية :"احذروا من ذلك سواكم...."(٢) ويؤكد هذا نقمة المشائخ على أبي يعقوب يوسف ابن خلفون (أواخر ق ٦هـ) شغفه بمطالعة كتب الأشراف(٣) وغيره من تصانيف المخالفين(٤).

---

(١) ٦٩) أجناس جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الاسلام، ص١٤٧.

(٢) ٧٠) صالح باجية، الاباضية بالجريد، ص٤٨ نقلا عن الدرجيني الطبقات جـ٢.

(٣) ٧١) أنظر: الفقه على المذاهب الأربعة، لأبي بكر النيسابوري الشافعي، المتوفى سنة ٣١٨هـ.

(٤) ٧٢) الدرجيني طبقات المشائخ بالمغرب، ج٢، ص٤٩٦.

ربما كان الاباضية مبالغين في موقفهم عند الكتمان خوفا من الوقوع في مزالق الإثم الا أنه حدث مثل هذا في فترة من التاريخ فأنه– لا محالة– وقع تحت تأثير قوي من العصبية والطائفية، في عصر بلغ فيه الصراع المذهبي أوجه على ان هذا الانعزال لا يخلو من محاسن، أهمها تفرغ العلماء للدراسة والتأليف والتدوين وكان يتم ذلك في المغاور وبطون الأودية طلبا للعلم سرا، وبذلك لم تنقطع الحركة العلمية في مرحلة الكتمان.

يقول أ.محمد الشيخ بالحاج "انه رغم تلك الوضعية القاسية المؤلمة فان الحركة العلمية أو الفقهية لم ينلها من ذلك الا التستر والاختفاء مع العمل الدؤوب دون انقطاع أو جمود أو إغلاق لباب الاجتهاد عند الاباضية (١) علما "ان هذا التستر والاختفاء فرض عليهم بالظلم والبطش ولم يرضوه لانفسهم اختيارا"(٢)

وحيث ان موقف الاباضية من المخالفين يتغير بتغير الظروف في مرحلة الكتمان، فان العلاقة بين الاباضية وغيرهم قد تطورت نحو الأحسن، بعد صفاء الجو من غيوم التطاحن والصراع، فحل الوفاق محل الخلاف مع الاحترام المتبادل للآراء والأفكار. يقول الشيخ علي يحيى معمر يدعو الى مزيد من التقارب والتفاهم والاتحاد ضد أعداء الاسلام: "عندما تكون الدولة القائمة جائرة يجب على المسلمين ان يستمعوا لها ويطيعوا في غير معصية الله وعليهم ان يحاربوا معا أعداء الاسلام وان يدفعوا لها ما تطلبه ظروف الحرب من أموال ودماء وان يساعدوها في حفظ الأمن والقيام بالمشاريع العامة"(٣).

جـ– نظام العزابة:

---

(١) ٧٣) محمد الشيخ بالحاج، الاجتهاد عند الاباضية، ص٢٧.

(٢) ٧٤) محمد الشيخ بالحاج، في مقابلة معه في القرارة.

(٣) ٧٥) علي يحيى معمر، الاباضية بين الفرق الاسلامية، ص٢٩.

العزابة جمع لكلمة عزاب وهو الاسم الذي يحمله العضو في حلقة العزابة والحلقة(١) نظام ديني اجتماعي تربوي تطور عبر مراحل التواجد الاباضي بين وادي أريغ ووادي مزاب ليصبح مجلسا للعزابة "وهو أعلى سلطة في المكان الذي يوجد فيه، ويمثل سلطة الامام(...) ويقوم مقامه في جميع مهامه باستثناء إقامة الحدود التي يعطلها الاباضية في طور الكتمان..."(٢) ويرجع تاريخ تأسيس نظام العزابة الى أوائل القرن الخامس الهجري على يد الشيخ أبي عبدالله محمد بن بكر(٣) حين استقر مع تلاميذه في مدينة " تينسلي"(٤) وفي غار "التسعي"(٥) شرع الشيخ أبي عبدالله في وضع نظام الحلقة سنة ٤٠٩هـ(٦) ولما استكمل التنظيم وأرسى قواعده وآدابه وشروطه انتقل الشيخ بتلاميذه الى منطقة "وادي ميزاب" وبذلك دخل نظام العزابة الى المنطقة وهو لا يزال بها ساريا مفعوله الى اليوم والعزاب رجل اعتزل العوائق الدنيوية وعزب عن الملذات (ولازم الطريق وطلب العلم، وسير أهل الخير وحافظ عليها، وعمل بها فإن حمل جميع هذه الصفات سمي عزابيا...)(٧).

تشكيل حلقة العزابة وصلاحيتها:

---

(١) ٧٦) كانت الحلقة تشتمل على الشيخ وجماعة التلاميذ يعلمهم العلم ويلقنهم السير فكأنهم ملحقون ولو أنهم مفترقون الدرجيني، الطبقات، جـ١، ص٤.

(٢) ٧٧) عوض محمد خليفات، التنظيمات السياسية والإدارية...ص١٣.

(٣) ٧٨) راجع ترجمته في طبقات الدرجيني، جـ ء، ص٣٧٧، وفي سير الشامخي ص٣٨٤.

(٤) ٧٩) أوتنسلي بالقرب من توقرت(وادي أريغ) تعرف الآن باسم بلدة أعمر.

(٥) ٨٠) أو تسعماي نسبة الى سنة ٤٠٩، أنظر طبقات الدرجيني، جـ١، ص١٧٠.

(٦) ٨١) الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، جـ١، ص١٧٠.

(٧) ٨٢) المصدر السابق، ص٤.

تتألف الحلقة غالبا من أثنى عشر عضوا لكل مهامه الخاصة، وقد يرتفع عدد الأعضاء الى اكثر من ذلك حسبما تتطلبه الحاجة الدينية والاجتماعية، أما شروط العضوية فكثيرة أهمها ان يكون المرشح اباضيا متفانيا في خدمة مذهبه واتباعه وان يكون حافظا للقرآن الكريم، زاهدا في الدنيا وملذاتها "وإذا تحدد الشخص جعل له رقيب ليراقب سلوكه وتصرفاته"(١). أما شيخ العزابة

فيشترط فيه ان يكون ذكيا لبقا ورعا لطيفا مع أصحابه يبقى في منصبه مدى الحياة(٢) وهو الموجه الأول لاباضية بلدته.

مهام الأعضاء(٣):

١- شيخ العزابة: يتولى الوعظ والإرشاد وتبليغ إعلانات العزابة الى العامة، وإليه يرجع الأمر في الحل والعقد وسير شؤون الحلقة وقد ينوبه نائب له.

٢- المؤذن: يتولى أمر الآذان وضبط وقت الصلاة.

٣- الإمام: يتولى إمامة الناس في الصلاة، وهو الذي يعلن حكم البراءة على المحكوم عليه بذلك من طرف مجلس العزابة، وقد يقوم الامام بإعلان العفو باسم أعضاء الحلقة ان لم يكن الشيخ حاضرا.

٤- وكيلان لأوقات المسجد: لهما مسؤولية السهر على أموال المسجد.

٥- ثلاثة معلمين للصبيان: يتولون مهمة تعليمهم القراءة والكتابة والإشراف على سير محاصرهم والمحافظة على نظام المسجد.

٦- خمسة أعضاء مساعدون: تسند إليهم مهمات اجتماعية مختلفة.

---

(١) ٨٣) عوض محمد خليفات، التنظيمات السياسية والإدارية...ص١٥.

(٢) ٨٤) المصدر السابق، ص١٤.

(٣) ٨٥) عمر سليمان بوعصبانة وعبدالله خرفي، نشأة وعمران ميزاب ومؤسساته الدينية والاجتماعية، جناح التاريخ بالأسبوع الثقافي الثالث لجمعية قدماء التلاميذ، القرارة ١٩٧٩م، (مطبوعة بخط اليد على الستناسيل) ص: ٦- ٧.

والى جانب المهام المذكورة يتولى مجلس العزابة رعاية المصالح الاجتماعية للمجتمع(١) فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. ويسهر على حل المشاكل والخصومات بين الناس ويحارب الآفات الاجتماعية كما يقوم بالإشراف على الكثير من المسائل التي تمس حياة المواطنين الدينية والاجتماعية والثقافية.

د- نظام العشيرة

العشيرة مجموعة أسرة بينها قرابة الرحم ويلتقي نسبها في جد واحد، إلا أن رباط الأخوة الإسلامية

وروح التعاون والتآزر والحب في الله يجعل من هذه العائلات أسرة واحدة متحدة تربطها بغيرها من العشائر روابط التعارف والتكامل الاجتماعي والتعاون لما فيه الصالح العام والتنا صح في الله بحيث تذوب في هذه القيم الراسخة علاقة الدم والعصبية القبلية الجاهلية، وللعشيرة في وادي مزاب نظام محكم يقوم أصلا على مبادئ الشريعة والتعاليم الإسلامية السامية، يكفل للمجتمع الاباضي العيش في أمن وسلام ورخاء. وبفضل التكافل الاجتماعي الذي يفرضه نظام العشيرة تغيب في الاباضية مظاهر الفقر والتسول والتشرد، وتخف حدة الطبقية، وتتساوى الفئات الاجتماعية من حيث المظهر، كما يفرض العرف العام تحديد وتوحيد أنماط السلوك الاجتماعي في الحياة اليومية والمناسبات في التقاليد والعادات، فتختفي بسبب ذلك . مثلا . ظاهرة المغالاة في مقدار ونوعية الصداق، وبذلك يتيسر لأبسط الناس بناء أسرة إسلامية بأقل التكاليف ويعود الفضل في كل ذلك إلى دور الساجد بالدرجة الأولى ثم العشيرة التي تتمتع بصلاحيات واسعة تخولها الاشراف عن كثب على الحياة الدينية والاجتماعية والتربوية لأبنائها.

يشرف على نشاط العشيرة مجلس أدارى ينتخب من مجموع أبناء العشيرة، وهذا المجلس يختار من بين أعضائه رئيساً للعشيرة ويكون أفضلهم علماً وورعاً وصلاحاً وهو ممثل العشيرة في حلقة العزابة.

---

(١) ٨٦) أنظر محمد بلغراد عن الوركي في الإعلام حول دور العزابة، الأصالة عدد٤١ ، صفحة٤٤ .

(١٦٥/١)

أما صلاحيات العشيرة فمتعددة الاتساع ومجالات اشرافها، حتى انه يتعذر حصرها، لكن يمكن تقسيمها إلى قسمين هما :

أولا : التكافل الإلزامي ويتناول الأصناف التالية (١) :

– تحمل دية قتل الخطأ فيما فوق الثلث.

– تقدير النفقة للفقير المحتاج، أما لمرض أو عجز أو نزول مصيبة عليه أو إتلاف ماله، أو الشيخوخة والكبر وغير ذلك.

– تعين وكيل اليتيم، وتصفية تركة المتوفى.

– تقدر للمتزوجة من العشيرة نفقة لها ولأولادها بالعدل والمعروف في حالة تهاون الزوج عن ذلك،

وكذا في حالة الطلاق.

– تعين وكيلاً للمبذر لماله والمسيء التصرف فيه سفها حتى لا يضيع مستقبل أولاده، وكذا بالنسبة للمجنون.

– تعيين وكيلاً للأسرة التي غاب عنها وليها ولم يترك نفقة. وتقدر لها نفقة حتى لا تضيع الأسرة، وتتعرض للفقر.

ثانيا : التكافل الاجتماعي :

وهو إن لم يكن لازماً فهو ضروري لتتكامل حياة المجتمع، ومن أهم مجالاته ما يلي (٢)

– تعاون العشائر بالمساعدات المادية والمعنوية وعن طريق الحملات التطوعية لصالح البلدة والمجتمع منها على سبيل المثال :

– التعاون على بناء المشاريع الخيرية العامة مثل المدارس والمساجد ودور العشائر والنوادي، والسدود .

– التعاون على حفظ الأمن في البلد وذلك ببناء الأسوار حول المدينة، وتنظيم الحراسة العامة ليلاً ونهاراً.

– التعاون على إقامة الأعراس لأبناء العشيرة والاحتفال بهم .

– التعاون على تربية النشء وتربيتهم وتوجيههم.

---

(١) ٨٧) أبو اليقظان إبراهيم، نظام العشيرة في وادي ميزاب، (مخ) ص١٣.

(٢) ٨٨) المصدر السابق، ص١٤.

هذا هي العشيرة التي تقوم على مبادئ إسلامية يعتمد عليها اباضية الجزائر لتنظيم شؤونهم الاجتماعية والتربوية وهي تقوم مقام الدولة في أداء الخدمات الاجتماعية في حالة الظهور، يقول الشيخ أبو اليقظان : " لو أن بلاد الإسلام حافظت على نظام العشيرة فيها كما حافظت عليه بلاد مزاب لكان أولئك السواد الأعظم من الفقراء واليتامى والمساكين والأرامل (...) والسفهاء والمجانين وأمثالهم مكفولين غير مضطرين إلى ملاجئ تأويهم أو إلى الطرق للتسول ...." (١) والواقع أنه مهما سعت الحكومة في القيام بشؤون المواطنين الداخلية – وما أكثرها وأعقدها – فأنها لا تستطيع تحقيق مساعيها في غياب هذه المؤسسات الخيرية التي تعمل جاهدة للصالح

العام وتقدم خدمات كبرى للدولة بدون مساس بسيادتها وهيبتها.

هذه نظرة خاطفة على النشاط الاباضي في مرحلة الكتمان وما يتعلق بها من تنظيمات تأخذ طابعاً اجتماعياً ودينياً. وتبتعد ما أمكن عن الخوض في المجال

السياسي. لأن الهدف الأول من الكتمان هو التركيز على الحياة الداخلية للمجتمع، بالمحافظة على الدين والسعي في تطبيقه، وبتنظيم الحياة الاجتماعية.

ويمكن أن نلاحظ ما دمنا في آخر مراحل مسالك الدين ان الكتمان ينقسم إلى نوعين: الأول : مرحلة الاختفاء والتستر المتطرف والانعزال التام وهي شبيهة بحالة القعود مثل ما كان عليه الإمام جابر بن زيد وأبو عبيدة مسلم في العراق، وأبو الربيع سليمان بن يخلف النفطي (ق ٥ه) ومن عاصره في الجريد حيث كانوا يبالغون في أخف الموسم، نظراً الظروف القاسية في زمانهم .

والنوع الثاني : هو الكتمان المعتدل أو الظاهر حيث يتمتع فيه الاباضية بحرية الرأي واظهار نشاطهم بين الأمم إلا أنهم يعجزون عن أقامة دولة مستقلة لهم ولا يرغبون في ذلك. ومثال هذا النوع حالة إباضية شمال إفريقيا بعد سقوط الدولة الرستمية .

---

(١) ٨٩) إبراهيم أبو اليقظان، نظام العشيرة في وادي ميزاب(مخ) ص١٢.

(١٦٧/١)

فنسمي الحالة الأولى بالكتمان الخفي، والحالة الثانية بالكتمان لظاهر، وفي كل من الخفي والظاهر يترأس الجماعة الاباضية إمام الكتمان يدعى إمام المسلمين أو إمام القوم أو إمام التحقيق كما كان يسمى عبد الله ابن إباض في صدر نشأة المذهب (١). الا ان هذه الإمامة لا تأخذ بعداً سياسياً، فالإمام في مرحلة الكتمان يكون بمثابة الرئيس (في حكومة) ديموقراطية اباضية تدعى جماعة المسلمين)(٢) تتولى هذه الحكومة أو السلطة رعاية الشؤون الداخلية والتنظيمات الاجتماعية للجماعة الاباضية. وتتشكل هذه الحكومة من مجلس متكون من خيرة المشائخ ينتخبون من بينهم رئسا تسند إليه مهام إمامة الكتمان، من أمثلة هذا التنظيم – مجلس المشائخ في عهد الإمام جابر بن زيد وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ثم الربيع بن حبيب ومن جاء بعدهم في المشرق. وفي المغرب نجد مجلس المشائخ في عهد يعقوب بن سهلون (ق٤ ه) وأبي نوح سعيد بن زنغيل (ق ٥ه) وأبي عبدالله محمد بن بكر (ق٥ ه) وأبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي (ق ٦ ه) ثم أخيراً مجالس العزابة التي قل نشاطها أو توقف نهائياً لدى اباضية شمال أفريقيا (٣) باستثناء قرى

وادي مزاب الكائنة في جنوب الجزائر والتي لا تزال مجالس العزابة فيها تقوم بمهامها الدينية والاجتماعية وإليها يعود تنظيم النشاط الاباضي في مرحلة الكتمان.

خلاصة مسالك الدين

الظهور ... الدفاع ... الشراء ... الكتمان

الهدف ... إقامة الدولة العادلة ... الدفاع عن الدين ومحاربة الفساد ... الثورة ضد الحكم الجائر ... المحافظة على الدين وإصلاح المجتمع

---

(١) ٩٠) انظر سير الشماخي، ص٧٧، جواهر البرادي، ص١٥٥، السير العمانية ص١١٠.

(٢) ٩١) تادوز لويكي، دائرة المعارف الاسلامية مادة الاباضية.

(٣) ٩٢) أنظر فرحات الجعبيري، نظام العرابة عند الاباضية الوهبية في جربة، مط العصرية تونس ١٩٧٥م.

(١/١٦٨)

دليل الشروعية ... ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ... وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ... ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ... (أدلة مشروعية التقية)

الشرط الواجب ... توفر القوة الكافية في العدد والعدة ... انتشار الفساد أو ظهور عدو ... تسلط حاكم جائر أو مستعمر كافر ... أقلية ضعيفة في دولة مخالفة

نوع السلطة ... إمام منتخب وحكومة عادلة ... إمام ينعزل بانتهاء الحرب ... قائد مؤقت ينتصر أو يموت ... سلطة اجتماعية(نظام العزابة)

أسلوب العمل ... تسييس الرعية وانفاذ أحكام الشرع ... المجابهة بالقوة بعد الصد والتحذير ... الثورة عند الظلم أو المراقبة في السلم ... النشاط الديني والتربوي والاجتماعي

الإمكانيات ... السلاح والعلم والمال والرجال ... السلاح والرجال ... ما يحتاج إليه الفدائي مع قوة الايمان ... العلماء والمؤسسات الثقافية والاجتماعية

المثال ... النبي بعد الهجرة الخلفاء الراشدون الدولة الرستمية ... عبدالله بن وهب الراسي ... أبو بلال مرداس وزحاف الطائي وقريب بن مرة ... اباضية الجزائر وتونس وليبيا بعد الدولة الرستمية

الفصل الثالث

إمام الظهور

أولا: شروط الامامة

ثانيا: تنصيب الامام

أ-الترشيح

ب- البيعة (أهمية العقد)

ج- الصفقة

د- حالات استثنائية عند البيعة

ثالثا: موجبات عزل الإمام

رابعا: هل يجوز الخروج على السلطان الجائر

خامسا: موقف الأمة من الإمام العادل

سادسا:مسؤوليات الإمام وواجباته

أ-المسؤوليات الأمنية

ب- المسؤوليات الأمنية

ج- المسؤوليات الدينية

د- المسؤوليات الاقتصادية

هـ- المسؤوليات الاجتماعية

(١٦٩/١)

بما أن التفكير السياسي لدى الاباضية "منشئوه العقيدة الدينية. وتقوم الامامة على تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"(١) وانطلاقا من مبدأ الأفضلية للأتقى والاصلح دون اعتبار العرق والنسب، عملا بروح التعاليم الاسلامية في المجال السياسي والاجتماعي القائم على مبدأ الحرية الإنسانية والمساواة فإن الاباضية اختاروا الاتجاه الديمقراطي الاسلامي كنظام سياسي واجتماعي لأنه النظام الوحيد الذي يكفل الحريات السياسية للموطن. كما يضمن صيانة حقوق الفرد ضمن حدود الشريعة، ومن أهم حريات المواطن اختيار من يتولى رعايته ومن أبسط حقوق تولي السلطة اذا تأهل لها. ونظرا لهذه المنطلقات الأساسية كان رأي الاباضية في الإمامة "هو الرأي الذي يؤيده الاتجاه الحديث ويؤيده كل مخلص لدينه ووطنه"(٢). ومن أهم مزاياه المحافظة على مبدأ الشورى وهو عمود الديموقراطية في الحكم، ولذلك أولى الاباضية عناية كبيرة بمفهوم الشورى فكانوا "وحدهم الذين طبقوه في الحكم بعد الخليفتين أبي بكر وعمر"(٣).

ونظرا لأهمية التجربة الاباضية في مجال الحكم فأننا سوف نركز الحديث حول تطبيق الشورى والديمقراطية من خلال عرضنا لجهاز الحكم المتمثل في الامام كمسؤول أول في الدولة ثم أعوانه ومساعديه كمجلس الشورى والقضاة والعمال والحسبة والجيش. وهي أطراف متكاملة لتأليف شيء واحد هو السلطة بأنواعها الثلاثة: التشريعية والتنفيذية والقضائية. ونظرا لأهمية الامام سنفرد له خاصا ثم نتطرق الى أعوانه في فصل لاحق.

أولا: شروط الامامة

---

(١) (١ **Pierre Cuperly, Introduction a I, etude de I, Ibadisme ..p.289**

(٢) ٢) عبد الحليم محمود، التفكير الفلسفي في الاسلام، ص١٩١.

(٣) ٣) عوض محمد خليفات الأصول التاريخية لنشأة الفرقة الاباضية ص٥٤.

(١/١٧٠)

عندما نسأل: من أحق بمنصب الامام؟ نكون قد أثرنا أهم مسألة في الفكر السياسي عند المسلمين ولعلها أول مشكلة سياسية اختلف حولها الفقهاء والعلماء فترتب عليها ظهور الأحزاب السياسية والفرق الدينية، وسبب هذا الاختلاف يعود الى تحديد الشروط المطلوب توفرها لدى المرشح لمنصب الامام أو الخليفة أو أمير المؤمنين، وبالرغم من اتفاق جميع المذاهب على الشروط الأصلية كالعلم والاجتهاد والذكاء والشجاعة والنزاهة والعدل والحرص على مصلحة المسلمين، والتقى والورع...فإن الخلاف يبقى واردا حول بعض الشروط التي تعتبر مكملة لا أصلية. ومنها شرط الانتساب الى بني هاشم الذي تطالب به الشيعة(١)، أو فرع من آل البيت كالقرشية(٢).

أما الامامية فاشترطت ان يكون الامام "عالما بأصول الدين وفروعه بالفعل لا بالقوة وان يكون معصوما"(٣)، وكذا اشترط الإسماعيلية وزاد بعضهم اشتراط "ظهور المعجزة على يده"(٤) ويرد الشيخ محمد اطفيش على هذه الآراء بأن "خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ليسوا من بني هاشم ولا عالمين بالفروع والأصول كلها بالفعل بل لهم اجتهاد ومعونة من الصحابة كعلي"(٥)(رضي)، بل حتى علي ولم يكن من بين هؤلاء الأربعة معصوم، أما ظهور المعجزات فهي مسألة تخص الأنبياء وحدهم.

ومن الشروط كذلك الأولوية للأفضل والأعلم، وجواز الخروج عن الامام اذا جار أو عدم جوازه وطاعته أولا اذا لم يعدل..."(٦) كما تسبب في الخلاف مسألة ترشيح الامام وطريقة اختياره ثم تنصيبه وبيعته، وصلاحياته ومهامه.

إذن فما موقف الاباضية من كل ذلك؟ وما هي الشروط الواجب توافرها عند المرشح للإمامة؟

---

(١) ٤) محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص,٤٤١

(٢) ٥) م.س.ص: ٤٤٠، وعلي يحيى معمر، الاباضية بين الفرق الاسلامية، ص,٣٦٤

(٣) ٦) محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص٤٤١.

(٤) ٧) م.س.ص: ٤٤١.

(٥) ٨) م.س .ص: ٤٤١.

(٦) ٩) أطفيش شرح العقيدة ص.٤٤٠

(١٧١/١)

في الواقع يتعذر تحديد هذه الشروط بشكل دقيق وثابت نظرا لتعدد الآراء حولها وعدم وجود اتفاق شامل يجمع بين قدماء الاباضية ومعاصريهم ولكن يبقى المبدأ الأساسي المتمثل في المنهج الديموقراطي وأحقية كل مسلم لمنصب الامامة دون اعتبار اللون والجنس ، يبقى هو المبدأ الذي يؤمن به كان مفكر اباضي ويمكن الملاحظة كذلك ان الشروط الى جانب كثرتها تتصف حينا بالصرامة والمبالغة عند بعض الاباضية وتتصف حينا آخر بالبساطة والسهولة عند الآخرين.

وفيما يلي بيان أهم الشروط كما تتصورها النخبة من علماء الاباضية مع التركيز على آراء الوارجلاني ومحمد اطفيش.

ونبدأ أولا بتحديد القطب للشروط فيقول: "ان يكون مجتهدا في الأصول والفروع ليقوم بأمر الدين والدنيا متمكنا من إقامة الحجة وإزالة الشبه وتصحيح العقائد"(١)

وأول ما يلفت الانتباه ان القطب لم يشترط ان يكون الامام عالما في الأصول والفروع بل اشترط الاجتهاد لأن الاجتهاد أعم من العلم ولا يبلغ الامام درجة الاجتهاد الا اذا كان عالما. وفي نص القطب الشارة الى ضرورة تمكن الامام من العلوم الدنيوية الى جانب العلوم الدينية حتى يستطيع القيام بالأمور الدنيوية كذلك، وهي ملازمة لأمور الدين، لانه لا فصل بين الدين والدولة في الحكم الاسلامي.

(١) ١٠ **Pierre Cuperly, Introduction a I, etude de I, Ibadisme ..p.295**

(١٧٢/١)

وهكذا نلمس تأكيد القطب على الجانب العلمي في الامام وهو مذهب الاباضية عامة حيث "يركزون على العلم فكيف يمكن تطبيق الأحكام والقيام بالواجبات ومراعاة الحقوق بدون علم"(). ومن كمال العلم ان يكون الامام "فصيحا بالعربية"(١) وهذا شرط اضافه القطب ولم ينته إليه سواه ولعله لاحظ ان اللسان البربري يغلب على أهل زمانه وأدرك ان العلم لا ينال بالبرية بالقدر الذي يناله بالعربية لغة القرآن والعلوم العقلية والنقلية، ويضيف القطب الى شروطه بان يكون الامام "ذا رأي بالحروب والثغور والجيوش شجاعا ولو كان لا يباشر الحرب ليدافع عن الدين والحوزة"(٢)، وهذا ما يسميه الامام الغزالي بالنجدة، واظهار الشوكة والقوة ووفرة العدل والاستظهار بالجنود من أجل قمع البغاة والطغاة ومجاهدة الكفر والعتاه(٣).

(١) ١١ محمد اطفيش، شرح النيل، ج١٨، ص٨.
(٢) ١٢) محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص٤٤٠.
(٣) ١٣) محمد جلال شرف، نشأة الفكر السياسي وتطوره في الاسلام، دار النهضة العربية بيروت، ١٩٨٢، ص٢٨٣ نقلا عن الغزالي أبو حامد فضائح الباطنية، ص١٨٢.

(١٧٣/١)

ويتفق القطب مع الغزالي في عدم اشتراط مباشرة الامام للحرب بنفسه كما انه لا يخرج عليه اذا باشرها بنفسه وإذا ستغنى الامام بجيشه عن الخوض في الحروب جاز له المشاركة بالرأي والتدبير(١) لأن المقصود الأول هو الدفاع عن الحوزة بأي وسيلة يراها الامام ناجعة، ومن مظاهر الشجاعة والنجدة ألا يفشل الامام "ولا يلين ولا يهو له الحدود وضرب الرقاب"(٢)، وهذا مذهب الجمهور ألا ان البعض لم يوجبوا هذه الشروط ا قد لا تجتمع في واحد لكن القطب يرى وجوب نصبه "اذا وجد من يصلح به دفع الفساد ولو دون ذلك بأن يكون له علم يكفي أو معه عالم يقتدي به"(٣)، أو خبير بشؤون الحرب يستشيره، ومن شروط الامام "ان يكون عدلا لئلا يأخذ بلا

عدل أو يقتل بلا عدل"(٤)، ويقتضي عدل الامام ان يكون الناس كلهم سواسية في عيني الامام فلا يميز بين الرعية ولا يميل الى عنصر أو قبيلة دون أخرى على نحو ما كان عليه الخلفاء الراشدون. فالإمام الذي يؤثر بعض أقاربه على الناس فهو ممن لا يعدل ولا يكون امام مستقيما الا ان يكون الناس عنده كلهم سواء في الحق، سواء القريب أو البعيد، الشريف أو الوضيع، الذكر أو الأنثى، الصغير أو الكبير(...) ولا يتفاضل الناس عنده الا بتقوى الله (....) { إن أكرمكم عند الله أتقاكم } (٥) فمن لم يكن كذلك فهو ليس من أهل العدل..."(٦).

---

(١) ١٤) م.س.، ص.٢٨٣ نقلا عن الغزالي، فضائح الباطنية، تح: عبد الرحمن بدوي، ط القاهرة ٦٤.

(٢) ١٥) محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص٠٤٤.

(٣) ١٦) محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص٠٤٤.

(٤) ١٧) م.س، ص.٤٤٠.

(٥) ١٨) الحجرات الآية ١٣.

(٦) ١٩) من رسالة الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم إلى أهل طرابلس ضمن كتاب شرائع الدين لابن سلام ٠مخ) في حوزة ش.ناصر المرموري ص.٣٢.

(١٧٤/١)

وهذه الشروط المتقدمة من العلم والورع والشجاعة والعدل متوقفة على شروط أساسية تسبقها بالأولوية من حيث تعلقها بالجانب الخلقي– الجسماني– في الانسان وأهمها ان يكون عاقلا(١) ذا بصيرة وفطنة وذكاء، وأن لا يكون "أعمى ولا أصم ولا أخرس، وليس بمزمن ولا مقطوع اليدين والرجلين..."(٢) لأن أي نقص في الامام من الناحية الجسمية يترتب عنه نقص في أداء مهامه فلا يعقل ان يتقلد المجنون أو الأعمى أو الأصم وغيرهم من المعتوهين زمام الأمور وهم لا يتمكنون حتى من تدبير أنفسهم. هذه جملة من الشروط المتعلقة بالجانب الجسماني ويضاف إليها شروط ترتبط بها من حيث كونها غريزية في الانسان غير مكتسبة واهمها ان لا يكون صبيا(٣) لان البلوغ مناط التكليف والتكليف ملاك الأمر ولا تكليف على صبي وأن يكون حرا(٤) فلا تنعقد الامامة للعبد لانه لا يملك أمره فهو أشبه ما يكون بالحيوان يتصرف فيه مالكه حسب هواه ويسخره لأغراضه. وان يكون ذكرا(٥) فلا تنعقد الامامة لامرأة مهما أوتيت من كفاءة وتأهل، نظرا لما

يعتريها من حالات نفسية ومرضية تعقدها عن القيام بشؤونها ولذلك لا يحق لها منصب القضاء فكيف بإمامة المسلمين.

---

(١) ٢٠) محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص٤٤٠.
(٢) ٢١) أبو إسحاق الحضرمي، مختصر الخصال، (مخ) ص: ١٨٨- ١٨٩.
(٣) ٢٢) محمد اطفيش، شرح العقيدة ، ص٤٤٠، مختصر الحضرمي، ص١٨٩.
(٤) ٢٣) م.س.، ص.٤٤٠، الحضرمي، مختصر الخصال(مخ) ص.١٨٩.
(٥) ٢٤) م.س.، ص.٤٤٠، مختصر الحضرمي ص.١٨٩.

(١٧٥/١)

هذه شروط فطرية لدى الانسان أما الشروط الممكن اكتسابها أو التي تنمو وتزيد بالكسب فهي المتعلقة بالجانب الأخلاقي، وهي كثيرة منها ان يكون الامام "مشاورا أهل الرأي والعدل عفيفا عن الطمع محتملا...رحيما حليما مصلحا بين الناس"(١)، ولا يبلغ ذلك الا اذا كان "عزيزا في قومه، ذا حسب ونسب"(٢) ولكن ينبغي ان يتفاضل الناس معه " الا بقدر فضلهم في العلم"(٣) وهذا يقتضي ان يكون متواضعا لا الى درجة الذل مترفعا لا الى درجة التكبر، وان لا يكون "كذابا ولا مخلفا ولا حسودا ولا حقودا، ولا بخيلا ولا عجولا، ولا مبذرا ولا غدارا ولا مكارا..."(٤). وبذلك يكسب ود الرعية ويحظى بالتأييد، فإذا رضي الناس بالإمام كان موضع ثقتهم فيسهل له القيادة وتدبير شؤونهم.

---

(١) ٢٥) خميس ين جميل السعدي، قاموس الشريعة، كتاب الإمامة (مخ) ص.٧٠
(٢) ٢٦) محمد اطفيش، شرح النيل، ج٣، ص.٨
(٣) ٢٧) نفس المصدر
(٤) ٢٨) م.س.ص: في التواضع يقول صلى الله عليه وسلم السلطان العادل المتواضع ظل الله ورحمته في الأرض...انظر اطفيش جامع الشمل ص٣٠٣.

(١٧٦/١)

ويصور لنا ش . أبو الحسن العماني شخصية الإمام كما ينبغي أن تكون فيقول: أن يكون خيرا أهل عصره(١) ويكون أقوى طبائع عقله ثم يصل قوة عقله بشدة الفحص(٢) وكثرة سماعه بحسن العادة(٣) فإذا جمع إلى عقله علماً وإلى علمه حزماً، وإلى حزمه عزماً، فذلك الذي يعد لغز. الدولة ونكابة العدو، ويقوى على إقامة الحق، ويكون عدلاً مرضياً، ولا يكون يلي أمور المسلمين على ظاهر الرأي أكثر من واحد...."(٤)، أما أ. محمد بن الشيخ (معاصر) فيجمع المقاييس المعتبرة للإمامة عند الاباضية فيما يلي : " الكفاءة والتأهل بالرسوخ في علم القرآن والسنة، مع قدم الهجرة(٥) وكبر السن، ووفرة التجربة دون اعتبار للحسب والنسب ولا للعرق والجنس" (٦).

---

(١) ٢٩) يشير بقوله (خير أهل عصره) مشكل الأفضلية الذي لا تقول به الاباضية فقد يتولى رجل الامامة وفي الجماعة من هو أفضل منه وأعلم. كما ولي أبو بكر وزيد بن ثابت أفرض منه وعلي أقضى منه انظر طبقات الدرجيني ج١، ص٥٠.

(٢) ٣٠) يشير إلى كثرة استعمال العقل والاجتهاد.

(٣) ٣١) يشير الى الاستشارة والاستماع الى النصائح والانتقاد.

(٤) ٣٢) أبو الحسن العماني، سير أهل عمان (مخ) في حوزة ش.ناصر المرموري، جـ٢، ص٩٦.

(٥) ٣٣) أشار القطب هو الآخر الى شرط الهجرة، انظر شرح النيل: جـ١٣، ص٨.

(٦) ٣٤) محمد الشيخ بالحاج الاجتهاد في المذهب الاباضي ص٢٥، ركز الأستاذ ابن الشيخ على الكفاءة والتأهل ويضيف جديدا لأن الرسوخ في علم القرآن والسنة، ووفرة الترجبة من تمام الكفاءة والتأهل أما كبر السن فشرط ثانوي لأن الكفاءة والتأهل يغني عن السن.

(١٧٧/١)

وحول هذه الشروط الأخيرة المتعلق بالانتساب إلى جنس معين نجد خلافاً جزئياً بين فقهاء الاباضية ينحصر في مسألة القرشية، هل من اللازم أن ينتسب الإمام إلى قريش ؟. الواقع أن الاباضية لا يرون اشتراط القريشية في عقد الإمامة، ويتفق معهم الخوارج في أن مصب الإمامة ليس من حق فرد معين دون غيره، ولا حكراً على أسرة دون أسرة، أو جنساً دون آخر. إنما الخلافة حق مشاع بين جميع من تتوفر فيه الكفاءة المرجوة من المسلمين عامة لا العرب فحسب كما كان الحال قبل اتساع رقعة الإسلام، ولذلك كان الخوارج في صدر الإسلام يعارضون حصر الخلافة في سلالة معينة، ويعتبرونها حقاً لكل عربي" (١). ولما انتشر الإسلام ودخلت فيه جماعات من غير

العرب عدلوا عن قولهم فنادوا بأن الإمامة "حق لكل مسلم تتوفر فيه شروطها "(٢). أما حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الأئمة من قريش فيحمله الاباضية من باب الترجيح باعتبار ما كانت عليه قريش في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من مكانة وسيادة بين قبائل العرب، أما وقد تغيرت الأمور تبعاً لذلك ولم تحافظ قريش اليوم _ إن وجدت – على ذلك الدور الريادي، فإن مقاييس الاختيار تتغير تبعاً لذلك، وبالتالي يبطل مبدأ الأفضلية .

فانطلاقاً من هذا الاعتبار " لم يشترط الاباضية القرشية لصحة الخلافة وانما تكون مرجحا – إن وجدت – وتساوت الكفاءات الأخرى"(٣)

---

(١) ٣٥) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي...ط٣، مكتبة النهضة القاهرة جـ٢، ص٣.

(٢) ٣٦) م.س.ص.٣، جـ٢.

(٣) ٣٧) علي يحيى معمر، الاباضية بين الفرق الاسلامية، ص٤٦٤.

أما الشيخ التعاريتي (ق ١٩م) من اباضية تونس يرى ان القرشية شرط لاوم لصحة الامامة الا في حالة عدم وجود القرشي فإنه يجوز لغيره ان يأخذ الامامة دفعا للفتنة التي تحصل لفقد. انظر سعيد التعاريتي المسلك المحمود في معرفة الردود، ط حجرية تونس ١٣٢١هـ ص٤٩.

(١٧٨/١)

، بينما تعتبره الشيعة والأشاعرة وفرق السنة شرطا لا بد منه، ولذلك يعده الغزالي (أبو حامد) من الشروط العشرة الواجبة للإمامة، لأنه " مأخوذة من التوقيت ومن إجماع أهل الإعصار الخالية على ان الامامة ليست الا في هذا النسب"(١).

والواقع أنه ليس الاباضية أو الخوارج هم أول من قال بعدم حصر الخلافة في قريش " وانما سبقهم إليه كبار الصحابة عندما ناقضوا أول خليفة في الاسلام فقد قال بعض الأنصار للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير ولو لم يكن الأنصار يعرفون ان يجوز ان يتولى الإمارة غير قريشي لما قالوا ذلك(٢).

وفي العصر الحديث نجد المفكر أبو الأعلى المودودي يرفض فكرة حصر الخلافة في أسرة أو طبقة وإلا ما كانت الخلافة الاسلامية ديموقراطية(٣).

---

(١) ٣٨) محمد جلال شرف نشأة الفكر السياسي وتطوره في الاسلام، ص٢٨٢

(٢) ٣٩) علي يحيى معمر، الاباضية بين الفرق الاسلامية، ص٤٦٤.
(٣) ٤٠) يقول المودودي في هذا المعنى:" لا يذهبن بكم سوء الفهم من كلمة النيابة الى أنها عبارة عن ظل الله أو حقوق الملوك الالهية فقد قضى القرآن أنه ليست هذه المنزلة– منزلة الخلافة من حق فرد من الأفراد أو أسرة من الأسر أو طبقة من الطبقات وانما هي حق لكل من يسلمون بحاكمية الله ويؤمنون بعلو القانون الالهي (..وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض)
وهذا ما يجعل الخلافة الاسلامية ديموقراطية انظر المودودي أبو الأعلى نظرية الاسلام وهدية دار الفكر، د.تا. ص٢٥٩.
وفي موضع آخر يستوحي المودودي من مفهوم الخلافة في الآية السابقة: ان الله وعد جميع المؤمنين بالاستخلاف ولم يقل انه يستخلف أحدا منهم فالخلافة عمومية لا يستبد به فرد أو أسرة كل مؤمن خليفة عن الله. وانما حصرها في جملة الذين آمنوا وعملوا الصالحات انظر المودودي نظرية الاسلام السياسي ص.٤٦.

(١٧٩/١)

أما مسألة الأفضلية وهي ان يتولى رجل منصب الامامة مع وجود من هو أعلم منه، فإن الاباضية يجيزون ذلك خلافا للإمامية من الشيعة، أما الأشاعرة فيقولون برأي الاباضية في ذلك(١).
ومما جاء في رسالة من علماء الاباضية في المشرق الى أهل المغرب في عهد الامام عبد الرحمن قولهم: "وأما ما ذكرتهم من تولية رجل وفي جماعة المسلمين من هو أعلم منه فذلك جائز اذا كان– الامام المرشح– مستكملا لشروط الامامة وكان من أهل الفضل والدين والعدل والسياسة والمنزلة المرضية فقد ولى أبو بكر الصديق (رضي) وزيد بن ثابت أرضى منه وعلي أقضى منه ومعاذ بالحلال والحرام أعرف منه وأبي بكتاب الله أقرأ منه(...) ومع هذا فلم يكن أحد منهم أولى منه بالإمامة"(٢) لأن ثبوت الامامة– كما يرى القطب– "لا يفيد القطع بالأفضلية"(٣) ويبدو ان الإمامية منعوا إمامة المفضول مع وجود الفاضل لأنهم يرون ذلك قبيحا عقلا"(٤).
بينما الاباضية لا يرون في ذلك مذمة ما دام الهدف هو تحقيق المصلحة العامة وهذا ما عليه الجمهور، ومع ذلك ذهب قوم الى "نصب الأفضل وان أثار فتنة لم تجب كما اذا كانت الرعايا لا ينقادون للفاضل بل للمفضول وإلا وجبت إقامة الأفضل"(٥)

---

(١) ٤١) سعيد التعاريتي، المسلك المحمود في معرفة الردود ، طبع حجري، ص٥١
(٢) ٤٢) الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب جـ١ ص٥٠، وفي رواية أبي زكريسا في كتابه سير الأئمة وأخبارهم بلفظ فذلك جائز اذا كان في القناعة والفضل بمنزلة حسنة تاريخ أبي زكريا تح اسماعيل العربي ص٩١.
(٣) ٤٣) محمد اطفيش شرح العقيدة ص٤٢٧.
(٤) ٤٤) م.س.ص.٤٢٧
(٥) ٤٥) م.س.ص٤٢٧.

(١/١٨٠)

ويحسم القطب الموقف بالنظر الى ما يصلح أمر المسلمين بمن يصلح للإمامة، فإن كان المفضول أقوم بها وأعرف بشأنها وأصلح لها من الفاضل ولي أمرها وان تساويا في ذلك فالأرجح تولية الأفضل "فالمهم أن تتوفر في الامام المزايا العامة المطلوبة للإمامة"(١) أما ش.أبو الحسن العماني فلعله مبالغ "في اشتراطه ان يكون الامام خير أهل عصره"(٢) كما أخطأ أ.دنجيل( ) (معاصر) حين يعتبر الأفضلية شرطا لتولي الامامة عند الاباضية(٣) والواقع انه يتعذر الحصول على رجل يكون خير أهل عصره، وأفضلهم علما وورعا وشجاعة وحلما وأقدرهم على تحمل المسؤولية وادارة شؤون الدولة، يصعب العثور عليه ما دامت الأفضلية نسبية، فقد يفضل الرجل أخاه في العلم ولا يبلغ درجة ورعه وزهده وقد يكون الفارس أشجع القوم وأجهلهم في ذات الوقت، أما ان يجمع الرجل جميع المحاسن فهذا نادر.

وجملة القول في شروط الامامة ان المقياس العام لها عند الاباضية- في نظر أ.بيار كبيرلي(معاصر) "هو مقياس أخلاقي مرتبط بالتعاليم الدينية مع التركيز على العلم"(٤) والكفاءة المؤهلة لمنصب الامامة.

---

(١) ٤٦) **Pierre Cuperly, Introduction a I, etude de I, Ibadisme ..p.295**
(٢) ٤٧) أبو الحسن العماني. سير أهل عمان (مخ) ج٢، ص٩٦.
(٣) ٤٨) **Dangel Gerrard, Imamat Ibadite de Tahert (716- 404) .Sttrasbourg**

(٤) ٤٩ Pierre Cuperly, Introduction a I, etude de I, Ibadisme ..p.295

(١٨١/١)

أما الموانع التي تحول دون ترشيح الرجل للإمامة فهي عدم توفر الشروط السابق ذكرها بالإضافة الى ارتكاب الكبيرة لأن مرتكبها ليس بمؤمن ولاحظ في الكفر لمنصب الامامة ولكن ما السبيل اذا جهل المسلمون باطن الرجل وقد تقدم للإمامة وهو مرتكب لكبيرة دون علم الناس به؟ هنا يحمل القطب الشخص المرشح للإمامة مسؤولية ذلك فيقول: " حرام على الانسان ان يتولى الامامة أو نحو ذلك مع علمه بخيانة نفسه أو عزمه عليها، أو سؤال ذلك..."(١) أما ان يولي الانسان فاسقا مع علمه بفسقه أمرا من أمور المسلمين فحرام بلا ريب بالإجماع.

ثانيا: تنصيب الامام

يعتبر حفل التنصيب وتسليم مهام السلطة للإمامة الجديد والإعلان بذلك- رسميا- هي المرحلة الثانية من تطبيق مبدأ الديموقراطية بعد اجتياز المرحلة الأولى- المهمة هي اختيار الامام كما تعتبر مراسيم تنصيب الامام تجسيدا عمليا للأفكار النظرية في الميدان السياسي. وأهم ما يشترط في هذه المناسبة ان تجري مراسيم حفل التنصيب في جو سليم صاف خال من أي خلاف. تسوده الثقة المتبادلة بين أهل المشورة، والصراحة في القول ورحابة الصدر لقبول الحق والموضوعية في التفكير، والحرية في ابداء الرأي، والاعتماد على مبدأ المصلحة العامة قبل المصالح الخاصة، وتتم عملية التنصيب على النحو التالي:

أ-الترشيح

يجتمع مجلس الشورى لاختيار من يقدمونه لمنصب الامامة والمجلس لا ينعقد لهذا الغرض الا في الحالات الآتية:

---

(١) ٥٠) محمد اطفيش، إزالة الاعتراض عن محقي آل اباض ص٣٤.

(١٨٢/١)

لاختيار امام جديد ليخلف إماما سابقا له وفي هذه الحالة لا يجوز للمجلس ان يختار إماما الا اذا تحققت وفاة الامام الذي سيخلف أو بعد التحقيق من شغور المنصب بأن يعزل الامام القائم

بموجب(١)، كما انعزل ابو بكر بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي من الولاية وانسلخ منها الفساد سيرته في الحكم فبايع المسلمون أخاه محمد ابو اليقظان (٢٤١هـ-٢٨١هـ) للأمامة(٢).

---

(١) ٥١) راجع موجبات عزل الامام أو الخروج عنه في موضع لاحق من هذا الفصل.

(٢) ٥٢) لم يتوضح المصادر الاباضية ما اذا كانت تولية أبي اليقظان وقعت في حياة أخيه أبي بكر أم بعد وفاته فإن ابن الصغير يقول: " صارت الدعوة والامامة كلها لأبي اليقظان " ويصف أخاه أبا بكر في ذات الوقت أنه خرج (لا حيا ولا ميتا) أنظر تاريخ الأئمة الرستميين لابن الصغير، تح د.محمد ناصر و أ.إبراهيم بحاز ص٧٤ بينما لم يذكر أبو زكريا شيئا عن أبي بكر حين ذكر ولاية أبي اليقضان أما الدرجيني فتوحي روايته بأن الامام محمد بن أفلح وأخوه حيا لكنه تجرد من مهام الامامة، انظر الدرجيني في طبقاته ج١، ص٨٣، ولعل الواية القريبة من الاحتمال ان أبا بكر ترك مهام الامامة لأخيه محمد بعد رجوعه من المشرق فاجتهد في إدارة شؤون الدولة بصفته وزير ومساعدا لأخيه الذي اشتغل بالترف وأهمل رعاية الأمة أما إمامة محمد فلم تعقد له الا بعد وفاة أبي بكر وهذا ما ذهب إليه أ.محمد علي دبوز في كتابه تاريخ المغرب الكبير ط١، القاهرة ١٩٦٣م، ج٣. ص: ٥٦٨- ٥٨٥.

لاختيار أول امام لدولة اباضية تؤسس من جديد ومثال ذلك توليه أبي حمزة المختار بن عوف(١) للإمامة الاباضية في جنوب الجزيرة العربية وتوليه أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح(٢) للإمامة في طرابلس وتولية عبد الرحمن بن رستم(٣) للإمامة في تاهرت.

وفي الغالب تتم عماية الاختيار بترشيح جماعة من الأكفاء "من اثنين الى ستة" من طرف أعضاء مجلس الشورى- ان وجد- على ان يكون محايدا. كما حدث لتولية الأئمة الرستميين أو من طرف مجلس الأعيان(الزعماء الروحيون للمذهب) مثل مشائخ البصرة.

وبعد تحديد القائمة المرشحة تجري المفاوضات بين أعضاء بكل نزاهة حتى يستقر رأيهم فيمن هو أحق بالإمامة عن تراض وفق الشروط اللازمة وقد لا يحصل الاجماع التام على واحد وثمة يؤخذ برأي الأغلبية. وهنالك صورة أخرى لتعيين الامام وذلك ان يجتمع المرشحون للإمامة من طرف الامام السابق، فيتفقون بينهم على من يولونه أمر الامامة، أما مجلس الشورى فينحصر دوره في

هذه الحالة على الإشراف والمراقبة والتزكية.

إذن فطريقة تعين الامام بالشورى تختلف باختلاف الظروف السياسية والأمنية لكل عصر وأمة، كما تختلف باختلاف الحكم القائم. فالخلفاء الراشدون الأربعة كانت طريقة كل واحد منهم في التنصيب تختلف عن الآخر(٤).

---

(١) ٥٣) هو أبو حمزة الشاري من قبيلة الازد في عمان قاد ثورة اباضية ضد الامويين في الحجاز انظر ترجمته في طبقات الدرجيني ج٢، ص٢٥٨– ٢٧٢.

(٢) ٥٤) انظر ترجمته في طبقات الدرجيني ج١، ص١٩، ٢٣، ٢٩، وتاريخ أبي زكريا ص٣٧.

(٣) ٥٥) انظر ترجمته في تاريخ الدبوز، ج٣ ص:٢٩٥– ٣١٥، بحاز إبراهيم الدولة الرستمية ص٢٩.

(٤) ٥٦) حسين مؤنس معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص١٠٣.

(١٨٤/١)

والمشهور عند الاباضية ان أهل الشورى الذين يتولون تعين الامام خمسة" وانما جعلت لستة وتعقد لواحد، ويبقى الخمسة، وهم كالحجة على غيرهم، وقيل ان اقل ما يعقد له اثنان لان الامامة لا تصح الا عن مشورة وتراض من الخاصة وهم الحجة. فإذا وقع التراضي به من الخاصة فهو امام"(١). ويستدل

القطب على ذلك بحالة عمر بن الخطاب الذي تولى الخلافة " باختيار أبي بكر إياه إماماً للناس – بعد استشارة الصحابة وإبداء رضاهم – فكان الضي به دون العقد أوجب لصحة ذلك"(٢)، وهذا شبيه بما حدث في تولية أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح للإمامة فقد اختاره شيخه أبو عبيدة لهذا المنصب – وإن لم يصرح بذلك له – وبالفعل حدث فقدمه زملاؤه.

ب– البيعة

بعد ان يستقر الرأي الأخير على الامام الجديد، تتم بيعته من طرف الخاصة، ثم بقية المسلمين برضاهم له وقبولهم لخلافته.

---

(١) ٥٧ محمد اطفيش شرح النيل ج١٤ ص٢١٣.

(٢) ٥٨ م.س. ج١٤ ص٢١٣

والبيعة هي –اصطلاحاً– تأيد المرشح للخلافة والموافقة عليه(١)، ولا تتم البيعة الا بالعقد، وهو أهم ما فيها. وللعقد صيغ مختلفة منها ما ذكره القاضي أبو يعلى بقوله: " بايعناك بيعة رضي على إقامة العدل والإنصاف والقيام بفروض الامامة"(٢). أما الصيغة المشهورة لدى الاباضية فيذكرها ش٠ محمد أطفيش بقوله : " إذا قام ممثل أهل الشورى لاعلان بيعة الامام بقول : " قد بايعت فلان بن فلان على طاعة الله وطاعة الرسول، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ...."(٣) وعند انتهاء المثل من ذكر الشروط التي ولى المرشح الامامة على أساسها، يقوم الامام ليرد على المبايعة بقوله: " قد بايعتني إماماً على موضع كذا (٤) ومن رضي بذلك على طاعة الله وطاعة الرسول (...) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..."(٥) وبعد ذلك يشرع الحاضرون في أداء الصفقة .

* أهمية العقد:

---

(١) ٥٩ ظافر القاسمي نظام الحكم في الشريعة...ص:٢٥٩.

(٢) ٦٠ محمد المبارك نظام الاسلام: الحكومة والدولة ط٣ الفكر بيروت ٨٠ ص٧٦.

(٣) ٦١ محمد يوسف اطفيش شرح النيل، ج١٤ ص٣١٤ " يستمر ممثل أهل الشورى في عرض الشروط الشرعية التي يجب على الامام أن يسير وفقها"

(٤) ٦٢ يذكر الموضع والبلد الذي قاموا بتنصيبه فيه وكذا تاريخ ذلك اليوم

(٥) ٦٣ م.س. ج١٤ ص٣١٢

ليس العقد واجباً ولكنه ضروري لاتمام البيعة." فإذا كانت الامامة فريضة فالعقد فيها وسيلة والفرض إذا ثبت بالإجماع لم يسقط بعدم الوسيلة ولا بتركها، وقيل ان الرضى والتسليم يقومان مقام العقد"(١). والواقع ان للصفقة بعدا إلزاميا، يزيد للبيعة تأكيدا وترسيخا وهو بمثابة الرمز الشرعي لثبوت الامامة لدى المرشح لها. فإذن يحمي الرعية مثلما يحمي لسلطته التي يحكم بها هو رضي أهل الحل والعقد وقبولهم لولايته نظرا لقناعتهم بكفاءة الامام وأهليته للحكم وقابليته له

.

ومن أهم خصائص العقد ومزاياه يحددها أ.كبيرلي (**Pictrc Cuperly**)

فيما يلي: (٢)

* تنشا علاقة ود وولاية بين الامام والشعب الاباضي .

* يوجب العقد فسخ البيعة في حالة خيانة الامام أو جور، فيتبرا منه .

* يتمتع الامام– بموجب العقد – بسلطة مطلقة في حدود الشريعة .

* على كل مسلم مساندة الامام ومساعدته – ما أمكن عملا ينص العقد .

جـ– الصفقة

بعد تلاوة العقد وقبول الامام كل الشروط، يمد يده لصفقة المبايعة،وهى " رمز للوفاق المتبادل"(٣) بين الطرفين اللذين يربط بينها عقد البيعة. وهما الامام وجماعته.

---

(١) ٦٤) الصافي كنز الأديب وسلافة اللبيب (مخ) ورقة٩٩ أورد هذا النص أ.فاروق عمر، انظر التاريخ الاسلامي وقمر القرن العشرين ط٢ دار اقرأ ١٩٨٥م.

(٢) ٦٥) **Pierre Cuperly, Introduction a I, etude de I, Ibadisme ..p.293**

(٣) ٦٦) م.س، ص: ٢٩١ .

(١٨٧/١)

وتتم الصفقة بحضور العلماء الثقات فيتقدم أفضلهم فيمد يده اليمنى ليمسكها الامام بيمناه فيقول العالم – المبايع – : "قد بايعناك لله ورسوله ..." فيجيبه الامام: "(نعم) ثم يفعل ذلك الثاني والثالث وما أكثر فهو أفضل"(١)، ومن تمام مراسيم حفل التنصيب – حسبما يذكر ش. أطفيش أن " تجعل الكمة (٢) في راس الامام والخاتم في يده وينصب العلم بحذائه ..."(٣) وفي الأخير يقوم الخطيب لقراءة الخطبة على جمهور المسلمين"(٤) يعلن فيها نتائج الانتخاب وما أسفر عنه من تولية الامام وموافقة مجلس الشورى وأعيان البلد وعلمائها ورضاهم عن الامام الجديد ومبايعتهم له، ويستحسن أن تلقى هذه الخطبة بالمسجد بعد صلاة الجمعة حتى يعم الخبر بين المسلمين وينتشر بسرعة .

د– حالات استثنائية عند البيع

---

(١) ٦٧) محمد اطفيش شرح النيل جـ١٤، ص٣١٧.

(٢) ٦٨) الكمة: عمامة خاصة في شكل قلنسوة يرتديها الامام عند توليته الحكم.

(٣) ٦٩) م.س، ج١٤، ص:٣١٧.

(٤) ٧٠) محمد اطفيش شرح النيل ج١٤، ص٣١٧.

(١٨٨/١)

قد يحدث أن يرفض المرشح للإمامة بيعة المسلمين له وذلك لاسباب كثيرة. كان يعظم أمر الامامة في عينيه إدراكا منه خطورة هذا المنصب وتورعا منه مخافة الوقوع فيما لا يرضي ربه خاصة وقد ورد في القرآن والسنة نصوص تنذر بالعذاب في الآخرة لمن لم يحكم بما أنزل الله، وفي تاريخ الاباضية أمثلة عديدة لرجال ثقات عدول عرضت عليهم الامامة والرئاسة فدفعوها. ومنهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح (ت ١٤٠هـ) لم يقبل الولاية على طرابلس إلا بعد إلحاح شديد من جماعة المسلمين. وبعد تفكير طويل أدرك أنه من حق الأمة عليه قبول الولاية لكفاءته وتأهله لها دون غيره. وحدث مثل ذلك لمسعود الأندلسي سنة ١٧١هـ فاختفي عن الأعين – بعيداً عن البلدة – حتى لا تعرض عليه الامامة خلفا للإمام عبد الرحمن بن رستم، كما يحدث ذلك للكثير ممن يرى أن المناصب السامية سيما رئاسة الدولة تكليفا للإنسان بمسؤوليات ثقال قد لا يقوى على تحملها. وليست تشريفاً له ورفعاً من شأنه وليست مصدر الحظوظ والغنائم، والكسب بل فيها التكاليف كثيرة، والواجبات صعبة، ومن وراء ذلك الحساب عسير عند الله.

(١٨٩/١)

وفي هذه الحالة يحسم الموقف بقرار قد يبدو قاسيا ومبالغا فيه، يلخصه أبو يعقوب الوارجلاني (ق ٦هـ) في قوله: "إذا اتفق المسلمون وأهل الحل والعقد على تولية رجل إمرة المؤمنين(....) ولم يكن في المؤمنين من هو أولى منه(١) فإنه يقتل ان هو أبى قبول البيعة، فإن كانوا عددا امتنعوا فرأى المسلمون أن يقتلوهم كلهم قتلوهم الا ان يكون فيهم من فاقهم في الأمور التي تصلح للولاية، فيتوجه إليه القتل وحده"(٢).

ومما يحتمل وقوعه بعد إتمام البيعة ان تظهر من هو أولى من الامام المنتخب وفي هذه الحالة "لا يجوز ان ينخلع أمير المؤمنين من الولاية كما لا يسوغ للمسلمين ان يخلعوه ويولوا غيره"(٣) فعلى الامام الا يستغني عمن هو أفضل منه في المشورة وطلب العون.

وهو ما ذهب إليه ش.تبغورين(ق٥-١١م) حيث يقول: "والإمام ان أبى ان يقبل الامامة اذا رفعها

إليه المسلمون قتلوه ونظروا في غيره"(٤)، ويستدل على ذلك بما فعله عمر بن الخطاب إذ أمر أصحاب الشورى من بعده بقتل من رفض الخلافة كما أمر بذلك مسلم بن أبي كريمة"(٥) حين هم بتوديع حملة العلم القافلين الى المغرب.

---

(١) ٧١) يحدد الشيخ أطفيش الأولوية بأن يكون أحدهما اعلم من الأخر وان تساوا فالأسن وقد يقدم الأليق مع وجود الأعلم فتندفع الفتنة بهذا التفصيل ومن أبي ففاتن وفتنته باغية ولا تخلو الدنيا من انكار الحق والزجر عند ذلك واجب.

(٢) ٧٢) أبو يعقوب الوارجلاني العدل والانصاف (مخ) خزانة س.بالحاج رقم٢، أنظر كذلك محمد بن يوسف اطفيش شرح النيل ،ج٤، ص٢٨٠.

(٣) ٧٣) أبو يعقوب يوسف الوارجلاني، العدل والانصاف (مخ) خزانة ش.بالحاج.

(٤) ٧٤) تبغورين بن عيسى الملوشائي عقيدة تبغورين (مخ) ورقة ٢٠أ.

(٥) ٧٥) م.س ، ورقة ٢٠أ

(١٩٠/١)

ويضيف ش.أبو يعقوب الوارجلاني حالة أخرى قد تطرأ على الأمام فيقول: "أما اذا اسر أمير المؤمنين في حرب المسلمين وأكره على الكفر(...) أنكره لهم ولا بأس عليه، وان اكرهوه على ان ينخلع فأخلع فلا بأس وهو على ولايته"(١). فالوارجلاني يجيز التقية للإمام درءا لما هو أخطر، أما إبقاءه على الولاية فأمر لم يوضحه الوارجلاني جيد، فالمفهوم المتبادر من كلامه ان الامام اذا اكره على التخلي عن منصبه جاز له التخلي من باب التقية ويترتب على ذلك نصب امام جديد خلفا له، ويكون بذلك معذورا لا يتبرأ منه فهو في الولاية، ولكن قد يفهم من كلام الوارجلاني حالة ثانية وهي ان الامام بعد إكراهه يتخلى عن الامامة بالقول فقط– وهذه تقية بالقول– ولكنه في نظر جماعته لا يزال إماما عليهم– علميا– وهذا ما يشير إليه بقوله "فهو في الولاية" بمعنى ولاية أمر المسلمين(الامامة) ولعل المفهوم الثاني أقرب للاحتمال.

ومن الحالات الاستثنائية عند البيعة أن يشذ واحد أو جماعة من أهل الشورى باشتراط شيء يخدم مصلحة خاصة ،أو باشتراط ما لا يرضى عنه الشرع .

---

(١) ٧٦) أبو يعقوب يوسف الوارجلاني، العدل والانصاف (مخ) غير مرقم

(١٩١/١)

وفي هذه الحالة لا ينظر إلى هذا الاشتراط لأنه باطل والبيعة صحيحة ،وقد حدث مثل هذا أثناء تولية الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي، حين اشترط ابن فندين(١) على الا يقضي الامام أمرا دون جماعة معلومة يقصد بذلك أن يصبح هو وجماعته مستشارين للإمام لا يقدم على فعل شيء الا اذا أذنت له هذه الجماعة، لكن مجلس الشورى لم يقبل هذه البدعة، فكتب العلماء يستفتون المشارقة في هذه المسألة فكان ردهم كما يلي:

" أما ما ذكرتموه من أمر الشرط فليس من سيرة المسلمين ان يجعلوا في الامامة شرطا ان لا يقطع الامام أمرا دون جماعة معلومة الامامة صحيحة والشرط باطل..."(٢) وهذا معقول إذ لو جاز الاشتراط على الامام لأصبح الأمر فوضى لأن مطالب الناس لا حدود لها والأغراض الخاصة لا فائدة ترجى منها، ثم ان الامام تتقلص حريته ولا يملك القدرة على فرض أحكامه وانفاذها ما دامت عوائق الاشتراط تقف دون ذلك.

ثالثا: موجبات عزل الإمام

---

(١) ٧٧) هو زيد بن فندين أبو قدامي النماري كان من علماء تيهرت ومن الشخصيات البارزة في قبيلة زنانة ضمه الامام عبد الرحمن بن رستم الى لجنة الشورى لمكانته العلمية ومنزلته العليا بين قومه، وجمعا لكلمة الأمة وسدا لباب الخلاف وطمع يزيد في ولاية ناحية من الدولة فلما لم يوله عبد الوهاب غضب وثار فجند أتباعه للاطاحة بنظام عبد الوهاب فلم يفلح فسمي أتباعه بالنكار لانكارهم إمامة عبد الوهاب انظر فتنة يزيد في سير أبي زكريا، ص٥٨– ٦٥، طبقات الدرجيني، ج١، ص.ص ٤٧– ٥٦، تاريخ ابن الصغير ص٣٦ سير الشماخي ص.ص١٤٦– ١٥٤ محمد علي دبوز تاريخ المغرب الكبير ج٣، ص٤٧٤و ٤٧٨.

(٢) ٧٨) الدرجيني طبقات المشائخ ج١، ص٤٩ وفي رواية أبي زكريا بلفظ (...فالامامة صحيحة والشرط باطل فلو صح في الامامة شرط لما قام الله حق ولا قيم حد ولتعطلت الحدود وبطلت الأحكام ولضاع الحق) ص٩١.

(١٩٢/١)

حيث أن الإمام في نظر الاباضية شخص كسائر المسلمين لا يختلف عنهم في شيء سوى أنه مكلف بمهام رئاسة الدولة ،وهذا منصب لم يعهد إليه إلا على شروط عاهد على السير وفقها يوم

تعيينه ،فإن ظهر أنه حاد عنها ولم يطبق الأحكام الشرعية وغير السنة وحكم بالهوى وعطل الحدود واعتدى فيها وأحل مال الله وجعله دولة بين الأغنياء وأخذ بالذنب من لا ذنب له ورغب عن سبيل أئمة الهدى وفسق عن أمر ربه فإن إطاعته معصية لربه ،ومعصيته هدي ذلك بأن الله يقول : { وجعلنا منهم أئمة يدعون إلى النار } (١)

فمن ضيع أمر الله بنقض ميثاقه استوجب بنقضه لعنة الله (٢) ومن لحقته لعنة الله لا يستحق الإمامة وإن وليها يعزل عنها ،وهو في براءة الله ورسوله والمسلمين ،.

يقول الشيخ أطفيش مبينا رأي الاباضية في علاقة المسلم بالإمام الجائر :

---

(١) ٧٩) القصص ٤١ .

(٢) ٨٠) الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم في رسالة له الى أهل طرابلس ذكرها بواب بن سلام في شرائع الدين (مخ) نسخة ش. ناصر المرموري ص:٢٩.

(١٩٣/١)

"من علم بجور إمام تبرأ منه وممن تبعه إلى جوره "(١) لكنه يستثني من هم تحت لوائه إذا أكرهوا (الجواز القعود تحت الجائر (٢) المخالف والموافق مطلقا (٣) إذن فعقد الإمامة عند الاباضية قابل للفسخ وإذا فسخ بطلت ولا تبطل الإمامة إلا بحدث في الإمام "بعد الأعذار والإنذار وتمادي المحدث على الإصرار والاستكبار فحينئذ يجب القيام عليه ،وابطال ما صار من أمر المسلمين إليه "(٤). ويستدل الاباضية على جواز عزل الامام بنصوص عديدة منها قوله صلى الله عليه وسلم سيكون بعدي خلفاء لا يعملون بما يعلمون ولا يفعلون بما يؤمرون فمن أنكر عليهم نجا ومن اعتزلهم سلم ومن كان معهم فهو منهم"(٥).

---

(١) ٨١) محمد اطفيش الذهب الخالص ص٤٦ .

(٢) ٨٢) جواز القعود تحت الجائز من باب جواز التقية: "يجوز ان تستسلم لجميع أحكامهم عليكم ما لم تكن بدعة" اما ما يتعلق بلاموال فيقول: ان جميع ما يلزمك من حقوق الله عز وجل ان طلبها منك الملوك فواسع لك ان تدفع اليهم كل ما كان ظاهرا كالحليب والتمر والأنعام اما ما كان باطنا كالذهب فلا "(الدليل والبرهان ج ٣ ص ٦٦) ٠

(٣) ٨٣) ش٠ أطفيش ، الذهب، الخالص، ص:٤٦ ٠

(٤) ٨٤) من جواب المشارقة الى اباضية المغرب في عهد الامام عبد الوهاب ،الدريجينى طبقات المشائخ بالمغرب ج١ ص: ٥٠ ،انضركذلك،كتاب سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكريا (تح) اسما عيل العربي دار الغرب الاسلامي، ط٢، ١٩٨٢، ص:٩٢.

(٥) ٨٥) عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم رسالته الى أهل طرابلس، ضمن كتاب شرائع الدين لابن سلام (مخ) ص:٢٩، لم يذكر الامام سند الحديث.

(١٩٤/١)

ومن الأحاديث التي يستدل بها ش. أطفيش حديث رواه أبو أمامه عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال: " إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له أنت ظالم فقد تودع منهم "(١) وفي حديث آخر عن عميرة قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله بعذاب منه "(٢). وقد يرى الاباضية جواز عزل الامام من باب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعملا بقوله صلي الله عليه وسلم " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك اضعف الايمان "(٣).

وبعد ان عرفنا موقف الاباضية القاضي بجواز عزل الامام نلحض فيما يلي أهم الأسباب التي توجب عزل الامام .

أ–الردة، وهي انكار ركن من أركان الاسلام، أو أن يرتكب الامام ما يوجب إقامة الحد عليه، كترك الصلاة، أو شرب الخمر أو الزنا ...أو اختلاس أموال الناس بالباطل(٤)، ويحسن في هذه الحالة أن يسبق عزل الامام تحذيره ونصحه وإرشاده، فإن تاب واستقام فهو في ولايته وأن أبى وتمادى وجب عزله وتغييره.

---

(١) ٨٦) رواة احمد والطبرانى والحاكم واليهقى في شعبة ، محمد اطفيش جامع الشمل فى حديث خير الرسل،ص٢٣٥٠

(٢) ٨٧) رواة ابو داود والترمزى وابن ماجد ،محمد اطفيش ، جامع الشمل فى حديث خير الرسل ،ص٢٣٥ ،

(٣) ٨٨) عز الدين بليق ،منهاج الصالحين ،،ص : ٤١٠ ، الحديث رواة مسلم عن آبي سعيد الخدرى،

(٤) ٨٩) محمد الشيخ بالحاج أستاذ بمعهد الحياة–القرارة ولاية غرداية فى مقابلة شخصية،

(١٩٥/١)

ب– موجبات خلقية حادثة، لا يملك الامام ردها، ومنها زوال العقل، أو الإصابة بالصمم والبكم، أو المرض إذا كان مزمنا بحيث يمنعه على أداء واجباته، وفي هذه الحالة قولان: الأول لا تعقد الامامة لغيره حتى يموت، تسقط إمامته لعدم قدرته على العمل وفقده للكفاءة التي من أجلها عقدة له البيعة"(١) ولعل القول الوسط أن يرجع الأمر إلى الامام نفسه فيستشار في إمكانية نصب غيره أو عدمه، فإن رأى الامام بقاءه في السلطة بحيث لا يترتب عن ذلك اضطراب في شؤون الحكم وكان له وزيرا مؤهلا يقوم مقامه ويساعده الأعوان ومجلس الشورى فذلك جائز أما أن رضي الامام بالتخلي عن منصبه لغيره عن طواعية فذلك احسن .

هذا إذا كانت الدولة تحت حكم الاباضية، أما إذا كان الأمر من غير الاباضية وأحدث ما يوجب عزله، استدرجه الاباضية باللطف واجتهدوا في إرشاده ونصحه بالتي هي احسن، فإن أبي حاولوا عزله، وإن رأوا عزله يؤدي الى فتنة تحملوا أخف الضررين وهو إبقاؤه في الحكم وطاعته مالم يأمر بمعصية الخالق(٢). ويوافق هذا الرأي ما ذهب إليه الأشاعرة وأهل السنة .

يقول ش. محمد ابو زهرة (معاصر):" ان المختار للخلافة النبوية إذا فسق خرجت خلافته عن معنى الخلافة النبوية وصارت خلافته ملكا عضوضا ويستوي مع من لم يختر فلا يطاع في معصيته قط، لقوله صلى الله عليه وسلم:" على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"(٣)

هل يعزل الإمام نفسه؟

---

(١) ٩٠) ش • محمد اطفيش ترتيب موسى بن عامر(مخ) خزانة ش• بالحاج القرارة ، غيرمرقم•

(٢) ٩١) ش • سعيد التعاريتي،المسلك المحمود في معرفة الردود...... ص:٥٠ .

(٣) ٩٢) محمد ابو زهرة ن تاريخ المذاهب الاسلامية، ج١ ص.١٠٦ .

(١٩٦/١)

ومن المحتمل في مسالة عزل الامام، أن يتقدم هذا الأخير بطلب الاستقالة من منصبه بإرادة منه، لسبب أو لآخر فما هو رأى الاباضية في ذلك؟ الحقيقة أنني لم أقف على قول لأحد علماء الاباضية في هذا الموضوع ولا أضن القطب تعرض لهذه الحالة، ولكن يبدو أنه يجوز لإمام – ٩ذا

رأى عدم قدرته على تولي الإمامة كما يجب – أن يعرض موضوع استقالته على مجلس الشورى للبث فيها، وللمجلس أن يرفض استقالة الإمام ان لم تكن أعذاره كافية لذلك. وتذكر المصادر الاباضية أن الإمام أبا حاتم الملزوزي(١) غضب مرة على أتباعه لما أحدثوا من سلب لقتلاهم قال:" والآن أما رددتم الأسلاب واما اعتزلت أموركم وتركت الولاية ..."(٢) فأقل ما يقال في عزل الامام لنفسه أنه من المسكوت عنه لدى الإباضية. فمتى كان لا بد منه جاز والا عدمه أحسن .

رابعا: هل يجوز الخروج على السلطان الجائر؟

---

(١) ٩٣) عين إماما للدفاع سنة ١٤٥ هـ واستطاع ان يتزعم ويجمع حولة كل قوى من الخوارج حتى سنة١٥٥ هـ السنة التي قتل فيها ابو حاتم بمكان يدعى (جنبى) وذلك من طرف جنود يزيد بن حاتم ، انضر . تاريخ ابن الصغير عن أئمة تاهرت الرستميين ، مقال ل موتيلانسكى ، تر .د. محمد ناصر ،تاريخ ابن الصغير ص:١٩ .

(٢) ٩٤) الدرجينى ،طبقات المشائخ بالمغرب ، ج ١ ص :٣٨.

(١٩٧/١)

من السلطان الجائر– أولا– في نظر الاباضية؟ يصف ش. علي يحيى معمر رجال السياسة في الدولة الجائرة بأنهم "لا يرضيهم العدل في دولتهم ولا حتى ان يقوم بدولة بجانبهم لأن الحكم العادل كفيل بأن يكشف للناس مساوئ حكمهم وأن يطلق ألسنتهم بالنقد وربما بالنقمة ثم الثورة"(١) ولذلك يسلكون طريق الظلم والقهر ولا يهمهم سوى الزعامة والهيمنة على كل حركة مناوبة لهم باستخدام "كل أنواع الحرب من كيد ودعاية كاذبة وتشويه للحقائق.... وتعذيب وضرب بالسيف ان اقتضى الأمر"(٢) وفي الغالب يكون الحاكم الجائر قد وصل الى السلطة بالقوة والغلبة يسميه ش.اطفيش: "السلطان المتسلط لأنه يأخذ بلا حق ويعطي بلا حق"(٣) ومن طبائع السلاطين الجورة ميلهم الى الترف والإسراف في امتلاك والقصور "ويستخدمون لبناء ذلك العامة"(٤) من الناس.

أما سيرتهم في إنفاذ الأحكام فغير محمودة وكيف يعاف شارب الخمر سلطان لا يصحو من سكرته الا نادرا، أو يقيم حد الزنا من لا يتورع من مخالطة النساء...؟

---

(١) ٩٥) على يحي معمر الاباضية بين الفرق الاسلامية ، ص:٢٩٣ .

(٢) ٩٦) م.س.ص:٢٩٣ .
(٣) ٩٧) ش.محمد اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ،ص:٤٢٧ .
(٤) ٩٨) إبراهيم الوارجلاني: الدليل والبرهان ج٣، ص٦٦

(١٩٨/١)

اذا كان جور السلطان على هذا النحو فما موقف الاباضية منه يقول أبو الحسن الأشعري(ت ٣٢٤هـ أو ٣٣٠هـ): "الاباضية لا ترى اعتراض الناس بالسيف– خلافا للخوارج– لكنهم يرون إزالة أئمة الجور ومنعهم من ان يكونوا أئمة بأي شيء قدروا عليه"(١). لكن اذا رجعنا الى المصادر الاباضية وجدنا رأيهم على الأمر لذلك ولا يترتب عنه فتنة أشد من بقائه مع حوره فإن مسألة الخروج أمر آخر. فيمكننا القول– بدون تحفظ– أن الاباضية يجمعون على عدم وجوب الخروج على السلطان. أما جواز ذلك ففيه أقوال قد تختلف الظروف والأحوال وبالتالي يختلف موقف الاباضية من السلطان الجائر بين ظرف وآخر، خاصة اذا علمنا ان الفكر السياسي والاجتماعي لدى الاباضية يقوم على مبدأ الاعتدال واللجوء الى الموقف الذي لا ينتج عنه هلاك والتسامح اذا اشتد الأمر وتأزم الوضع، وقد يتصف أحيانا بالقوة والصرامة والاستماتة أما الحق اذا سمح الحال بذلك.

من هذا المنطلق نفسر رأي الاباضية في الخروج عن السلطان الجائر بتا رجح بين الجواز وعدمه. أما وجوب الخروج فلم يقل به أباضي بل نجد ش. أطفيش يرد بشدة على من يتهم الاباضية بالقول بوجوب الخروج على رأي الخوارج فيقول في المذهب الخالص مثلا:" نحن لا نقول بالخروج عن سلاطين الجور الموحدين"(٢) ومن نسب إلينا وجوب الخروج فقد جهل مذهبنا "(٣)

---

(١) ٩٩) أبو الحسن الأشعري مقالات الإسلاميين ج١، ص١٨٩.
(٢) ١٠٠ نلاحظ هنا ان القطب يحصر عدم الخروج على الأئمة الموحدين. أما المشركون ويدخل في حكم ذلك مظاهر الاستعمار المعاصر فيوجب الخروج عنهم.
(٣) ١٠١ محمد اطفيش الرد على الشيخ محمد كامل الطرابلسي (مخ).

(١٩٩/١)

والموقف المعتدل حسبما يراه القطب أن يكتفي الاباضية باعلان البراءة من الامام الجائر وكذا من تبعه في جوره مع ولاية كل من كان تحت لوائه لجواز القعود تحت" الجائر المخالف والموافق مطلقا"(١). هذا رأي الاباضية في علاقتهم بالحاكم الجائر وهو ما أكده ش.علي يعي معمر في قوله:" إذا ابتليت الامة بان كان حاكمها ظالما فان الاباضية لا يرون وجوب الخروج عليه لاسيما إذا خيف أن يؤدي ذلك إلى فتنة وفساد أو يترتب على الخروج ضرر أكب مما هم فيه"(٢).

ومما يؤكد مذهب الاباضية في عدم الخروج ما ذكر عن عبدالله بن اباض انه عندما اجتمع واصحابه عازمين الخروج وفيهم نافع بن الأزرق ووجوه المسلمين سمع في جوف الليل دوي القراء وترنين المؤذنين وحنين المسبحين فقال لأصحابه أعن هؤلاء أخرج معكم؟ فرجع وكتم أمره واختفى(٣) حتى وان كانت مناسبة هذه الحادثة في غير الخروج عن السلطان الجائر فإننا نستفيد منها موقف ابن اباض الرافض مبدأ الخروج ومما يثبت عدم التجائه للخروج انه لم يرد عنه تنظيم حملة للخروج على حليفة عصره بل كانت هناك علاقة طيبة مدعمة بمراسلات تربط بينه وبين الخليفة عبد الملك بن مروان.

---

(١) ١٠٢ محمد أطفيش الذهب الخالص، ص٤٦.

(٢) ١٠٣ علي يحيى معمر الاباضية بين الفرق الاسلامية ص٢٩٠.

(٣) ١٠٤ أبو القاسم البرادي الجواهر المنتقاة الوارجلاني الدليل والبرهان.

(٢٠٠/١)

هذا عن عدم وجوب الخروج أما عن جوازه فنسجل رأى الاباضية من خلال موقف الوارجلاني حيث يقول:" إن مذهب أهل الدعوة في الخروج على الملوك الظلمة والسلاطين الجورة جائز"(١) ونجد الرأي نفسه عند ش. علي يحي معمر(٢) وهو رأي وسط بين موقف الأشاعرة والسنية القائل بمنع الخروج على السلاطين الجور ولا يحل قتالهم بل التسليم لهم على ظلمهم أولى(٣) الخوارج القائل بوجوب الخروج على سلاطين الجور مهما تكلف الأمر.

والواقع أن جواز الخروج عند الاباضية مشروط بأمور عديدة أهمها الاستطاعة، وعدم الوقوع في التهلكة بسبب الخروج، ولتحديد ذلك يقول ش. علي يحي معمر: " لا ينبغي هدم حكم قائم الا إذا تأكدت الاستطاعة للقيام بحكم خير منه دون حدوث ما يخشى على المسلمين أو يلحق بهم أضرار تفوق ما هم عليه من أضرار(٤)، أما إذا أمن المسلمون من هذه المآخذ فاقدامهم على تغير

المنكر جائز الاستيلاء على مدينة طرابلس والإطاحة بحاكمها وتولى زمام الأمور خلفا له. ذلك بحركة منظمة مخطط لها فلم تقم حرب ولم يهرق دم(٥).

---

(١) ١٠٥) أبو يعقوب الوارجلاني الدليل والبرهان ج٣، ص٦٤.

(٢) ١٠٦) علي يحيى معمر الاباضية بين الفرق ص٢٩٠.

(٣) ١٠٧) الوارجلاني الدليل والبرهان ج٣، ص٦٤.

(٤) ١٠٨) علي يحيى معمر الاباضية بين الفرق ص٢٩٠.

(٥) ١٠٩) أنظر قصة ولاية أبي القحطان في تاريخ أبي زكريا ص.٥٧ طبقات الدرجيني ج١، ص٢١.

هذا رأي الاباضية في موقفهم أمام السلطان الجائر مجمعون عليه إذا استثنينا ش. سالم السيابي (عماني معاصر) الذي يتحمس للخروج على السلاطين والملوك وصراعهم بقصد حملهم على المنهج الشرعي الذي أوجب السير عليه، ويحرض على ارتكاب الأخطار لمقاتلة الملوك الجورة حتى يرجعوا الى الحق(١)، فيتحامل ش. السالمي على القائلين بعدم جواز الخروج المتمسكين بالصبر فيقول: " فعلى الأقل أين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو كما ثبت اجماعاً أنه اليد أولاً وهل اليد إلا العصا ثم السيف؟، وكيف لا يجوز الخروج عليهم وهم يفسدون في الدين ويبدلون حكم الله بحكم القوانين وهذا هو الكفر والواضح"(٢).

خامسا: موقف الأمة من الإمام العادل

حيث أننا تعرضنا لموقف الاباضية من الامام اذا جار أو السلطان إذا طغى وتجبر. فإنه يجدر بنا كذلك عرض موقفهم من الامام العادل. فأول ما يجب على الرعية طاعته والاخلاص في الانقياد له ولا ينبغي ان يطيعوه، خوفا منه أو تقريبا له وانما لكون طاعته واجبة من الله على الرعية. وقد وردت نصوص عديدة تصرح بوجوب طاعة أولي الأمر، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم " ان أمر عليكم عبد حبشي مجذوع الأنف وأقام فيكم كتاب الله وسنتي فاسمعوا له وأطيعوا"(٣).

---

(١) ١١٠) سالم السيابي إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء ص٧٨.

(٢) ١١١) م.س، ص:٧٩.

(٣) ١١٢ يعلق أبو إسحاق إبراهيم اطفيش على هذا الحديث بقوله: " انما أمر نبينا صلى الله عليه وسلم بطاعة العبد على سبيل المثل في وجوب الطاعة وإلا فالعبد لا تجوز إمامته للصلاة فكيف بأمر المسلمين وهذا رد لمن زعم ان الامامة الا في قريش انظر في هامش كتاب الوضع لأبي زكريا يحيى بن أبي الخير ص٢٣ وروى الحديث الامام الربيع بن حبيب في مسند عن جابر عن ابن عباس بلفظ " ان أمر عليكم عبد حبشي مجدوع الأنف فاسمعوا وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله" راجع الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب ط٢ عام ١٣٨٨هـ، ج٣، ص٢١١

(٢٠٢/١)

أما العصيان والتمرد على الامام فحرام قطعا، يقول أ.كبيرلي نقلا عن الاباضية: " والتمرد على الامام من ابشع الجرائم بل يجب على العكس مساندته ضد أعدائه"(١) فالثورة على الامام العادل منكرة عند الاباضية(٢) وكل عمل يؤدي الى إحداث شغب وتشويش في الدولة ممنوع يجب إيقاف صاحبه وتأديبه، ومن الأحاديث الواردة في هذا الشأن قوله صلى الله عليه وسلم :" من كره من أميره شيئا فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية"(٣).

وقوله صلى الله عليه وسلم: " من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية"(٤). وهكذا يوجب الشرع طاعة أولي الأمر بل ويقرنها بطاعة الله ورسوله. يقول صلى الله عليه وسلم: " من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني"(٥) وهذا تأكيد لقوله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم... } (٦) الآية.

---

(١) ١١٣) Pierre Cuperly, Introduction a I, etude de I, Ibadisme ..p.292.

(٢) ١١٤) فاروق عمر التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين ط٢ دار اقرأ بيروت لبنان ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م ص٥٦ نقلا عن أبي المؤثر الأحداث والصفات (مخ) بدار الكتب المصرية القاهرة ورقة ٤ و ٥.

(٣) ١١٥) متفق عليه، عن ابن عباس ذكر أ.عز الدين بليق في منهاج الصالحين من أحاديث سنة خاتم الأنبياء والمرسلين. دار الفتح بيروت ١٩٧٨ ص٤٦٦.

(٤) ١١٦) م.س.ص٤٦٦ رواه مسلم عن ابن عمر (رضي).

(٥) ١١٧) م.س.ص٤٦٦ عن أبي هريرة (رضي) متفق عليه.
(٦) ١١٨) النساء ٥٩

وإذا ظهر من الامام نقصا وتهاونا أو إهمالا بواجب من واجباته كان لا بد من الرعية والخاصة بصفة أولى نصحه وتحذيره وتنبيه قال صلى الله عليه وسلم: " الدين النصيحة" ولما سأله الصحابة لمن النصيحة قال: "لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"(١). والواقع ان نصح الامام وارشاده وتحذيره واجب حتى في حالة جوره فكيف اذا عدل وأخطأ؟ قال صلى الله عليه وسلم: " أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر"(٢).

وانما المطلوب في النصيحة أن تكون بلطف ورفق تأدبا بمقام الامام حتى لا تجرح كرامته، كما انه ينبغي للإمام ان يقبل النصيحة ممن جاءت ولا يترفع عن قبول الحق اذا ظهر.

سادسا:مسؤوليات الإمام وواجباته

اذا انتخب الامام وتمت له البيعة الشرعية أصبح هو المسؤول الأول في الدولة، وتمتع بصلاحيات مطلقة في حدود الشرع فله ان يحكم بما يراه صوابا، ويجتهد في إقامة العدل بين الناس واعطاء كل ذي حق حقه، ويحسن له في ذلك ان يستعين بمجلس الشورى أو بوزير، ولكن اعتماده على المستشارين والوزراء لا يرفع عنه المسؤولية. لأن الامام الاباضي لا يتمتع "بحصانة معينة فهو مسؤول عن إجراءاته والقرارات التي يتخذها"(٣) وبالتالي فانه يتحمل كل تبعية ناتجة عن تصرفاته أو قراراته الغير شرعية، وهو بذلك لا يختلف عن غيره من أفراد رعيته، فان أمر الامام بإقامة الحد على أحد من غير استحقاق وأدى ذلك الى موته وجب "على الامام دفع الدية من ماله الخاص"(٤) وهذا خلافا للقائلين بعصمة الامام من الشيعة.

---

(١) ١١٩) عز الدين بليق منهاج الصالحين ص٤١٠ رواه مسلم عن أبي رقية تميم بن أوس.
(٢) ١٢٠) م.س، ص:٤١٢ رواه أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري(رضي).
(٣) ١٢١) عمر فاروق، التاريخ الاسلامي ص٥٨.
(٤) ١٢٢) م.س، ص:٥٨ نقلا عن الصائفي كنز الأديب وسلافة اللبيب (مخ) ورقة ٨٤أ

أما مهام الامام وواجباته فكثيرة ومختلفة، خاصة اذا اتسعت رقعة حوزته ودخلت تحت لوائه أمم عديدة وشملت دولته أقطارا كثيرة ويمكن جمع أهم واجبات الامام في الميادين الآتية: الأمن، الإدارة، الدعوة، الاقتصاد، الاجتهاد. ففي هذه الميادين يكون مدار نشاط الامام وله في كل منها مسؤوليات محددة وفيما يلي بيان ذلك.

أ–المسؤوليات الأمنية

من أول مهام الامام في مرحلة الظهور السهر على توفير الأمن لشعبه وحماية الدولة من كل مكروه، ولذلك يعتبر الامام الاباضي قائد الجيوش(١) مثل ما كان عليه الأئمة الرستميون، وقد ضرب الامام أفلح أروع مثال في القوة والشجاعة وكان عبد الوهاب في شبابه يقاتل وحده ما يقارب خمسمائة رجل(٢).

---

(١) (١٢٣ **Angel Gerrard, I, Imamat Ibadite de Tahert, p.p. 107- 108**.

(٢) (١٢٤) م.س نفس الصفحة، نقلا عن سير أبي زكريا ص:١٤٢.

(٢٠٥/١)

ومن متطلبات الأمن ان يمنع الامام رعيته من استعمال السلاح بل عليه "أن يحظر حمل السلاح"(١) اذا خيف منهم البطش والهلاك كما يدخل ضمن الاحتياطات الأمنية مراقبة مداخل ومخارج المدينة وبقيم الحراسة على الأبواب وعند اقتضاء الحاجة يراقب حدود الدولة فيمنع الخارج من البلد والداخل فيه لمن لا يرغب فيه، ولكن تبقى حرية التنقل والحركة مكفولة فالسفر مباح من حيث المبدأ "فلا يجوز حجره ولا منعه على أحد الا ان يكون سفره في معصية فمنعه يكون على وجه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"(٢) وقد يكون السفر والارتحال واجبا فيأمر به الامام لأسباب أمنية خالصة مثل ما فعله يعقوب بن أفلح(٣) حين أمر السكان بالهروب الى وارجلان عند سقوط تيهرت(٤).

ومن المسؤوليات الأمنية ان يعاقب الامام كل محارب(٥) ظهر في البلد لقوله تعالى:

{ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم } (٦).

(١) ١٢٥) عمر فاروق، التاريخ الاسلامي ص٦٠.

(٢) ١٢٦)

(٣) ١٢٧) آخر الأئمة الرستميين وهناك من المؤرخين من لا يعتبره إماما من الأئمة الرستميين رغم تولية الامامة لأربع سنوات ثم عزل انظر تاريخه في أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير ص ٩٦و ١٠٠ سير أبي زكريا ص١٨٨.

(٤) ١٢٨) Dangel Gerrard, I ,Imamat Ibadite de Tahert, p.p 107- 108

(٥) ١٢٩) يعرف الوارجلاني المحارب بقوله: "كل من أخاف السبيل وأعلن الفساد في الأرض".

(٦) ١٣٠) المائدة الآية٣٣

(٢٠٦/١)

الا ان الوارجلاني يقول ان العلماء اختلفوا في ظاهر هذه الآية وباطنها ويعني بذلك أنهم لم يحددوا المسؤول على تنفيذ الأحكام الواردة فيها أهو الامام أم سائر المسلمين. فقال: " بعضهم الامام ولا ينفذه غيره كسائر الحدود وقال بعضهم ان حكم الله جائز لمن قدر على إنفاذه. وقال بعضهم أما القتل فجائز في الظهور(...) أما سوى ذلك فلا يجوز الا للإمام"(١)

ويدخل في حكم المحاربين كل من سعى في فتنة واحداث القلائل وأثار الشغب في المجتمع وروع الآمنين فعلى الامام ان يتصدى لهم ويقاتلهم " وأن كانت في تلك الفتنة والحكم فيهم ان تقتل تلك السلاطين وجميع جنودها وتعفي العامة ومن أجبروه على الدخول معهم في فتنتهم"(٢) إذن فتوفير الأمن في الدولة هو أهم شيء يعتني به الامام ويرى الوارجلاني ان الدفاع عن الوطن وقهر كل ظالم أراد الاعتداء عليه حق من حقوق الأرض التي يأكل الامام خراجها(٣)، إذ لا يستقيم أمر الدولة لم تضمن أمنها ولا استقرار أوضاعها.

ب– المسؤوليات الإدارية

على الامام ان يحسن اختيار العناصر ذات الكفاءة والمؤهلات العالية لمساعدته في إدارة شؤون الدولة، وعليه ان يقوم بتنصيب قضاته وعماله وباقي مستخدميه بنفسه، ولا يجوز للعامة أن يولوا على أنفسهم من يرغبون فيه دون إشراف الامام على ذلك مثل ما حدث في عهد الامام عبد الوهاب حيث " ائتمرت العامة من الناس ان يولوا على أنفسهم خلف بن السمح"(٤) وظنوا ان

ذلك أوفق لأمير المسلمين..." ولما بلغ ذلك الى الامام كتب إليهم معاتبا وأبطل ما قدموا عليه(٥).

---

(١) ١٣١) الوارجلاني الدليل والبرهان ج٣، ص:٥٨.

(٢) ١٣٢) م.س، ص: ٥٨.

(٣) ١٣٣) م.س، ص:٦٦

(٤) ١٣٤) هو خلف بن السمح بن عبد الأعلى وزير عبد الوهاب كان يقوم بالتدريس ويعقد الحلقات أنظر طبقات الدرجيني ج١، ص٦٧. سير الشماخي ص:١٦٣ الأزهار الرياضية ج٢، ص١٤٧.

(٥) ١٣٥) أبو زكريا سير الأئمة وأخبارهم، تح إسماعيل العربي ص: ١٩– ٢٠.

(٢٠٧/١)

فإذا عين الامام القضاة والولاة والقائمين بالحسبة والجباة وجب عليه متابعتهم ومراقبة أعمالهم ويتعهدهم بالعناية الكافية لإنجاز خدماتهم في أحسن وجه. ومن واجب الامام عزل الوالي الفاسد "اذا شكته الرعية ولا يكلفهم على ذلك بينة(...) بل يعزله ويولي غيره من أهل الأمانة والفضل"(١) ويذكر ابن الصغير ان قبائل مزاته وسدراته وغيرهم بعثوا جماعة الى الامام عبد الوهاب يشتكون من أحوالهم فقال قائلهم للإمام: "ان رعيتك قد ضجرت من قاضيك وصاحب بيت مالك والقائم بشرطتك فاعزلهم عنهم. وول عليهم خيارهم"(٢) فأثنى عليهم الامام وفوضهم لاختيار من يرونه صالحا(٣).

وكما يجب على الامام مراقبة عماله فكذلك يجب على الرعية بأن يتعاهدها ولا يغفل عنها وان لم يفعل فهو مقصر في حقهم.

ج– المسؤوليات الدينية

حيث ان الفكر السياسي عند الاباضية لا يفصل بين الدين والدولة فإن الامام لا ينبغي منه إهمال جانب على حساب الآخر، ومن أهم مسؤوليات الامام الدينية الدعوة الى دين الله ما أمكن، والحرص في خدمة الاسلام والتمسك بمبادئه والمحافظة على قيمه وتعاليمه.

---

(١) ١٣٦) عمر فاروق التاريخ الاسلامي، ص: ٥٩ نقلا عن الصائفي كنز الأديب ورقة ٨٤(.

(٢) ١٣٧) ابن الصغير أخبار الأئمة الرستميين تح د.محمد ناصر و إبراهيم بحاز ص٤٢.
(٣) ١٣٨) تشير المصادر الاباضية أن الامام رجع عن قوله بتغير عماله بعد أن أرشد خاصته وكان ذلك سببا لنقمة المشتكين عليه ومن ثم ظهرت فرقة النكار أنظر م.س، ص:٤٢و ٤٤.

(٢٠٨/١)

تنقسم الدعوة الى قسمين، دعوة داخلية، ودعوة خارجية، أما الداخلية فتتعلق برعاية المصالح الدينية للمواطنين ومنها إمامة الصلاة فإن تعذر على الامام الالتزام بها في سائر الصلوات فلا ينبغي على الأقل ان يتخلى عن إمامة صلاة الجمعة(١) كما يجب على الامام ان يجتهد في إرشاد الناس لمعرفة دينهم بالوعظ وعقد الحلقات وتعيين المشائخ للإفتاء والتدريس وتبليغ الدعوة ومن واجب الامام السعي في بناء المساجد وحمل الرعية على عمارتها.

واجب الامام مع أهل الخلاف:

تشمل الدعوة الداخلية للإمام نشاطه في استدراج المخالفين الى ترك ما به افترقوا "فإن أجابوا للدعوة واهتدوا صاروا إخواننا لهم ما لنا وعليهم ما علينا ووسعنا وإياهم العدل..."(٢)، أما ان اختاروا البقاء على مذهبهم وفضلوا " الانفراد ببلادهم وأجروا فيها أحكامهم تركناهم وذلك ما لم يكن ردا على آية محكمة أو سنة قائمة"(٣) ويعين الامام واحدا منهم يقوم بواجب الحقوق عليهم، ولا يتركهم الامام يظهرون منكرا ولا أن يحدثوا ما لم يكن الا ان يكون أمرا لا مكروه تحته(٤)، ويجب في كل ذلك ان يعترفوا بالسيادة للإمام فيأتمروا بأوامره وينتهوا بنواهيه.

---

(١) ١٣٩) **Dangel Gerard, I, Imamat Ibadite. P.107. Dangel**.
(٢) ١٤٠) الوارجلاني الدليل والبرهان ج٣، ص:٥٤.
(٣) ١٤١) م.س، ص٥٤.
(٤) ١٤٢) م.س، ص٥٤.

(٢٠٩/١)

أما الدعوة الخارجية فيتركز نشاط الامام على دعوة أمراء أهل الكتاب واليهود والنصارى والصابئين مطلقا وعبدة الأصنام وجاحدي الله...يدعو هؤلاء جميعا الى الاسلام "فإن قاتلهم وسباهم وغنمهم"(١) ويفرض عليهم الامام جزية يدفعونها ما دام الامام قادرا على منع الظلم عنهم، فإذا

جمع مالا أعطى فقراء أهل الجزية منها، وفقراء أهل الزكاة منها ولو مخالفين"(٢) ولا يأخذ الجزية غير الامام وإلا لم يعامل فيها أو يأخذها كل من منع الظلم عنهم"(٣) ،هذا رأي القطب في واجب الامام على أهل الكتاب. أما ش.أبو زكريا لا يرى قبول الجزية منهم ويحل سبيهم وغنيمة أموالهم وسفك دمائهم ما داموا على شركهم(٤). أما اذا استجابوا للدعوة ودخلوا في الاسلام فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين.

د- المسؤوليات الاقتصادية

يدخل في الميدان الاقتصادي كل ما له علاقة بتنمية الموارد المالية في الدولة من زراعة وتجارة وصناعة، وجمع الزكاة وجبي الخراجات، وغنائم الحروب، وما يجمع الجزية، وغير ذلك. وجميعها تقع تحت تصرف الامام فيتولاها بنفسه مباشرة أو يعين من يقوم بأعبائها.

الزراعة والتجارة والخدمات الحرفية يجب أن تخضع لنظام عام تحت إشراف الامام لا ينبغي لأصحاب هذه الصنائع أن يحيدوا عنه والا تعرضوا للعقوبات(٥) وعادة ما يتولى الإشراف على مراقبة هذه البضائع رجل يعينه الامام يدعو المحتسب وقد يستعين هذا بأعوان.

---

(١) ١٤٣) محمد أطفيش الذهب الخالص ص٧٠.

(٢) ١٤٤) م.س، ص٧٢.

(٣) ١٤٥) م.س، ص٧٢.

(٤) ١٤٦) أبو زكريا يحيى بن أبي الخير الوضع ص٢٠.

(٥) ١٤٧) أنظر نظام الحسبة ومراقبة الأسواق في الفصل التالي.

أما الزكاة فيضع القطب نظاما لها ويترك للإمام حرية التصرف فيه بالزيادة والنقصان حسبما تقتضيه الظروف. فبعد أن يجمع عمال الامام الزكاة المفروضة، يقسمها الامام ثلاثة أسهم فيعطي كل بلدة ثلث زكاتها. وقد يعطي لها النصف ان رأى ذلك، وتوزع الزكاة بين أهل البلدة جميعاً " ولو مخالفين أما الباقي فيرفعه لمصالح الإسلام وأن يرى الامام ضرورة رفع الزكاة كلها لموجب أو تفريق زكاة البلد كلها فيها جاز له"(١) ومن موجبات رفع الزكاة كلها ان يحتاج الامام إلى مال لتجهيز الجيش للجهاد، أو جمعه لتبرع به لصالح فقراء بلد مسلم محتاج. وقد يكون الموجب اكتفاء سكان البلدة مادياً بحيث لا يحتاجون إلى مال وفير.

ويبين ش. أطفيش طريقة توزيع المال على المحتاجين فيقول:" يعطى الفقير مؤونة سنة ودينه وما يتزوج به أن ويعتبر فيها الأفضل فالفاضل والمحتاج وذو السن والضعف"(٢) وغالبا ما تقدر المؤونة التي تكفي للسنة فتعطى للمحتاج أما إذا كان ذا عيال فيزداد له قيمة خادم أو ما يصير به غنياً، وتصرف الزكاة في غير ما تقدم على النحو التالي: (٣).

* ابن السبيل: يعطى له – إن كان غنياً – ما يوصله إلى غايته.

* الغازي: وهو في حكم المسافر في مهمة يعطى له ما يكفيه ذهاباً ورجوعاً أو ثمن مؤونة عام .

* الامام: يأخذ الزكاة – ان احتاج – مؤونة عام.

---

(١) ١٤٨) محمد اطفيش: الذهب الخالص ص.٢٣٤

(٢) ١٤٩) م.س، ص٢٣٤

(٣) ١٥٠) م.س، ص٢٣٤.

(٢١١/١)

وينبغي للإمام أن يحصي مدا خيل الدولة المالية من الزكاة والضرائب والرسوم ومال الجزية وخراج الأرض " والكفارات، والأموال الموقفات واللقطات.. والوصايا المعينات والؤبدات وغير المربدات كالوصايا للمساجد والسداد، والطرق المسبلة، وقبض الديات من قاتل العمد والخطأ الذي لا ولى له من القتلى وكذلك فطرة الأبدان" (١). وبعد إحصاء هذه المداخيل يشرع الامام في توزيعها بين المستحقين من الرعية. وبالقسط والعدل وفق مبادئ الشريعة. وله أن يستثمر منها لصالح الدولة . وحيث أن الامام الاباضي يعتبر أمينا عاما على بيت مال المسلمين فإنه المسؤول الأول على أملاك الدولة ويتحمل كل المسؤوليات المالية. على أنه من الممكن أن يعين وزيرا ليعينه في مهام المالية وينوبه عند الحاجة كما يجوز له تعين العمال والجباة لجمع الزكاة " وينبغي أن يكون جابي الزكاة بمنزلة الامام في زوال العاهات وصحة الأمانات لأنه علم من أعلامه وشعبه من أحكامه(٢). وهنا يؤكد الاباضية على ضرورة الالتزام بالعدالة في عملية جمع الزكاة ولذلك يتعين على الامام أن يختار الرجل المؤهل للقيام بهذه المهمة.

ومن مهام الامام الاعتناء بالأوقاف والحبوس (٣) فلأنها ملك للمسلمين جميعاً وعادة ما يكلف الامام وكيلا لكل مسجد يهتم بشؤون أوقافه وحبوسه.

هـ- المسؤوليات الاجتماعية

(١) ١٥١) عمر فاروق، التاريخ الاسلامي، ص٦٠ نقلا عن الصائفي دون ذكر رقم الورقة.
(٢) ١٥٢) م.س، ص: ٦٠، نقلا عن الصائفي ورقة ٨٨ أ.
(٣) ١٥٣) Marcel Mercier, Etude sur Ie Waqf Abadite, et ses application au M, Zab imp: Jules Carbonel, Alger, 1927.

(٢١٢/١)

إلى جانب ما تقدم من مهام الامام ومسؤولياته يجب عليه كذلك أن يهتم بمصالح المسلمين الاجتماعية وأن يتعاهد رعيته بالعناية اللازمة، ولا يغفل عنهم في شيء من شؤونهم الاجتماعية وأهمها العناية بالأيتام والأرامل والشيوخ وأبناء السبيل، وإكرام الضيوف، وعلى الامام أن يتأدب للرعية " ويتفقد أحوالهم بلا حيف على أحد وأن يعود مرضاهم ويشهد جنائزهم ويفتح لهم بابه ويباشر أمرهم بنفسه"(١) فلا يجوز له أن يحتجب عن الشعب الا في أوقات الضرورة. لقوله صلي الله عليه وسلم " من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم ... حجبه الله عن حاجته يوم القيامة .

ومن أهم حقوق المواطنين التي يجب على الامام مراعاتها، تأمين الحرية الإنسانية لأنها من أسمى المبادئ التي قررتها الشريعة الاسلامية فعلى الامام بالخصوص أن يكفل حرية التفكير وحرية الاعتقاد وحرية التنقل وغيرها لكن في الحدود التي يتعدى الواحد حدود حريته على حساب حقوق الآخرين وأي قيد يفرضه الامام على رعيته في هذه الحريات بعتبر مساسا بالكرامة الإنسانية التي أوصي الله على حمايتها قال تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم ...) (٢)

الفصل الرابع

أعوان الامام

أولا: مجلس الشورى

ثانيا: الوزير

ثالثا: القاضي

رابعا :الولاة

خامسا: الحسبة والشرطة

سادسا: الجيش

(١) ١٥٤) عمر فاروق، التاريخ الاسلامي نقلا عن الصائفي(نز الأديب ورقة ٨٤ ب......
(٢) ١٥٥) الاسراء الآية: ٧٠.

(٢١٣/١)

لا يختلف جهاز الحكم في الدولة الاباضية كثيرا عن الأجهزة الأخرى في الدول الاسلامية من حيث الشكل، حيث نجد– تقريبا– في كل دولة حاكما هو المسؤول الأول– قد يكون إماما أو خليفة أو ملكا أو سلطانا أو أميرا– والى جانبه أعوان "يمثلون الحكومة يساعدون الحاكم في تسيير شؤون الدولة وهم في الغالب : الوزراء والعمال والولاة والقضاة والجباة وقواد الجيوش وصاحب بيت المال وصاحب الشرطة والمحتسب وغيرهم(١)، وقد تختلف التسميات والألقاب بين حكومة وأخرى الا ان المناصب المذكورة تبقى هي عمدة السلطة وصاحبة الحق في تدبير شؤون الرعية هذا من حيث الشكل.

أما نوع النظام فلا يخلو من تفاوت واختلاف بين دولة وأخرى ففي الحين الذي يقوم فيه النظام الملكي على الوراثة وولاية العهد حيث يشترط في الامام الأبوة(٢) لتولية السلطة، نجد شرط الكفاءة في النظام الديموقراطي هو أول شرط ينظر إليه في تعين الامام.

(١) ١) يضيف ابن أبي الربيع: كتاب عارف ،حاجب عاقل، حاكم عادل، حكيم مجرب، جليس صالح، صاحب الطعام والشراب، انظر كتابه سلوك الممالك في تدبير الممالك.
(٢) ٢) وهو ان يكون من أهل بيت الملك انظر ابن أبي الربيع المسالك..تح ناجي التريكي ص١٧٦.

(٢١٤/١)

من هنا نلاحظ أن مؤسسات السلطة في الدولة الاباضية وان اتفقت مع مثيلاتها في الدول الأخرى الا أنها أقيمت أساسا لتجسيد مبدأ الديموقراطية وتطبيق هذا المبدأ من خلال ممارسة السلطة في الحياة اليومية فلنأخذ– مثلا– الوزير يراه ابن أبي الربيع(ق ٣هـ/٩م) " شريكا في الملك"(١) مع الملك دون غيره حتى ان الملك " لا يشاور أحدا دونه ولا يقدم أحدا عليه"(٢) وبهذا يصبح الحكم حكرا على فرد واحد في شخص الملك والوزير لأنه في حكم الملك، وهكذا اختار ابن

أبي الربيع الشكل (الموناركي) من أشكال الحكومات"(٣) أما الوزير في نظر ش.اطفيش لا يعدو كونه رجلا كسائر الرعية أوتي خبرة في تدبير شؤون الحكم فالتزم جانب الامام لمساعدته في مهامه فالوزير مستشار وليس مالكا.

نعود الى نظام الحكم في الدولة الاباضية الذي يتكون طاقم السلطة فيه من مجلس أعلى للشورى والوزير والولاة والقضاة والشرطة والجيش وفي حالات خاصة يتقلص جهاز الحكم لينحصر في الامام ومجلس الشورى فحسب وذلك ان كانت الدولة فتية حديثة النشأة قليلة العدد كما يمكن لجهاز السلطة ان يتسع ويكبر ليشمل العديد من المناصب حسب اقتضاء الحاجة فيزداد عدد الوزراء والولاة والقضاة وقواد الجيوش ويستعين هؤلاء بعمال وجباة وسعاة يعملون تحتهم وهذا في حال اتساع رقعة الدولة وازدهارها وارتفاع عدد سكانها.

وفيما يلي عرض لأهم المناصب الحكومية التي يستعين بها الامام في أداء مهامه.

أولا: مجلس الشورى

---

(١) ٣) م.س، ص١٩٣

(٢) ٤) م.س، ص١٩٣.

(٣) ٥) محمد جلال شرف، نشأة الفكر السياسي وتطوره في الاسلام، ص١٤٩.

من خلال مجلس الشورى يتجسد مبدأ ديموقراطية السلطة في نظام الحكم في الدولة الاباضية.

والمجلس هو أعلى هيئة سياسية في البلاد، "وهو ممثل الشعب"(١) لدى الحكومة. أما أعضاؤه "فجماعة من خيرة العلماء المجتهدين من أهل الخير والصلاح ممن يمتازون بالتضلع في العلم والتبريز في الدراية بشؤون الدين وأصوله العقائدية والفرعية"(٢).

وللمجلس صلاحيات واسعة لا يحق للشعب أن يتدخل فيها ومن أهم صلاحياته ما يلي(٣)

أ- التشريع الاجتهادي – في حدوده- وبهذا يكون المجلس هو المرجع الأول للإمام في المسائل الاجتهادية.

ب- اختيار الامام وتنصيبه، ثم مراقبته في تصرفاته وأعماله في تسييس الرعية وذلك في الاطار الديني.

جـ- الاهتمام بالمسائل السياسية والعلاقات الدولية(٤) ومساعدة الامام في معالجة المشاكل.

د- إصدار القرارات الهامة كإعلان الحرب أو الهدنة في السياسة الحربية واعلان التقشف وتحديد الميزانية في السياسة الاقتصادية وفي الغالب تصدر هذه القرارات عن الامام بعد استشارة المجلس.

هـ- الاتصال المباشر بالشعب قصد التعرف على أحواله ومشاكله ومطالبه(٥) ونظرا لذلك يحسن ان يتكون المجلس " من ممثلي الشعب بمختلف طبقاته وقبائله"(٦).

و- دراسة تقارير الولاة والقضاة والعمال، ورؤساء الشرطة وإصدار الأحكام المناسبة والفصل في النزاعات(٧).

ز- والمجلس هو الهيئة الوحيدة التي لها حق النظر "في قضية عزل الامام من دون تردد ان هو حاد عن طريق الحق(٨).

---

(١) (٦ انظر Dangel Gerrard, I ,Imamat Ibadite de Tahert, p.p 107

(٢) (٧) رشيد بوروبيه الجزائر في التاريخ ج٣، ص١٠٥

(٣) (٨ Dangel Gerrard, I ,Imamat Ibadite de Tahert, p.p 107

(٤) (٩) م.س، ص١٠٧.

(٥) (١٠) رسالة علماء جربة الى ش.إبراهيم أبو اليقظان أوردها في ملحق العزابة.

(٦) (١١ Dangel Gerrard, I ,Imamat Ibadite de Tahert, p.p 107

(٧) (١٢) م.س، ص١٠٧.

(٨) (١٣) رشيد بوروبيه الجزائر في التاريخ ج٣، ص١٠٥

(٢١٦/١)

ان وجود هذه الهيئة العليا في الدولة كقاعدة يرتكز عليها الحكم، ويعتمد عليها الامام في أداء مهامه السياسية وفي رعاية شؤون الامة يعني استبعاد كل أشكال الاستبداد بالرأي الواحد والتصرف وفق رغبات فرد واحد كما هو الشأن في الأنظمة الملكية، والدولة الاباضية حين تقيم على مبدأ الشورى انما ترمي بذلك تطبيق المبادئ الاسلامية والعمل بما جاء في القرآن الكريم مثل قوله تعالى:

" وشاورهم في الأمر"(١)

ثم ان الامام لا تكتمل مؤهلاته الا اذا كان مشاورا أهل المشورة في أموره كيف لا والمشورة مبدأ

ميز الله به المؤمنين عن غيرهم " وأمرهم شورى بينهم"(٢) وهو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام(٣).

وثمة ملاحظة تلعب دورا مهما في الميدان السياسي وهي أن أعضاء مجلس الشورى لا ينبغي لهم ان ينقسموا الى جماعات ولا يشكلوا كتلا حزبية داخل المجلس "لأن الاسلام يأبى تحزب أهل المشورة"(٤) وأفضل طريقة لإبداء الرأي هو ان يتبنى كل واحد وجهة نظره ويدلي برأيه بصفته الفردية، على ان يكون محميا بحصانة سياسية لانتمائه الى هيئة رسمية. هذا رأي الاباضية في ممارسة السلطة النيابية ولعل هذا ما يدعى اليوم بمنع تعدد الأحزاب مع إبقاء حرية التعبير عن الرأي ضمن أطر شرعية وإذا نظرنا الى طبيعة الحكم الذي قامت عليه الدول الاسلامية وجدنا الاباضية " وحدهم الذين طبقوا مبدأ الشورى في الحكم بعد الخليفتين"(٥).

ثانيا: الوزير

---

(١) ١٤) آل عمران الآية,١٥٩

(٢) ١٥) الشورى الآية٢٨

(٣) ١٦) أنظر فضل المشورة: إسماعيل الجيطالي قناطر الخيرات جـ٣، ص١٧٩.

(٤) ١٧) أبو الأعلى المودودي نظرية الاسلام السياسية ص٥٦.

(٥) ١٨) عوض محمد خليفات الأصول التاريخية للفرقة الاباضية ص٥٤.

(٢١٧/١)

الوزير في الدولة الاباضية هو المستشار للإمام ومساعده وناصحه ونائبه وهو الانسان المقرب للإمام يلازمه فيتدارس معه المسائل السياسية وكل ما يتعلق بتدبير شؤون الرعية، يرى ان مهمة الوزير هي "القيام بمصالح ملك السلطان وهي أربعة: عمارة بلاده وتقويم أجناده، وتثمير مواده، وحياطة رعيته"(١) أما ابن أبي الربيع فيقول: " لا بد من وزير..معين على حوادث الدهور يكشف صواب التدبير(...) وهو شريك في الملك المشير فيه بحفظ أركانه...."(٢).

ويبدو أنه لا خلاف بين الاباضية والعباسيين في ضرورة اتحاد الوزير لما له من دور كبير في الحكم لكن الفرق يظهر جليا في أن الوزير العباسي يأخذ منصب رئيس الحكومة بمعنى أنه يملك صلاحيات غير محدودة للتصرف في شؤون المملكة وقد لا يكون وجود الملك الا شكليا. بينما الوزير لدى الاباضية مختلف عن ذلك، فصلاحياته محدودة في الاستشارة وإبداء الرأي والنصح

والتحذير إما ان يصدر القرار وينفذ باسم الملك فلا أعتقد انه يجوز له ذلك. ثم ان الوزير الاباضي مراقب من طرف مجلس الشورى وهو معرض في أي وقت لتغييره اذا أحدث ما يوجب ذلك. بينما الوزير العباسي لا مراقب له، بل يتمتع بتفويض من الملك يتصرف بموجبه كما يشاء في شؤون الدولة.

---

(١) ١٩) الماوردي: أدب الوزير القاهرة ١٩٢٩م ص٤٩.

(٢) ٢٠) د. ناجي التريكي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع مع تحقيق كتابه سلوك الممالك في تدبير الممالك دار الأندلس بيروت ١٩٨٣م، ص:١٩٣.

(٢١٨/١)

والوزير الاباضي كما يرى ش. اطفيش هو يمين الامام ودليله اذا صلح الوزير صلح الامام وإذا فسد الوزير أفسد الامام. ولذلك يتشدد في اختيار من يصلح للوزارة، ويستشهد القطب بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق أن نسي ذكره وان ذكر أعانه، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسى لم يذكره وان ذكر لم يعنه"(١) وينبغي للإمام ان يحسن اختيار وزيره فإذا اختاره أحبه وقربه وجعله موضع ثقته قال الامام عبد الوهاب في وصف علاقته بوزيره السمح(٢) :" قد علمتم ان السمح وزيري وأحب الناس إلي وأنصحهم ولن أريد مفارقته"(٣) ولنا مثال حي للوزير المثالي في الدولة الرستمية وهو أبو اليقضان محمد بن أفلح(٤) الذي كلفه أخوه أبو بكر بن أفلح بمهام الوزارة بعد رجوعه من المشرق فكان " يقوم بشؤون الدولة الكبرى كالنظر في رسائل العمال والولاة...وفض المشاكل التي يرفعها الى الامام ومراقبة مال الدولة وصرفه في وجوهه وقراءة البريد السياسي الذي يأتيه من الملوك والأمراء... والإجابة عنه"(٥). وكان يتخذ أعلى مسجد في المدينة مجلسا له لمباشرة أعماله " فمن تكلم إليه من الناس بين العمال والقضاة وأصحاب الشرطة نظر في ذلك نظرا شافيا وأجرى الحق على من رضي وسخط عظم قدره أو صغر ولم تأخذه في الله لومة

---

(١) ٢١) محمد اطفيش جامع الشمل في حديث خاتم الرسل ص:٢٩٧ قال رواه أبو داود والبيهقي

(٢) ٢٢) سبقت ترجمة له.

(٣) ٢٣ أبو زكريا كتاب الأئمة وأخبارهم تح اسماعيل العربي ط٢، ص١١٨
(٤) ٢٤) تولى الوزارة في عهد أخيه أبي بكر الذي تنازل عن الامامة لأبي اليقضان بعد أن حكم سنتين خلفا لأبيه أفلح توفي أبو اليقضان سنة ٢٨١م بعد ٢٧سنة من الحكم راجع سيرته في تاريخ ابن الصغير ص:٦٤ ص:٧٤- ٨٩ طبقات الدرجيني ج٢، ص٨٣ ص: ٨٤ سير الشماخي ص: ٢٢١- ٢٢٢ الأزهار الرياضية ج٢، ص٢٣٧.
(٥) ٢٥) محمد علي دبوز تاريخ المغرب الكبير ج٣، ص٥٦٨.

(٢١٩/١)

لائم"(١). وفي أخر النهار يتصل بالإمام ليخبره عن أحوال الرعية وأحداث اليوم فإذا كان الصباح أخبره بأنباء الليل.

هكذا كانت سيرة الوزير الاباضي وهي ما ينبغي أن تكون عليه، وقد لا يقدر الوزير الواحد على هذه الأعباء فللإمام ان يتخذ أكثر من وزير واحد(٢) ان احتاج إليهم.

ثالثا: القاضي

من المفروض أن يتولى الامام مهمة القضاء بنفسه، لكن حيث أنه لا يستطيع ذلك نظرا لاتساع الحوزة وارتفاع الكثافة السكانية وكثرة ما يحدث بين الناس من خصوم ومنازعات فإنه يتعين عليه تولية غيره لمنصب القضاء وهو من أكبر المراكز الإدارية في الدولة(٣) فإذا لم يكف واحد عين أكثر من قاض حسبما تقتضيه المصلحة العامة فيجعل على رأسهم قاضيا عاما تسند إليه مهمة قاضي القضاة وهي الإشراف العام على النشاط القضائي وتولية القضاة في الأماكن البعيدة بتكليف من الامام وفي الغالب يساعده جماعة من العلماء يشكلون مجلسا قضائيا أعلى يتولى البث في القضايا بعد الاستئناف ويعمل هذا المجلس تحت إشراف الامام وللإمام ان يعول القاضي متى شاء يقول ش.اطفيش " ولو بدون سبب، فإذا عزله انعزل ولكن لا يجوز ان يعزله لهوى نفسه أو عبثا"(٤)

---

(١) ٢٦) ابن الصغير تاريخ الأئمة الرستميين تح د.محمد ناصر و أ.بحاز إبراهيم ص٦٤
(٢) ٢٧) **Dangel Gerrard, I ,Imamat Ibadite de Tahert, p.p 114**
(٣) ٢٨) مهدي طالب هاشم الحركة الاباضية في المشرق العربي ط١، بغداد ١٩٨١ صك٢٤٩ انظر كذلك:
Dangel Gerrard, I ,Imamat Ibadite de Tahert, p.p 116

(٤) ٢٩) محمد اطفيش شرح النيل ج١٣، ص١٣، وهنا يعترض أ.محمد ش.بالحاج على عزل القاضي بدون سبب ويرى ان الصواب في منع العزل الا بموجب شرعي لازم (مقابلة شخصية القرارة صيف ١٩٨٤).

(٢٢٠/١)

ويشترط ش.اطفيش في القاضي ان يكون: " عادلا، عالما، فطنا، عدلا، وتتضمن العدالة: الحرية والاسلام والبلوغ والعقل وعدم الفسق ولا ينبغي ان يكون أعمى ولا ضعيفا لا يقوم بأمور المسلمين"(١) أما الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم فيحدد شروط القاضي أو المفتي في خمس خصال لا بد منها فإذا نقصت واحدة كانت وصمة في الامام فلا ينبغي له ان يقضي والخصال الخمسة هي(٢):

١ – أن يكون عالما بما مضى من الكتاب والسنة فإنه لا يستقيم ان يكون صاحب رأي ليس له علم بالسنة والآثار والأحاديث.

٢ –كاف عن أربع يعني:

...أ) ألا يرتشي.

حليم عن الخصم يعني يتحلم عن الخصمين وان تصاخبا وتشاجرا بين يديه.

ج) مستخفا باللائمة يعني الا تأخذه في الحق لومة لائم.

د) مشاورا لذوي الرأي والعقل والغلم(٣).

والواقع ان شروط اختيار القضاة والولاة والجباة هي نفس شروط اختيار الامام " فلا ينبغي ان يستعمل على القضاة الا الوثوق به في مثل صفة الامام في صلاحه وورعه وفقه وفهمه وعقله وعلمه بالكتاب والسنة والآثار ووجه الفقه الذي يؤخذ منه القياس والرأي"(٤).

أما مهام القاضي وصلاحيته فتتلخص فيما يلي:

١ – الفصل في النزاعات والحكم بين الناس بالكتاب والسنة واقامة حدود الله بتفويض من الامام ورد المظالم الى أهلها.

٢ – النظر في الدماء والجروح وما يتلف من أموال المسلمين.

٣– النظر في أموال اليتامى والمجانين وتعيين الأوصياء لهم.

النظر في الأحباس وتقسيم التركات وتنفيذ الوصايا.

---

(١) ٣٠) محمد اطفيش شرح النيل ج١٣ ص,١٨

(٢) ٣١) نلخصه من رسالة الامام عبد الوهاب الى أهل طرابلس ضمن كتاب شرائع الدين لابن سلام (مخ) نسخة ش.ناصر المرموري ص: ١٨ و ١٩.

(٣) ٣٢) تشبه هذه الشروط ما اشترطه الخليفة عمر بن عبد العزيز في القاضي ابن عبد ربه العقد الفريد ط٣، دار الكتاب العربي بيروت ، ج١ ص٨٤.

(٤) ٣٣) رسالة الاسلام عبد الوهاب ضمن كتاب شرائع الدين لابن سلام (مخ) ص:٢٨.

(٢٢١/١)

عقد نكاح النساء اللائى لا ولي لهن.

النهي عن المنكر بالقول وبالفعل والنظر في مصالح العامة.

ويبدو ان الشعب في الدولة الاباضية كان له حق اختيار القاضي مثلما يحق له انتخاب الامام، فالمصادر التاريخية تشير الى ان الخاصة من الناس كانوا يقترحون على الامام تنصيب القاضي الذي يختارونه من بينهم. ولعل من أشهر القضاء في الدولة الرستمية محمد بن عبدالله(١) وقبله محكم الهواري الذي اختاره قومه للقضاء فألحوا عليه ليقبل المنصب فقالوا له: "انك ان خالفتنا أجبرناك وان أطعتنا شكرناك..."(٢) ولما رضي نزولا عند رغبتهم ثم توليته رسميا من طرف الامام أفلح بن عبد الوهاب لمنصب القضاء.

والقاضي يباشر أعماله في مكان خاص يدعى دار القضاء(٣) مجهز بكل ما يحتاج إليه ويعين له خادما وكاتبا كما يخصص له الامام مرتبا سنويا من بيت المال لقوته.

رابعا :الولاة

---

(١) ٣٤) هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي الشيخ ولي القضاء في عهد الامام أفلح بن عبد الوهاب قال فيه ابن الصغير: "فلم يزل قاضيهم..يحسن السيرة فيهم ويأمر بأمر أبي اليقضان وينهي الى نهيه لا تأخذه في الله لومة لائم "وله مواقف مشرفة في القضاء انظر ابن الصغير أخبار الأئمة الرستميين ص٧٨.

(٢) ٣٥ م.س، ص٥٠.

(٣) ٣٦ م.س، ص٥١

(٢٢٢/١)

الولاة هم نواب الامام في النواحي التي يشرفون عليها وحيث أنهم كذلك فينبغي أن يكونوا في مستوى الامام من حيث التأهل والكفاءة سواء من الناحية الجسمية أو الخلقية أو الفكرية ولذلك يؤكد الاباضية على ان " القول في أحكام الوالي كالقول في أحكام الامام. وأن القول في جابي الزكاة كالقول في الامام"(١) ولا ينبغي للإمام ان يحابي قرابته على غيرهم وحرام عليه تعيين أبناء أسرته في مناصب الدولة ويغفل عليهم أحدا محاباة فعليه لعنة الله"(٢) ويقول في حديث آخر " من استعمل رجلا من عصابة (جماعة) وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين"(٣) وإذا حدث ان ولى الامام عاملا ظالما فأنه يستتاب مع إصلاح ما أفسد وإلا يحارب ويعزل.

وعلى الامام مراقبة ولاته وجباته ومحاسبتهم في أعمالهم بل حتى في ممتلكاتهم تطبيقا لمبدأ: " من أين لك هذا؟" فلا يحق للوالي قبول العطايا الا ان كانت من الامام جزاء له على حسن سرته. " أما العطايا الدارة– المرتب المعلوم– فهي لصاحبها عمل أو لم يعمل ولعقبه من بعده وان لم يكن له عقب فلمن يوصي به من بعده"(٤) فإن عف الوالي عن العطايا فليس لأمير المؤمنين منه شيء(٥) وقد يؤمر الوالي بإنجاز مشروع فيكتتب مالا لها، وجب عليه حينئذ تنفيذ المشروع وإلا أعاد المال الى بيت المال.

---

(١) ٣٧ عمر فاروق التاريخ الاسلامي ص٥٠ نقلا عن الصائفي كنز الأديب...ص٩٣ ب

(٢) ٣٨ رواه الحاكم عز الدين بليق منهاج الصالحين ص٤٣٢.

(٣) ٣٩ رواه الحاكم ، م.س، ص٤٣٢.

(٤) ٤٠ الوارجلاني الدليل والبرهان ج٣ ص٥٧.

(٥) ٤١ م.س، ج٣ ص٥٧.

(٢٢٣/١)

وفي حالات أخرى يقول الوارجلاني على سبيل المثال: " وان اكتتب في غزوة وتخلف عنها بعدما أخذ عطاءه فإن لأمير المؤمنين معاقبته"(١) ويمضي الوارجلاني في بيان حكم الأموال الحاصلة للولاة خاصة بعد انتهاء حكم السلطان من غير الاباضية فإن اقتطع هذا للولاة شيئا من أراضي الفيء فان لهم ان يأخذوه وينتفعوا به ولو حاباهم بذلك دون نظائرهم أو دون أهل الصلاح فذلك لهم قطيعة– هبة– لا كما فعل عثمان بمروان بن الحكم وبما حاباه في أمر الخمس"(٢) أما

الفيء(٣) فيجوز لجميع المسلمين الأكل منه بأفواههم ولا يتخذون منه خيبة ما دام وقفا لم يدفعوه لأحد.
والذي نستفيده من هذه النظم الدقيقة وغيرها ان الاباضية يستشعرون روح المسؤولية القيادية ويتحرون العدل والقسط سواء في الحكم بين الناس أو في توزيع الثروات المشاعة بينهم.
فالمسؤولية في كل ذلك موزعة بين أعضاء الحكومة ابتداء من الامام ومستشاريه وكل راع مسؤول عن رعيته– كما قال صلى الله عليه وسلم.
خامسا: الحسبة والشرطة

---

(١) ٤٢ م.س، ج٣ ص٥٧.
(٢) ٤٣ الوارجلاني الدليل والبرهان ج٣ ص٥٥، يستثنى حالة عثمان لأن الخمس من حق المسلمين.
(٣) ٤٤) الفيء هو ما يغنم من الأموال ويعني هما المنتوجات الزراعية من أراضي الغنائم.

(٢٢٤/١)

تقتضي طبيعة المعاملات التجارية والنشاط الاقتصادي وكذا الحركة اليومية للسكان وجود تنظيم يتولى الإشراف على هذا النشاط الإنساني في المدينة وهو ما يعرف بنظام الحسبة منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب(١) اعتمدته الدولة الاباضية وطورته ووجهته لصالح أعماله وقوامه شباب متحمس، ورجال أكفاء، ينخرطون فيه عن طواعية(٢) يقومون بأعمالهم بالتناوب ليلا ونهارا خدمة لدولتهم.
* ماذا يشترط في رجل الشرطة؟
ينبغي على الأئمة وولاتهم أن يختاروا لشرطتهم إلا " الرجال العقلاء الأمناء المثقفين المخلصين ذوي الحزم واللطافة، لا يعنفون فيذلون الشعب، ولا يضعفون فيتمرّد عليهم،(...) يطبقون قانون الدولة على الناس لا يحاربون أحدا ولا يستثنون إنساناً..."(٣).

---

(١) ٤٥) حول نظام الحسبة انظر: مقدمة ابن خلدون ، الماوردي: الأحكام السلطانية محمد علي دبوز تاريخ المغرب الكبير ج٣ ص٣٦٢ موسى لقبال :الحسبة المذهبية، ص١٦.
(٢) ٤٦) يرى أ. محمد دبوز ان الشرطة الرستمية لا يتقاضون أجرا بل هم متطوعون ولذلك سمي

النظام بالحسبة لاحتساب الأجر عند الله أنظر تاريخ المغرب ج٣، ص٣٦١.
(٣) ٤٧) محمد علي دبوز تاريخ المغرب الكبير، ج٣، ص٣٦٣.

(٢٢٥/١)

ويستحسن أن يكون الشرطة من الوافدين على المدينة الذين جاؤوا من نواحي أخرى من الدولة حتى لا تكون لهم عشائر يحابونها ولا أقرباء كثيرون ينحازون لهم، وهذا ما يشير إليه ابن الصغير في تاريخه حيث يقول:" وكانت نفوسة(١) تلي عقد تقديم القضاة وبيوت الأموال وانكار المنكر في الأسواق والاحتساب على الفساق"(٢) وفي موضع أخر يقول :"وجل من كان عندنا في البلد من نفوسة يتسمون بهذا الاسم"(٣) إذن فرجال الحسبة والشرطة في عاصمة الدولة الرستمية تيهرت كانوا أجانب وأغلبهم من جبل نفوسة.

* مهام الشرطة والحسبة:

يتسع مجال نشاط الشرطة باتساع البلدة وكثرة مواطنيها وبحسب ما تقتضيها الضرورة ويمكن تشبيه الحسبة ومهامها بالحماية المدنية في عصرنا وأعمال الشرطة– الحالية– والدرك الوطني من حيث نوع المهام التي تقوم بها وطبيعة الخدمات الاجتماعية التي تقدمها للمواطنين كمحاربة الآفات الاجتماعية وحفظ الأمن الداخلي فضلا عن مهام اللجان الصحية ومراقبي الأسعار ومنظمي الحركة التجارية في الأسواق......

وفيما يلي بيان المهام الأساسية للشرطة:

١– المحافظة على الدين والأخلاق، تنفيذا لتعليمات السلطة فتجوب أنحاء البلدة بحثا عن العصاة والمتمردين، وتمسك على تارك الصلاة، وآكلي رمضان وشاربي الخمر، فتقودهم الى الإمام لينفذ حكم الله فيهم(٤).

---

(١) ٤٨) هي نفوسة الجبل بالمغرب الأدنى (ليبيا) لا نفوسة المغرب الأوسط غرب تيهرت م.س.
(٢) ٤٩) ابن الصغير تاريخ الرستميين، تح د.محمد ناصر و أ.إبراهيم بحاز ص:٥٤.
(٣) ٥٠) م.س، ص٣٨.
(٤) ٥١) محمد علي دبوز تاريخ المغرب الكبير، ج٣، ص٣٦٣.

(٢٢٦/١)

٢- مراقبة الأسواق، فتنهى عن الغش والاحتكار وزيادة الأسعار فإن تحققت من تاجر يخدع أو بائع يغش قمعته وأنزلت عليه ما يستحقه من عقوبات(١).

٣- الاعتناء بالنظافة العامة وتحريض المواطنين عليها فتأمر أهل الحي بإزالة القذى(٢) وإماطة الأذى وتعودهم على تنظيف دورهم وكناسة شوارعهم وعدم الاتكالية والأنانية.

٤- إعانة المواطنين في قضاء مآربهم ومساعدة الضعفاء في شؤونهم وتهدي الضال، وتغيث الملهوف، وتقود الأعمى وترشد الغريب.

٥- مراقبة المقاييس والأوزان عند التجار ومراقبة البضائع المعروضة للبيع للتأكد من سلامتها ومراقبة العملة المتداولة للتأكد من صحتها وعدم تزييفها(٣).

٦- يهتم المحتسب " في بيع الإماء والأمهات بالاستبراء والمواضعة للمحافظة على رؤوس الأموال وبعثا للثقة في النفوس"(٤).

٧- مراقبة الصناعة " لضمان سيرها ولتحقيق العدل والتفاهم بين أرباب الصناعة وصبيانهم ولمنع العش في المصنوعات أو إدخال ما ليس منها ولمنع إنتاج المصنوعات المحرمة"(٥) كتحضير السموم.

٨- رعاية الحيوان وحمايته والرفق به، فإن رأى الشرطة " دابة حمل عليها فوق طاقتها أنزلوا حملها وأمروا صاحبها بالتخفيف عنها"(٦) وان رأوا قطا بائسا مهملا أمروا صاحبه بالعناية به، وإذا كان مجهول الدار نقل الى حيث يطعم"(٧) وكذا يفعل بالكلب المهمل.

---

(١) ٥٢) م.س، ص٣٦٢ نقلا عن ابن الصغير يقول أ. إبراهيم بحاز: "لا يشير ابن الصغير الى نوعية العقاب أهو جسماني أو مالي" انظر إبراهيم بحاز الدولة الرستمية ص٢٤٨.

(٢) ٥٣) ابن الصغير تاريخ الأئمة الرستميين ص١٧.

(٣) ٥٤) موسى لقبال الحسبة المذهبية ...ط١، ش.و.ن.ت. الجزائر ١٩٧١م، ص٧٠

(٤) ٥٥) م.س، ص٧٠

(٥) ٥٦) موسى لقبال الحسبة المذهبية ص:٧١ نقلا عن أحمد بن سعيد التسيير في أحكام التسعير

(٦) ٥٧) ابن الصغير تاريخ الأئمة الرستميين ص١٧.

(٧) ٥٨) محمد علي دبوز تاريخ المغرب الكبير، ج٣، ص٣٦٣.

٩- حماية المواطنين من الآفات والجوائح والكوارث وكل ما يضرهم ومنها مراقبة الأبنية فان رأت الشرطة "بنيانا يتداعى أخلته من سكانه وأمرت أصحابه بهدمه"(١) وان رأت حريقا أخمدته.

١٠- السهر على توفير الراحة للمواطنين ومنع كل ما يقلق راحتهم " فإذا أنشأ أحد في وسط المدينة صناعة تضر الحي والجيران بأوساخها أو نتنها أو عجيجها منعوه وعينوا له مكانا لصناعته خارج المدينة مع أهل حرفته"(٢).

تلك هي الحسبة(٣) والشرطة التي اعتمد عليها الأئمة الاباضية في تسيير شؤون الدولة ومراقبة الرعية وقد نشط هذا التنظيم بشكل أوسع في عهد الامام أبي اليقضان(٤) وهو تنظيم اسلامي تطور عبر مراحل التاريخ الاسلامي ولا يختلف كثيرا بين دولة وأخرى.

سادسا: الجيش

من أغرب ما نجده في الفكر السياسي الاباضي أما الامام لا يحتاج الى جيش نظامي دائم، وعلى أهبة الاستعداد وقد يبدو لأول وهلة هذا المبدأ مثالي الى حد بعيد، لكن اذا علمنا ان الحكم الاباضي يقوم على الديموقراطية وحرية النقد وكفالة الحقوق الإنسانية فإننا لا نستبعد وجود علاقة حميمة جدا تربط بين الحاكم والمحكوم هذه العلاقة الطيبة تفرض آليا على المواطن مساعدة إمامه ونصرته وتأييده وإخلاص الطاعة له. وأكثر من ذلك الاستماتة في الذود عنه وحمايته من كل مكروه وأمام هذه الحالة لا يكون الامام ملزما باتخاذ الجند وتنظيم الجيش(٥) لأنه ليس في حاجة الى حماية عسكرية ما دام آمنا.

---

(١) ٥٩) م.س، ص٣٦٣

(٢) ٦٠) م.س، ص٣٦٣

(٣) ٦١) للمزيد من التفاصيل عن الحسبة انظر

Cheikh Berkri, Annales de I, Institute d, etudes Orientales , Alger 1957, tome 15, p.p.: 71- 72

(٤) ٦٢) أبو اليقظان بن محمد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي(٢٦١هـ ٢٨١هـ) انظر ترجمته ابن الصغير تاريخ الأئمة ص:٧٧ الدرجيني طبقات...جـ١، ص٨٣

(٥) ٦٣) **Dangel Gerrard, I ,Imamat Ibadite de Tahert, p.p 116**

من أجل ذلك كله لم يهتم الاباضية بتنظيم الجيوش ولم يروا ضرورة في حماية الإمام والمدينة بالقلاع والحصون والأسوار.

هذا من ناحية أخرى يرى فقهاء الاباضية ان وجود الجيش المسلح في الدولة تحت قيادة الامام "خطرا على المجتمع لأنه يؤدي الى فرض سلطة ديكتاتورية جائرة يمارسها الامام معتمدا على الجيش"(١) وبهذا يتحول نظام الحكم من دولة ديموقراطية عادلة الى دولة ديكتاتورية مستبدة.

ومن أجل هذا أصر الاباضية على " ضرورة حل الجيش وتفرقه بعد كل معركة"(٢).

إذن فمبدأ الاستغناء عن الجيش النظامي في الدولة الاباضية ينبع من أصل نظري ليأخذ بعدا سياسيا وحيث أنه كذلك فإن التجربة العملية أثبتت حقيقتين مختلفتين تمام الاختلاف وهما:

١- نجاح المبدأ في تحقيق الهدف المرجو منه والمتعلق بتطبيق ديموقراطية السلطة، وإقامة العدل بين الناس وهذا ما نجده في تاريخ الدولة الرستمية وغيرها من الدول الاباضية.

٢- عدم صلاحية هذا المبدأ من حيث افتقار الدولة الى قوة عسكرية منظمة تنظيما حسنا مستعدة للدفاع عن أمن الدولة في أي لحظة، وهذا ما كانت عليه الدولة الرستمية. ونتج عن سقوطها في يد العبيديين (الفاطميين) بسبب العجز عن الدفاع عن نفسها لعدم وجود جيش نظامي دائم.

---

(١) (٦٤) عمر فاروق التاريخ الاسلامي....ص:٥٣.

(٢) (٦٥) م.س، ص٥٣.

لكن هذا المبدأ لا يعني ان الدولة الاباضية مفتقرة تمام الى جيش يحميها من الأعداء سواء من داخل الدولة أو خارجها فالمصادر الاباضية تشير الى ان الجيش في الدولة الاباضية ليس حكوميا بمعنى ان الدولة لم تجهز قوة عسكرية موحدة وانما الجيش فيها يتكون من مجموعة جيوش كل واحد ينتمي الى قبيلته " وكانت كل قبيلة تسلح نفسها وتستعد للحرب لتجيب داعي الامام اذا استنفرها ودعاها لحروبها المشروعة"(١) وإذا انتهت الحرب ووضعت أوزارها تفرق الجنود ورجع كل جيش الى قبيلته وهكذا تتولى كل قبيلة تسليح نفسها بتدريب جنودها على أساليب الحرب وتعلم فرسانها فنون القتال استعدادا ليوم الكريهة.

ونظرا لعدم صلاحية هذا المبدأ في ضمان استمرار التواجد الاباضي تنازل هؤلاء عن المبدأ " وهذا ما يلاحظ بوضوح في مرحلة الدفاع والشراء"(٢) وهذا ما جعل ش.اطفيش يرى ضرورة إنشاء جيش

نظامي يتولى الامام بنفسه مراقبته والإشراف عليه لكن يحسن له ان يعين عليه رئيسا يتولى قيادة الجيش ونظرا لأهمية هذا المنصب فإنه ينبغي للإمام ان يختار من بين رجاله الأكفاء واحدا يفوقهم تأهلا وخبرة، ويصف الشيخ أطفيش قائد الجيش فيقول: " أن يكون ذا بسالة ونجدة وجرأة وشجاعة ثابت الجنان، صلب القلب، رابط الجأش، صادق البأس قد توسط الحروب ومارس الرجال ومارسوه ونازل الأقران وقارع الأبطال عارف بمواضع الفرص خبير بمواقع القلب(٣) والميمنة والميسرة من الحروب وما الذي شحنه من الأبطال والحماة من ذلك بصير بصفوف العدو ومواقع الغرة منه، ومواضع الشدة منه"(٤).

---

(١) ٦٦) محمد علي دبوز تاريخ المغرب الكبير ج٣، ص٣٦٦.

(٢) ٦٧) **Dangel Gerrard, I ,Imamat Ibadite de Tahert, p.p 116**

(٣) ٦٨) يقصد بالقلب المواقع الوسطى في الجيش الواقعة بين الميمنة والميسرة.

(٤) ٦٩) محمد اطفيش شرح النيل، ج١٤ ص٢٨٥.

(٢٣٠/١)

فإذا كان القائد على هذه الصفات والخصال كان الساعد الأيمن للإمام ونال الصدارة في قلبه فيصبح رأيه نافذا لحذقه وخبرته ويكون للجميع خير قدوة بسيرته المحمودة وخصاله المشكورة.

أما مهام القائد فتتركز أساسا على استتاب الأمن واستقرار أحوال البلاد والدفاع عن حمى الوطن،ولذلك يجب عليه تدبير الأمور بحزم وبكل جدية ويتصرف بحكمة ودهاء حتى ولو اقتضى الأمر الى استعمال الحيلة والمراوغة وهنا يصور ش.اطفيش حالات من المراوغة وأساليب الحيلة وخدع الحرب يجوز للقائد الالتجاء إليها في أوقات الحرب، من هذه الحيل ما يلي: " يبث جواسيسه في معسكر عدوه، ويستعلم أخباره ويستميل رؤساءهم وقادتهم وذوي الشجاعة منهم، ويدس إليهم ويعدهم وعدا جميلا ويوجه إليهم ضربة الخدعة(...) وينشئ على ألسنتهم كتبا مدلسة إليهم ويبثها في عسكرهم ويكتب في السهام أخبارا مزورة ويرمي بها في جيوشهم ويضرب بينهم فيما فيه الشر من ذلك"(١) وما الحرب الا خدعة.

الخاتمة

وبعد، هل استطاع الاباضية تحقيق المجتمع العادل وفق المبادئ المنشودة والتنظير السياسي القائم على تأكيد الحرية في القول والفعل والديموقراطية في نظام الحكم؟

(١) ٧٠)محمد اطفيش شرح النيل، ج١٤ ص٢٨٥.

(٢٣١/١)

أما عن اختيار الامام– وهو الميدان الذي يكشف بحق درجة ممارسة الديموقراطية– فمن الملاحظ ان الامامة في الدولة الرستمية– مثلا–(١) لم تخرج عن الأسرة الفارسية، إذ بقيت بين أفرادها على ان الانتقال لم يكن بالمعنى الضيق للوراثة، بأن يأخذ الابن الامامة عن أبيه، ومع ذلك فالوراثة بقيت في آل رستم(٢) مما "غلب مبدأ الوراثة على مبدأ الاختيار والشورى بصورة طبيعية الى حد كبير بالرغم من تحمس الاباضيين لمبدئهم وانكارهم على غيرهم الأخذ بمبدأ الوراثة في ولاية أمور المسلمين"(٣).

وهذا مما جعل الباحثين ومؤرخي الدولة الرستمية يعتبرون نظام الحكم فيها أقرب الى الملكية منه الى الجمهورية(٤) بل ويسمون الدولة الرستمية بمملكة تاهرت(٥).

(١) ١) اخترنا الدولة الرستمية كمثال واقعي بحق نموذجا للتجربة الاباضية في نظام الحكم وإقامة دولة مستقلة ذات سيادة.

(٢) ٢) رشيد بوروبية الجزائر في التاريخ ج٣ ص٧٦.

(٣) ٣) حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ص١٠٤.

(٤) ٤) جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ص٥٢.

(٥) ٥) انظر رشيد بوروبية الجزائر في التاريخ ج٣، ص٧٦ وكذلك الفرد بيل، الفرق الاسلامية في الشمال الأفريقي، ص٤٩ أيضا إسماعيل العربي في تعليقه في كتاب السير لأبي زكرياء أثناء تحقيقه له ص١٩.، إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية ص١١٧، وأيضا.
Cheikh Berkri: Le Kharjisme Berber.

(٢٣٢/١)

فالتجربة الاباضية– كما يرى حسين مؤنس(معاصر)– لم توفق الى تحقيق المثل الأعلى للحكم الذي كانت تتصوره، غير انه يؤكد في الوقت نفسه ان الحكم الاباضي في إقليم تاهرت كان حكما عادلا، وان أحوال الناس في مجتمعهم كانت أسعد بكثير من أحوالهم في ضل غيرهم من حكام

المغرب المعاصرين لهم(١) وهذا نتيجة الأخذ بمبدأ الحرية العامة الذي ما كان يتمتع به المواطن خارج الدولة الاباضية هذه الحرية وان كانت مقيدة نسبيا يمكن تلخيص بعض مظاهرها فيما يلي(٢):

١- تواجد مختلف القوميات من بربر وعرب وفرس والديانات السماوية بمختلف مذاهبها نتيجة للانفتاح على العالم الخارجي وهذا لا يتحقق الا بانتهاج سياسة حرية التعايش مع الآخرين.

٢- عقد حلقات البحث والمناقشة بين مختلف الفئات خاصة بين الاباضية والواصلية والمعتزلة وسائر الفرق بالمغرب(٣).

٣- تكريم الاباضية للائمة السنيين وغيرهم ممن كانوا يدعون للمناظرة والمناقشة(٤) في جو تسوده الحرية الفكرية(٥).

٤- ازدهار الحياة الفكرية جنبا الى جنب مع الحياة الاقتصادية(٦) مع التحكم في الحركة التجارية ومراقبة الأسواق مما يدل على ان الحرية الاقتصادية موجهة لضمان نجاح الخطة الاقتصادية للامة.

ويمكن القول بناء على ما تقدم ان الحكم في الدولة الاباضية يقوم على ثلاثة مبادئ أساسية هي:

أولا- مبدأ الحرية والمساواة لتحقيق العدالة الاجتماعية وفق التعاليم الشرعية للدولة الاسلامية.

---

(١) ٦) حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ص١٠٥

(٢) ٧) جودت عبد الكريم العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ص٥٥.

(٣) ٨) البرادي الجواهر المنتقاة فيما أخل به صاحب الطبقات (مخ) غير مرقم.

(٤) ٩) ابن الصغير أخبار الأئمة الرستميين، ص:١٠٢.

(٥) ١٠) الفرد بيل الفرق الاسلامية، ط٢، دار الغرب الاسلامي، بيروت ١٩٨١، ص١٤٩.

(٦) ١١) حول الحياة الفكرية والاقتصادية أنظر إبراهيم بحاز الدولة الرستمية

ثانيا- مبدأ الديموقراطية المقيدة ويتولاها الحاكم بمعية العمال ومجلس الشورى والعلماء والمسلمين عامة، فالحاكمية شعبية مقيدة تحت سلطة الله القاهرة، لأن الحاكم الحقيقي هو الله والذين من دونه انما هم رعايا في سلطانه العظيم، ومن هنا كانت الديموقراطية مقيدة، بينما المطلقة يكون الحكم فيها للشعب الذي يشرع ويقنن حسبما تراه عقول الناس وهذا ليس من

الاسلام في شيء.

ثالثا– مبدأ القوة كوسيلة لتحقيق الغايات الأساسية للدولة والوقوة– هذه– قد تشتد فتستخدم الوسائل المادية للزجر والردع وقد تكتفي بالجانب المعنوي للقوة كاستخدام النفوذ الاجتماعي والرأي العام ويتجلى دور القوة أكثر في الميادين التالية:

١– المنع من العدوان، أما خارجي بالدفاع عن الدولة ومكتسباتها، وأما داخلي بإطفاء الفتن وإصلاح ذات البين وتوفير الأمن بين المواطنين.

٢– إزالة الشر من جذوره، ومحاربة الآفات الاجتماعية وتغيير المنكر بالوسائل المناسبة عملا بمبدأ " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"

فعلى الحاكم إذن تسييس الرعية وحمل المواطنين على الطاعة بالحزم والعزم ورباطة الجأش مع الحنكة السياسة واستخدام وسائل التربية والاستعانة بالرأي العام والنفوذ الاجتماعي حسبما تقتضيه الظروف والأحوال فإن استقامت له الأمور فذلك وإلا فالقوة أفيد والزجر والردع أنسب لتذليل المستعصيات وحل المشاكل وهذا ما دأب عليه الأئمة الرستميون.

(٢٣٤/١)

ولنأخذ سيرة الامام عبد الوهاب(١٦٨– ٢٠٨ هـ/٧٨٤– ٨٢٣م) على سبيل المثال فنجدها تتسم بالقوة والصرامة والحرص على التحكم في الأوضاع وفرض السلطة الزاجرة اذا اقتضى الأمر، لكن ليس بالمفهوم الديكتاتوري كما يرى أ.جودت عبد الكريم(معاصر) فهو يبالغ في حق الامام عبد الوهاب حين يصف سياسته بالمكيافيلية(١) لأنه مهما اعتمد الامام عبد الوهاب على القوة والصرامة فإنه لا يبلغ سياسة الميكيافيلية التي تقوم على احتكار السلطة ولو على حساب الدين والأخلاق الإنسانية والقيم العليا، فهذا لم يحدثه الامام عبد الوهاب ولا غيره من الأئمة الرستميين بل كانوا ملتزمين دوما بالمنهج الاسلامي ومحافظين على التعاليم الدينية، مع أننا لا ننكر سياسة القوة التي ربما اعتمد عليها امام رستمي في حالة الضرورة وذلك ما يشير إليه مؤرخ الدولة الرستمية ابن الصغير(ق ٣هـ) فقد سلك الامام أفلح بن عبد الوهاب(٢٠٨–٢٥٨هـ) نهج والده في إدارة شؤون الدولة فاعتمد على سياسة القوة للتحكم في زمام السلطة خاصة لما ازدهرت الدولة في أيامه وبلغت شأوا عظيما من الرقي الحضاري حتى خاف من اجتماع القبائل عليه لإزالة ملكه، فعمد الى ضرب القبائل بعضها ببعض (فأرش بين لواته وزناته، وما بين لواته ومطماطه وما بين الجند والعجم حتى تنافرت النفوس ووقعت الحروب وصارت كل قبيلة ملاطفة للإمام أفلح...)(٢)

(١) ١٢) يقول أ.جودت عبد الكريم "يبدو ان حرص عبد الوهاب على إمامته قد نزع عنه ثوب الردع والمثالية، فكان ميكيافيلي النزعة لا يتريث في ضرب الرؤوس ببعضها والاعتماد على سياسة (فرق تسد) وعلى استقطاب القبائل بالهبات والإكرام..." العلاقات الخارجية للدولة الرستمية المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ١٩٨٤م ص٦٤.

(٢) ١٣) ابن الصغير أخبار الأئمة الرستميين، ص٥٥، يعلق د.محمد ناصر و أ.إبراهيم بحاز على قول ابن الصغير بأنه (أمر خطير وهو اتهام الامام أفلح بسياسة فرق تسد) وواضح من كلماته الأخيرة انه يستبعد مثل هذه السياسة عن الامام أفلح ولا يرد ان يتحمل المسؤولية لذلك يقول "...فيما قالوا، والله أعلم فيمن رأى ذلك" وانظر وداد القاضي ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية مجلة الأصالة عدد٤٥ ص٤٤ ورد هذا التعليق في هامش أخبار الأئمة الرستميين، لابن الصغير تحقيق وتعليق د.محمد ناصر و أ.إبراهيم بحاز، ص٥٥.

(٢٣٥/١)

.

ومهما يكن من أمر الامام عبد الوهاب أو أفلح أو غيرهما مت الأئمة الاباضية فإن العبرة بالمواقف المشرفة في ممارسة الحكم التي تنم عن علو الهمة والكفاءة العالية والحنكة السياسية في تدبير شؤون الدولة سواء أكان باللين والطف أم بالقوة والصرامة في حدود الشرع ولكن ليس بالحيلة والعنف وفق السياسة الميكافيلية– كما يرى أ.جودت عبد الكريم– ثم ان العبرة الجديرة بالتنويه ان القوة ان استخدمت لصالح الدولة فإنها لم تكن في معزل عن الديموقراطية لأن القوة في غياب الحرية والديموقراطية معناها ،ديكتاتورية الحكم، وهذا لم يحدث في دولة اباضية في مشرق الأمة الاسلامية أو مغربها.

هذه نظرة حول طبيعة الحكم لدى الاباضية من الناحية العملية أما من الناحية الفكرية فإن الملاحظة الأولى تثبت بوضوح ان الاباضية لم يكونوا منظرين في الناحية الفكرية فإن الملاحظة الأولى تثبت بوضوح ان الاباضية لم يكونوا منظرين في السياسة بقدر ما كانوا واقعيين عمليين ولذلك يندر ان نجد مؤلفا خاصا لموضوع الحكم لدى المفكرين الاباضيين مثلما نجد مؤلفات كثيرة في السياسة للفارابي، والماوردي، وابن أبي الربيع، والمهدي ابن تومرت وغيرهم. ولذلك جاءت معظم الآراء السياسية عند الاباضية موزعة بين الموضوعات الفقهية والأصولية والأخلاقية،

وتتضح لنا هذه النظرية من خلال شخصية الشيخ اطفيش الذي ركزنا هذه الدراسة على آرائه السياسية فهو لم يترك لنا كتابا خاصا في السياسة وانما تعرض لهذا الموضوع أثناء معالجته للمسائل الفقهية والأصولية والكلامية، والموضوعات ذات الطابع الإنساني والاجتماعي بصفة عامة. ولعل السبب في ذلك ان القطب لم يكن فيلسوفا أو مفكرا سياسيا بل كان فقيها وعالما في العقيدة وأصول الدين، وهذا لم يمنعه من الاهتمام بالمسائل السياسية فقد دلت آثاره على إطلاعه الواسع في مجال الفكر السياسي ووعيه بنظم الحكم السائد في عصره وما قبله.

(٢٣٦/١)

والسبب الآخر ربما يعود الى ان القطب– كغيره من علماء الاباضية– ينظر الى السياسة كعلم مستقل بذاته قاصرا على موضوع الحكم بل السياسة عنده جزء من حياة الانسان الزاخر بأنواع عديدة من الأنشطة المتكاملة حيث لا يمكن الفصل بين وجوه النشاط الروحي والأخلاقي والاجتماعي والسياسي والعلمي والاقتصادي...ومن هنا ندرك حتمية الربط بين الدين والدنيا وهذا الربط لا يتحقق ا بواسطة الدولة أو على الأقل تنظيم يعهد للخاصة ليتولى القيادة ورعاية شؤون العامة.

ومن هنا نستطيع فهم وجهة القطب السياسية حيث لم يذهب مذهبّ الفارابي الفلسفي الذي استقى من الأفلاطونية البعد المثالي في نظام الحكم القائم على مبادئ نظرية عقلية يتعذر تجسيدها في واقع عملي. وانما كان مفهوم السياسة عند الشيخ اطفيش مرتبطا بواقع الانسان المفتقر الى موجه يحدد له معالم الطريق نحو السعادة في الدارين وحيث ان الله قد تكفل هذا التوجيه بواسطة شريعة سماوية فلا يبقى للإنسان الا التزام بها وتطبيقها ولكن ذلك لا يتم الا على يد السلطة في شخص الامام وأعوانه.

نتائج البحث

ان الحديث عن الاباضية ذو شجون، وموضوع البحث بكر ومشوق فلا أدعي أني ألمت بالموضوع وأعطيت له حقه من البحث فحسبي أن أكون قد فتحت باب في الفلسفة السياسة الاسلامية جديرا بالاهتمام والدراسة، أملا من غيري أن يواصل السير في هذا الموضوع.

وفي سبيل الخلوص الى نتائج البحث، يمكن تحديد المعالم الأساسية للفكر السياسي عند الاباضية في النقاط العشر التالية:

أولا: ان أهم ما يتميز به الفكر الاباضي في المجال السياسي نظرية مسالك الدين التي تعبر بعد

نظر وأصالة في التفكير، وبفضلها يستطيع الاباضية ان يحددوا مواقفهم ويضعوا الحلول المناسبة لكل الظروف التي تعترض سبيل حياتهم كما تضمن لهم المحافظة على كيانهم ومؤسساتهم واسمرار تواجدهم فكريا وجسديا.

(٢٣٧/١)

ثانيا: النظرية السياسية الاباضية تقوم على فلسفة سلوكية واقعية في جانبها العملي، وتشمل العلاقات السياسية والاجتماعية ضمن نظام الدولة الذي يهدف الى غايات أخلاقية إنسانية قبل ان تهدف الى غايات مادية دنيوية مجردة من الروح.

ثالثا: الدولة الاباضية دولة عقائدية، بمعنى تستقي تشريعاتها وتعاليمها من أصول العقيدة الراسخة، وتعتمد في وضع قوانينها على أصول التشريع السماوي. فليست اذا دولة دينية بالمعنى الأوروبي الحديث حيث يحتكر فيها رجال الدين السلطة فينتصبون من الرؤساء من يشاءون ويحكمون بين الناس بما تهوى أنفسهم.

رابعا: تقوم النظرية السياسية الاباضية على مبدأ الديموقراطية كمنهج عام للاتجاه السياسي، حيث يتحرر الانسان من الخضوع المطلق للوطن أو القومية أو لفئة معينة متمثلة في السلطة الحاكمة والقوة الغالبة أو لفرد في شخص الملك أو السلطان فلا حاكمية الا لله.

خامسا: الامامة الاباضية روحية دينية وزمنية دنيوية ،الحاكم فيها يتمتع بصلاحيات الامامة السياسة في الحكم ورعاية الأمة في مصالحها الدنيوية ويسعى الى إرضاء رغبات المواطن في حدود ما يجيبه الشرع. كما يتمتع في الوقت نفسه بصلاحيات الامامة الدينية في تنفيذ الأحكام وتطبيق التعاليم الاسلامية خلافا للدولة العلمانية التي تفصل بين الدين وما يتصل به من شعائر وبين الدنيا وما يتعلق بها من مصالح.

سادسا: تهدف الدولة الاباضية في سياستها الداخلية وقوانينها ونظمها ومؤسساتها الى الإصلاح الديني والاجتماعي عملا بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتجسيدا لمبادئ العقيدة. كما تهدف من سياستها الخارجية الى حماية العقيدة من كل اعتداء، ونقل دعوتها– ما أمكن– إلى ما حولها من الأمم بالتي هي أحسن مع الاحترام المتبادل للأفكار والتعاليم المذهبية.

(٢٣٨/١)

سابعا: الدولة الاباضية دولة إنسانية حضارية– إنسانية لتقديمها الهدف الأخلاقي والإنساني على الهدف السياسي والمادي، وهي حضارية لاهتمامها بما يخول لها التقدم والازدهار والانتعاش الاقتصادي بتشجيع النشاط العلمي والثقافي بعد الاهتمام بحفظ الأمن.

ثامنا: الدولة الاباضية قائمة على أسس ثابتة بثبوت العقيدة كما أنها تتسم في الوقت ذاته بإمكانية التطور في أشكالها التنظيمية الخاضعة للاجتهاد واستعمال العقل استعدادا للتكيف مع الظروف والتبدل بتبدل الأطوار الاجتماعية المختلفة عبر العصور في حدود الشرع.

تاسعا: الفكر السياسي عند الاباضية وحيد المنبع، لم يتسق أصوله من الاتجاهات الفكرية المختلفة عدا الاتجاه الاسلامي متمثلا في الكتاب والسنة واجتهاد العلماء وعلية فإن الاباضية لم يتأثروا بغيرهم عموما، حتى ولو جاز لنا القول أنهم تأثروا بالغير فإن ذلك من قبيل الاحتمال لا أكثر لعدم توفر الأدلة الكافية في ذلك ثم ان مجال التأثر– ان كان– فهو ضئيل جدا لا يعدو أن ينحصر في مسائل كلامية، وقد أشار د.عمار طالبي(معاصر) الى ذلك بقوله: (ان المؤلف– أبو عمار عبد الكافي الاباضي– الذي درس بتونس في عهد الموحدين الذين تبنوا مذهب الأشاعرة(...) لا يبعد أن يكون قد تأثر بمناهجهم وطريقة بحثهم، رغم انه خالفهم في أشياء لكن ذلك لا يجعله في منأى عن التأثر بهم في الأشياء المشتركة على الأقل"(١) وهذا في الكلام أما ما يتعلق بالسياسة وغيرها من العلوم فيبدو ان الاباضية– والمتقدمين منهم بالخصوص– لم تكن لديهم رغبة في دراستها، خاصة الفكر اليوناني بمختلف فنونه الفلسفية، لاعتقادهم ان ما عندهم من علوم إسلامية نقلية وعقلية تغنيهم من الاستزادة من الفكر اليوناني وفلسفات الشرق والغرب فانطلاقا من هذا التصور يمكن القول ان الفكر الاباضي وحيد المنبع، اسلامي النزعة، لم يتأثر بالاتجاهات الفكرية عند اليونان وهذا بالرغم من وجود أوجه عديدة للاتفاق بين الاباضية والمعتزلة ذات النزعة العقلية المتأثرة الى حد بعيد بالفكر اليوناني.

---

(١) ١٤) عمار طالبي، آراء الخوارج الكلامية ش.و.ن.ت.، الجزائر، ص:٢٢٥.

عاشرا: يمكن الخلوص الى القول بعد الذي تقدم من البحث أن المساهمة الاباضية في المجال السياسي لم يبلغ مبلغ كل من الفارابي وابن سينا والماوردي وغيرهم من فلاسفة الاسلام في الفكر السياسي من جانبه النظري ومع ذلك فإن الاباضية قد نجحت الى حد بعيد بأن سلمت من الوقوع في الهوة الفاصلة بين التنظير السياسي والتطبيق الميداني. يشير د.عبدالله شريط(معاصر) الى هذه الهوة التي لم ينج فلاسفة العرب من الوقوع فيها باستثناء العلامة ابن خلدون الذي يعتبره(...)

الوحيد الذي نجا من الوقوع في الهوة السحيقة التي تفصل الدولة النظرية عن الدولة الواقعية ويضيف د.شريط قائلا:" هذه الهوة التي وقع فيها أخوان الصفاء والفارابي والغزالي والماوردي وكل أولئك قال عنهم ابن خلدون أنهم تحدثوا عنها من جهة النظر والتقدير والافتراض، وكونوا بهذا الأسلوب ازدواجية فادحة الأخطار في تاريخ المجتمع العربي، راح يتصور ان من طبيعة الأشياء ان تكون الدولة النظرية شيئا والواقعية شيئا آخر" وليس من شك ان ظاهرة الهوة تنجب عن الإسهاب في التنظير المجرد والتكديس الفكري دون ان ينعكس ذلك في واقع معاش يجسد التصور الذهني للمبادئ والتعاليم السياسية.

وإذا انطلقنا من هذا المنظور نجد الأمر على غير ذلك بالنسبة للتجربة الاباضية في الميدان السياسي حيث تنعدم الهوة نظرا لما تتميز به المبادئ من الواقعية وخلوا من البعد المثالي مما جعل تطبيقها أمر ممكنا وتجسيدها عمليا أمر يسير.

(٢٤١/١)

وفي ختام هذه الدراسة المتواضعة لا يسعنا الا ان نجدد الدعوة للعناية أكثر بالفكر الاباضي ودراسته دراسة علمية موضوعية ، ونحن على يقين ان أي دراسة منصفة لهذه الفرقة الاسلامية ستنتهي الى حقيقة ان الحركة الاباضية منذ نشأتها اجتهدت داخل الإطار الشرعي من أجل تطوير المجتمع الاسلامي ودفعه نحو الأفضل ولا أدل على ذلك من تعاليمها التي لا تحيد عن المنهج الاسلامي ولا تتعدى حدوده سواء في المجال العقائدي أو السياسي أو الاجتماعي ونحن لا ندعي للإباضية العصمة وبلغ الكمال، لكننا نتساءل لماذا غابت عن المؤرخين وكتاب المقالات ومن اعتمد عليهم من الدارسين المعاصرين هذه الحقيقة الواضحة؟

ملحق

مصطلحات إباضية

الأبعاد: أو الهجران، ألفاظ تترادف على معنى واحد وذلك متى أجرم واحد من أهل المذهب

جرما، أو ظهرت عليه خزيه أو أتى بنقيصة في قول أو عمل أو تضييع فإنه يهاجره كل أهل الصلاح فلا يكلم ولا يؤم ولا يؤاكل ولا يجالس ولا يحضر جماعة فإن تاب واستغفر قبل منه ورجع الى الجماعة ورفعت عنه البراءة ويكون بقاؤه في وحشة الهجران بقدر عظم الجرم أو صغره، وتوبة المجرم أو إصراره فمنهم من يتوب ويرجع في الحال، ومنهم من يبقى أياما أو أعواما أو عمره ان عظم الجرم وداوم المجرم على الإصرار وترك الاستغفار.

الإسلام: الاسلام هو الدين، سمي إسلاما لانقياد الملتزم به الى الله تعالى والإذعان له، والتذلل بين يديه واتباع أوامره واجتناب نواهيه، وسمي دينا لأنه يدان لله به أي يتقرب به الى الله.

أصحابنا: هو الاصطلاح الذي يطلقه الاباضية على أنفسهم في الغالب وقد يطلقون "أهل الدعوة" وأيضا " أهل الاستقامة".

إمامة الدين: أئمة الدين نوع خاص من الأئمة وهم المجتهدون ممن لم يتول الإمارة كجابر بن زيد وأبو عبيدة والربيع ابن حبيب وغيرهم في القديم، وعبد العزيز الثميني والشيخ محمد اطفيش حديثا.

أهل الدعوة: أنظر (أصحابنا)

(٢٤٢/١)

الإيمان: هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان يزداد الايمان بقوة النظر الاعتباري والفكري والأعمال الصالحة وينقص بالغفلة عن ذلك والأعمال المحرمة، والايمان نفسه علم لا شك ولا ظن.

البيضة: سميت جماعة الامام بيضة تسمية باسمة لأنه بيضة البلد، أي وحده الذي يجتمع إليه ويقبل قوله، أو تقديرا للمضاف.

التسليم: هو الانقياد لأمر الله تعالى، والخضوع له وترك الاعتراض عليه وهو الثبوت عند نزول البلاء.

التفويض:هو ترك اختيار ما فيه الخطر الى اختيار الخالق العلم بمصالح الخلق وقيل هو ترك الطمع.

التقية: هي الفعل المكروه عليه، أما ان يكون قولا أو فعلا للاتقاء به عن النفس، وتتنوع باعتبار ذاتها الى ما يقبل الإكراه عليه والى ما لا يقبل الإكراه عليه كما تتنوع باعتبار حكم الشارع فيها الى ثلاثة: الإباحة والحرمة ثم الإباحة فيما يباح عند الضرورة

التلميذ: اسم للواحد المبتدئ عند الدخول في (الحلقة) سواء كان طال فنون أو مقتصرا على الصلاحية فقط وأصل هذا اللفظ فارسي.

التوحيد: إفراد الله عن الخلق وأفعالهم وصفاتهم، ولو شابه معهم في أقل قليل لدخل عليه العجز منه ولاحتاج الى ما احتاجوا.

التوكل: هو الثقة بما عند الله والاياس عما في أيدي الناس.

الجمع: أو المجتمع أو الميعاد، ألفاظ مترادفة على معنى واحد وهو ان يجمع الشيخ تلاميذه على وعظ يفيدهم أو لتذكير أمرهم أو لاصلاح فساد أو تلافي فوات أو أمر بمعروف أو نهي عن المنكر، مع الاختيار أن يكون ذلك يوم الاثنين والخميس ويكون في أي وقت دعت إليه الحال ليلا أو نهارا وفي أي يوم كان.

(٢٤٣/١)

الجملة: المقصود بالجملة شهادة ان لا إله الا الله وان محمدا رسول الله وان ما جاء به حق من عند ربه، يسمى الاباضية هذه الكلمات بالجملة لتعبيرها عن كلمات الايمان المتضمنة لكل جزيئات وعليها يقوم الايمان اعتقاديا أو علميا ولذلك ينقسم تفسيرها الى جانبين متكاملين: الأول متعلق بالعقيدة كالإيمان بوحدانية الله وصفاته ورسله وكتبه واليوم الأخر والثاني متعلق بالتطبيق العملي الذي هو الالتزام بكل ما أمر الله به واجتناب كل ما نهى عنه.

الختمة: اجتماع (أعضاء الحلقة) لذكر الله والدعاء عند طلوع الشمس وعند غروبها بشيخ أو بغير شيخ، وكأنهم يختمون به عمل الليل وعمل النهار كما تقام الختمة على أثر الانتهاء من تلاوة القرآن الكريم كله.

الخوف: توقع حلول مكروه أو فوات شيء عزيز ويصطلح به على الإشفاق من عذاب الله تعالى.

الدفاع: إحدى مراحل مسالك الدين، يختار الاباضية إماما لهم للدفاع عن الأمة اذا داهمها العدو وتنتهي مهمة الامام الحرب، أنظر المزيد في الباب الثاني.

الدين: أنظر "الاسلام"

الرجاء: لغة الأمل وعرفا توقع حصول محبوب في المستقبل واصطلاحا :الطمع في ثواب الله مع وجود الطاعة.

الرضاء: هو قبول أمر الله ونهيه وكل ما يأتي منه تعالى من خيرا أو شر من غير اعتراض على حكمه وتقديره.

الشراء: إحدى مراحل مسالك الدين يختار الاباضية اذا كانوا أقلية مضطهدة قائدا لهم يخرجون للجهاد في سبيل الله الى ان ينتصروا أو يموتوا جميعا، سموا بالشراة لأنهم اشتروا الجنة بأنفسهم راجع الباب الثاني.

الشرك : يثبت الشرك بجحود الخالق أو بوصف الخالق بصفات المخلوق أو بوصف المخلوق بالصفات المختصة بالخالق، كما يثبت بإنكار كتاب من كتب الله أو ببعض كتابه.

(٢٤٤/١)

الشفاعة: طلب الخير من الغير للغير، وهي هنا طلب النبي صلى الله عليه وسلم من الله تعالى التعجيل بدخول الجنة، وهي أيضا طلب المؤمن من الله زيادة درجة أخيه المؤمن في الجنة، والشفاعة لا يستحقها الا المؤمن الموفي بدينه، ومن اعتقد ثبوتها للعصاة الموحدين كفرَ كُفر نفاق ومن أنكرها أشرك.

صفات الله الذاتية: بمعنى ان صفات الله هي عين ذاته، وليست شيئا مستقلا عنه، فذاته تعالى كافية في الاتصال بالكمال المطلق وليست في حاجة الى ما تكمل به، وبهذا يكون الله عالما بذاته، مريدا بذاته، وهكذا جميع صفاته الذاتية أي ذاته كافية في الاتصاف بالعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر...

صفات الله الجائزة: وتسمى صفات الفعل وهي التي يمكن نفيها عن الله تعالى في الأزل دون الحاضر والمستقبل كالخلق والإرزاق، فصفات الفعل هي التي لم يتصف بها الله في الأزل بل فيها لا يزال، وهي التي تجامع ضدها في الوجود اذا اختلف المحل فنجد الله يرزق المال لفلان ولا يرزقه لآخر أو يهب العلم زيدا ولا يهبه لعمر، فالصفات الجائزة يوصف الله بها ان فعلها ولا يوصف بها ان لم يفعلها.

صفات الله الواجبة: وتسمى صفات الذات وهي التي لا يتصور نفيها عن الله مطلقا سواء في الأزل أو في الحاضر أو في الأبد ومن خصائص الصفات الواجبة أنها لا تجامع ضدها في الوجود ولو اختلف المحل، فيستحيل وصف الله بالعلم والجهل.

صفات الله المستحيلة: هي أضداد الصفات الواجبة، كالحدوث والعدم والفناء والموت والعجز والجهل والإكراه والصمم، ومشابهة الأجسام مطلقا وهذه صفات خاصة بالمخلوق الناقص ومستحيلة على الله الذي لا يتصف الا بالكمال المطلق.

الظهور: أولى مراحل مسالك الدين وفيها يكون الاباضية في قوة ومنعة مكتفين عددا وعدّة فيقيمون دولة مستقلة كحالة النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة والخلفاء الراشدين من بعده.

(٢٤٥/١)

القدر: إجراء الحكم السابق تفصيلا بتعيين الأسباب وتخصيص الأعيان بأوقات وأزمان بحسب قابليتها واستعدادها وتعليق كل حال من أحوالها بزمان معين وسبب مخصوص.

القديم: من سبق وجوده وجود الحدث فكل من لم يكن ثم كان فهو المحدث وكل من كان ولا تكوين فهو قديم.

القضاء: هو الحكم الكلي الإجمالي على أعيان الموجودات بأحوالها من الأزل الى الأبد وهذا يقتضي الايمان بأن الله خالق لأفعال العبد الاختيارية والاضطرارية والعبد اكتسب أفعاله الاختيارية اختيارا منه لا جبر بقدرة خارجية.

قومنا: يريد بها الاباضية أصحاب المذاهب الأربعة وقد يطلق على جميع المخالفين من المذهب.

الكبيرة: ما وعد في الآخرة سواء أوعد عليه في الدنيا أم لا، إذ ليس كل كبيرة ينكل عليها أو يعاقب عليها في الدنيا ولو في زمان الامام ودخلت الكبائر كلها في قوله تعالى: (ويحرم عليهم الخبائث) وهي كالشرك والسحر وأكل مال بباطل وقتل النفس واعانة عليه ولو بكلمة وشرب المفتر والمسكر كالخمر...

الكتمان: المرحلة الأخيرة من مراحل مسالك الدين يهتم الاباضية فيها بالإصلاح الداخلي للمجتمع والمحافظة على الدين ويبتعدون عن المجال السياسي، ولا يقيمون دولة لهم.

الكفر: ترك شيء من الواجبات أو فعل شيء من المحرمات والكفر مقيد بالكبائر ويكون أما بالإشراك أو بعمل سائر الكبائر وليس العزم على الكفر كفرا حتى يفعله.

كفر الجحود: وهو ما نشأ على نفي وجود الله أو نفيا لصفاته أو نفيا لوحدانيته أو انكار شيء من كمالاته أو شيئا من أفعاله، ويسمى الكافر بالجحود مشركا.

كفر النعمة: سمي كذلك لعدم شكر النعمة، وهو ما نشأ عن تأويل الخطأ كاستحلال ما حرمه الله بتأويل الخطأ من فاعله أو قائله أو ما فعل انتهاكا كالقتل والزنى والربا ويسمى الكافر بالنعمة منافق.

(٢٤٦/١)

كلام الله: المراد بكلام الله نفي الخرس عنه لا بمعنى التكلم المعروف بين الناس لأنه لو كان كذلك لاحتاج الى أداة يتكلم بها كالحنجرة واللسان والشفتين.

المجتمع: أنظر "الجمع"

المحارب: كل من أخاف السبيل وأعلن الفساد في الأرض من خصالة الموجبة للقتل والنفاق وإشهار السلاح، قال تعالى:

{ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم }

الميعاد: أنظر :الجمع"

النفاق: الخروج من غير المدخل واخفاء غير ما ظهر وشرعا مخالفة الفعل للقول أو السر للعلانية أو المنافق من أظهر التوحيد وأخفى الشرك والنفاق داخل في الكفر.

الهجران: أنظر "الأبعاد".

الورع: له ثلاثة طبقات:

...الأولى: ورع العدول وهو ترك المحارم جميعا وفعل الفرائض.

...الثانية: ورع الصالحين وهو ترك المحارم جميعا وترك ما لا حرج فيه مخافة الوقوع فيما فيه الحرج وفعل الفرائض كلها مع الاجتهاد في فعل النوافل.

...الثالثة: ورع الصديقين وهو الزيادة على ورع الصالحين بترك ما لا حرج فيه لا لخوف الوقوع فيما فيه الحرج مع الحرص على فعل البر بقدر الطاقة.

الوقوف: الكف عن القدوم في أحد بولاية أو براءة لعدم معرفة حالة بصلاح أو فساد وأنواع الوقوف خمسة: وقوف السلامة، وقوف الرأي، وقوف السؤال، وقوف الإشكال، ووقوف الشك.

اليقين: هو العلم الراسخ الذي لا يشوبه شك ولا اضطراب كأنه مشاهدة أو مكاشفة، واليقين يدعو الى قصر الأمل وقصره يدعو الى الزهد المورث للحكمة الموروثة للنظر في العواقب وعلامته النظر الى الله في كل شيء والرجوع إليه في كل أمر.

استدراك

البراءة: لغة البعد عن الشيء والتخلص منه وشرعا البغض والشتم واللعن للكافر على كفره، أنظر "الابعاد"

الإحراز: جمع حرز وهو حفظ الشيء وصيانته وحرز الدين المحافظة عليه.

(٢٤٧/١)

الإفراز: جمع فرز وهو عزل الشيء وتمييزه عن غيره والفرز هنا هو التمييز بين المؤمن والمنافق والمشرك فلكل حكمة عند الله.

المجاري: بمعنى مصادر التشريع، وهي الكتاب والسنة والإجماع أنظر ص٢٣ من هذا البحث

الفهارس

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث النبوية.

فهرس الأعلام.

فهرس الأماكن.

فهرس الفرق والمذاهب.

فهرس الجداول التوضيحية.

فهرس الموضوعات.

فهرس المصادر المحفوظة

* إبراهيم البرادي (أبو القاسم) ق٨-١٤:

١- الجواهر المنتقاة في تتميم ما أخل به صاحب الطبقات. نسخة خزانة الشيخ بالحاج القرارة، ولاية غرداية، تحت رقم ٧٣ ، كتب في الصفحة الأخيرة :(نسخة باعيسى بن داود بن صالح الوارجلاني مسكناً والنفوس نسباً.. فرغ من نسخة يوم الأحد ٣محرم عام ١١٩٦ من هجرة الرسول) ، ملاحظة: يبدو أن هذا الكتاب طبع طبعاً حجرياً لم أقف عليه.

* إبراهيم بن الحاج عيسى أبو اليقضان(القرارة: ١٨٨٨-١٩٧٣م):

٢- العزابة، ٤٦ ص، نسخة وحيدة في حوزة أ. عبد الحميد حمدي أبو اليقظان

- نجل المؤلف، تحت رقم ٥٢.

٣. نظام العشيرة في وادي ميزاب،٢٢ص. يبدو أن المؤلف شرع في تحرير هذه الرسالة –كما يسميها صاحبها – بالمدينة المنورة في تاريخ ٢٨ذو الحجة ١٣٨٤هـ-٢٩ أبريل ١٩٦٥م، وانتهى منها بعد عودته من الحجاز بتاريخ ٢٩ محرم ١٣٨٥هـ- ٣٠ ماي ١٩٦٥م، حسبما جاء في مقدمة وخاتمة الرسالة.

٤ . دفع شبه الباطل عن الاباضية الوهبية المحقة مقالة كتبها المؤلف رداً. على مقال نشرته جريدة

المصور الصادرة في القاهرة، يوم ١٥ .٤ .١٩٦٦م، نسخة أ. محمد الشيخ بالحاج القرارة .

* إبراهيم بن قيس الحضرمي(أبو اسحاق)ق هـ.

٥ . مختصر الخصال، نسخة مكتبة "ايروان" العطف، ولاية غرداية، رقم ١٢٠ ، ونسخة خزانة الشيخ بالحاج رقم ٥٦ .

* تبغورين بن عيسى الملوشائي(ق ٥هـ).

(٢٤٨/١)

٦ . رسالة في أصول الدين، نسخة خزانة الشيخ بالحاج، رقم ٦٠ . نسخها : عمر بن الحاج عمار الغرداوي، سنة ١١٨٢هـ.

٧ . كتاب الجهالات، نسخة خزانة الشيخ بالحاج ١٥ ورقة، رقم ٧١،كتب في الورقة الأخيرة : (انتهى من نسخة بعد ظهر الأربعاء ربيع الأخير سنة ١١٩٣ هـ...الحاج صالح بن محمد الوارجلاني..)

* عبد العزيز الثميني اليسجني(١١٣٠- ١٢٢٣هـ/١٧١٨- ١٨٠٨م):

٨. معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين نسخة مكتبة القطب ببني يسقن، ولاية غرداية، (ص٣٥٤) كتب في الورقة الأخيرة(قد فرغت من إكماله عند الزوال من يوم الأحد لأربع بقين من ربيع الثاني سنة ١١٨٤هـ... وكان الفراغ من نسخه يوم الخميس لخمس ليال مضت من شهر الله ذي الحجة الحرام عام ١٣٢٠هـ.

* عبد الكافي بن أبي يعقوب التناوتي الوارجلاني، أبو عمار(ق ٥ هـ/١٢م):

٩. رسالة في نظام العزابة وتسمى(٩ أوراق) دتا. نسخة مكتبة القطب ببني يسقن ولاية غرداية.

* جميل بن خميس السعدي العماني نهاية ق ١٩هـ).

١٠. قاموس الشريعة في ٩٠ مجلدا، ألفه بين ١٨٦٠-١٨٨٠م كتاب الامامة، نسخة مكتبة القطب ببني يسقن ولاية غرداية.

* علي بن محمد البيسوي العماني (أبو الحسن) ق ٥ هـ :

١١. سيرة أبي الحسن في الامامة، ضمن سير أهل عمان، أربع أجزاء، نسخة مصورة في حوزة الشيخ ناصر المرموري، القرارة، ولاية غرداية، واصل المخطوط من خزانة الامام غالب السعودية.

* بواب بن سلام بن عمر اللواتي (نهاية ق ٣ هـ):

١٢. شرائع الدين، نسخة الشيخ ناصر المرموري القرارة، ولاية غرداية، وأصل المخطوط في حوزة

الشيخ سالم بن يعقوب الجربي.

* محمد بن عمر القصبي المغربي الوهبي (أبو عبدالله الملقب بأبي ستة):

١٣. حاشية الوضع، خزانة الشيخ بالحاج، القرارة، رقم ٣٧.

* محمد بن يوسف اطفيش المصعبي(قطب الأئمة) ١٨١٨-١٩١٤م،

١٤. شرح عقيدة تبغورين، نسخة مكتبة القطب.

(٢٤٩/١)

١٥. رسالة في الرد على الشيخ محمد كامل بن مصطفى بم حمود الطرابلسي، صاحب كتاب الفتاوي، الكاملية، (مخ) ضمن مجموعة من الرسائل والردود عند الشيخ سالم ابن يعقوب جزيرة جربة، الجمهورية التونسية.

* يوسف بن إبراهيم الوارجلاني(أبو يعقوب) ت. ٥٧٠ هـ/ ١١٧٤م :

١٦. العدل والإنصاف، (ص٢٠٨) نسخة خزانة الشيخ بالحاج، رقم ٢٢، يبدو أن النسخة مخرومة في النهاية لعدم وجود إشارة تدل على انتهاء الكتاب.

* أحمد بن محمد بن بكر(أبو العباس) :

١٧. تبين أفعال العباد نسخة خزانة الشيخ بالحاج، القرارة، ٧٧ورقة، جاء في نهاية الكتاب (.....انتهى في آخر يوم الجمعة الأخير من جمادى الأولى، عام ١٢٩٣هـ.

فهرس المصادر والمراجع المطبوعة

* إبراهيم بن الحاج محمد اطفيش الجزائري(أبو اسحاق):

١٨. الدعاية الى سبيل المؤمنين، مط السلفية القاهرة ١٩٢٣م.

* إبراهيم بكير بحاز (معاصر):

١٩. الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط١، مط لافوميك، الجزائر ١٩٨٥م.

* ابن عذاري المراكشي (أواخر ق ٧هـ/١٣م):

٢٠. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ومر، ج، س، كولان وليفي بروفنسان، جـ١ ،ط٣، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣م.

* أبو الأعلى المودودي

٢١. نظرية الإسلام وهديه، تر،جليل حسن الإصلاحي دار الفكر دتا.

٢٢. نظرية الإسلام السياسية، ط٣، دمشق ١٣٨٨هـ.
* أبو عمار عبد الكافي الاباضي(ق ٥ هـ)
٢٣. الموجز، تح د.عمار طالبي، ش.و.ن.ت. الجزائر ١٣٩٨- ١٩٧٨م.
* أبو غانم الخرساني الاباضي:
٢٤. المدونة الكبرى، رتبها وحققها وشرحها قطب الأئمة الشيخ أطفيش، تصوير فوتوغرافي عن أصل مخطوط، دار اليقظة العربية في سوريا ولبنان، دتا.
* أحمد أمين
٢٥. فجر الإسلام، ط١١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٩م.
٢٦. ضحى الاسلام، ط١٠، دار الكتاب العربي، بيروت، جـ٣، دتا.
* أحمد بن سعيد الدرجيني (أبو العباس) ت ٦٧٠ هـ.

(٢٥٠/١)

٢٧. طبقات المشائخ بالمغرب. تح أ.إبراهيم طلاي، جـ وء، مط البعث، قسنطينة، دتا.
* أحمد بن عبد الوهاب النووي (شهاب الدين)٦٧٧-٧٣٣هـ
٢٨. نهاية الأرب في فنون الأدب، السفر السادس نسخة مصورة عن ط، دار الكتب المصرية القاهرة، دتا.
* أحمد بن سعيد الشماخي (ت٩٢٨-١٥٢١م)
٢٩. كتاب السير، ط حجرية، قسنطينة، الجزائر ١٣٠١هـ.
* إسماعيل بن موسى الجيطالي (أبو ظاهر) ت ٧٥٠هـ/١٣٥٠م)
٣٠. قواعد الاسلام، تح ومر الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي، ط-، مط العربية، غرداية، الجزائر، أفريل ١٩٧٦م
٣١. قناطر الخيرات، القسم الأول يحتوي على قنطرتي العلم والايمان تح وتع ، د.عمر خليفة النامي، ط١، مكتبة وهبة القاهرة، جوان ١٩٦٥م.
* ألفرد بل (مستشرق)
٣٢. الفرق الاسلامية في الشمال الإفريقي، من الفتح العربي الى اليوم، تر عن الفرنسية عبد الرحمن بدوي، ط٢، دار الغرب الاسلامي ١٩٨١م.
* ابن الصغير (ق ٣هـ)

٣٣. أخبار الأئمة الرستميين، تح وتع د.محمد ناصر و أ.إبراهيم بحاز المطبوعات الجميلة الجزائر، ١٩٨٦م.
* بكير بن سعيد أعوشت (معاصر)
٣٤. دراسات إسلامية في الأصول الاباضية، مط ، البعث قسنطينة ١٩٨٢م.
* جودت عبد الكريم (معاصر)
٣٥. العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، م وك الجزائر ١٩٨٤م.
* جولد تسيهر(ألماني)
٣٦. العقيدة والشريعة في الاسلام ،تر وتع محمد يوسف موسى وآخرون، دار الرائد العربي، بيروت، مصورة عن ط دار الكتاب المصري ١٩٤٦م.
* الحافظ بن كثير أبو الفداء الدمشقي ت ٧٧٤هـ.
٣٧. البداية والنهاية، جـ ط، ط ، مكتبة المعارف بيروت ١٩٨١م.
* حسين مؤنس (معاصر)
٣٨. معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط ، دار مط المستقبل، القاهرة ١٩٨١م.
* الشيخ الحاج صالح بن عمر اليسجني (ت ١٣٤٧هـ) و ش.إبراهيم بن بكير حفار (ت ١٩٥٤م):
٣٩. مجموعة متون دينية، نص عبد الرحمن بن عمر مط دار الفكر الجزائر ١٩٥٤م.
* الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري ت ١٥٠هـ :

(٢٥١/١)

٤٠. الجامع الصحيح، مسند الامام الربيع بن حبيب، على ترتيب الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، تا: دار الفتح بيروت، مكتبة الاستقامة، سلطنة عمان مط العمومية، دمشق، سوريا. ١ رمضان ١٣٨٨هـ.
* رشيد بوروبية، موسى لقبال، عبد الحميد حاجيات عطاء الله دهينه، محمد بلقراد:
٤١. الجزائر في التاريخ، العهد الاسلامي، من الفتح الى بداية العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتابة، جـ٣، الجزائر ١٩٨٤م.
* سالم بن حمود بن شامس السيابي العماني(أبو هلال) ق ١٤هـ :
٤٢. طلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الاباضي، مط سجل العرب، وزارة التراث

القومي والثقافة، مسقط ١٤٠٠هـ.
٤٣. إزالة الوعثاء عن اتباع أبي الشعثاء، شرح د. سيد إسماعيل كاشف ،مطابع سجل العرب، القاهرة ١٩٧٩
* سعيد التعاريتي الوهبي الحربي، أوائل ق ١٤هـ :
٤٤. المسلك المحمود في معرفة الردود، ط حجري تونس ١٣٢١هـ.
* سليمان بن عبدالله الباروني النفوسي ق ١٤هـ :
٤٥. الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية مط الأزهار البارونية القاهرة، دتا.
* سليمان بن محمد بن أحمد بن عبدالله الكندي (١٢٩٨-١٣٣٧هـ) مسقط عمان:
٤٦. بداية الإمداد على غاية المراد في نظم الاعتقاد المطابع العالمية روي، سلطنة عمان ١٩٨٦م.
* صالح بن أحمد الصوافي(معاصر) :
٤٧. الامام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة مسقط، ١٩٨٣م.
* صالح باجية (تونس معاصر) :
٤٨. الاباضية بالجريد في العصور الاسلامية الأولى، إشراف د.علي شابي، ط دار بوسلامة لـ ط.ن.ت.، تونس ١٩٧٦م.
* عبد الرحمن بن عمر بكلي(البكري) ت ١٣/١/١٩٨٦م :
٤٩. فتاوي البكري، جـ٢، مط العربية، غرداية، الجزائر، ١٩٨٣م.
* عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي ق ٨هـ /١٤م :
٥٠. كتاب العبر...مجلد-المعروف بالمقدمة دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨١م.

(٢٥٢/١)

* عبد العزيز الثميني اليسجني (ضياء الدين) توفي ١٢٢٣هـ /١٨٠٨م
٥١. كتاب النيل وشفاء العليل، تح وتصح: عبد الرحمن بن عمر بكلي.
٥٢. التكميل لما أخل به كتاب النيل، تص ونشر حفيد المؤلف محمد بن صالح الثميني مطبعة العرب، تونس، ١٩٤٤م.
٥٣. النور، شرح قصيدة "النونية" للشيخ أبي نصر فتح بن نوح الملوشائي (ق ٧هـ) قام بتجديد

طبعة أ.بأفلج بأيوب بن أحمد تصوير فوتوغرافي عن أصل مط طبع حجري مط العربية، غرداية، جوان، ١٩٨١م.

* عبدالله بن حميد سلوم السالمي (نور الدين) توفي ١٣٣٢هـ /١٩١٤م :

٥٤. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، جـ١، ط٢، مط الشباب القاهرة، ١٣٥٠هـ، جـ ء، ط ، مط السلفية، القاهرة، ١٣٧٤هـ.

٥٥. مشارق أنوار العقول، تص أحمد بن حمد الخليلي، ط ، مسقط ١٩٨١م.

* عبدالله شريط (معاصر) :

٥٦. الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، ش.و.ن.ت. ، ط، الجزائر ١٩٨١م.

* عبد الحليم محمود (شيخ الأزهر سابقا) :

٥٧. التفكير الفلسفي في الاسلام، جـ١، ط٣، دار النصر للطباعة، القاهرة ١٩٦٨م.

* عبد الحي الكتاني (معاصر) :

٥٨. نظام الحكومة النبوية، جـ١، تا: حسن جعنا، دتا.

* عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (أبو منصور) توفي ٤٢٩ هـ :

٥٩. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تح لجنة إحياء التراث العربي ط، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢م.

٦٠. كتاب الملل والنحل حققه وقدم له وعلق عليه د.البير نصر نادر ط٢، دار المشرق، بيروت ١٩٧٠م.

* عبد الملك الجويني (إمام الحرمين) :

٦١. الإرشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تح د.محمد بن يوسف بن موسى وعلي عبد المنعم، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٥٠م.

* عز الدين بليق (معاصر) :

٦٢. منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين، دار الفتح، ط١ ، بيروت ١٩٧٨م.

* علي إسماعيل الأشعري (أبو الحسن) ت.٣٣٠هـ الأرجح ٣٢٤:

٦٣. مقالات الإسلاميين..، جـ١، ٢ تح محي الدين عبد الحميد دار الحداثة، ط٢، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م

* علي بن أحمد سعيد الأندلسي (ابن حزم) توفي ٤٥٦هـ /١٠٦٥م :

٦٤. الفصل في الملل والنحل والأهواء، ط٢، القاهرة ١٣٢٠هـ.

* علي بن محمد الماوردي الشافعي (أبو الحسن) ٣٦٤- ٤٥٠ هـ :

٦٥. الأحكام السلطانية، القاهرة ١٣٨٦هـ.

* علي مصطفى الغوابي (معاصر) :

٦٦. تاريخ الفرق الاسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين.

* علي يحيى معمر (ليبيا) ١٩١٥-١٩٧٩ م

٦٧. الاباضية بين الفرق الاسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ماي ١٩٧٦م.

٦٨. الاباضية في موكب التاريخ، جـ١ ،ط١، دار الكتاب العربي القاهرة١٩٦٤ م.

* عمار طالبي (معاصر) :

٦٩. آراء الخوارج الكلامية، ج١، ش.و.ن.ت، الجزائر، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

* عمر بن رمضان التلاتي:

٧٠. نخبة المتين من أصول تبغورين، مط العربية، الجزائر، د.تا.

* عوض محمد خليفات(معاصر) الجامعة الأردنية عمّان

٧١. النظم الاجتماعية والتربوية عند الاباضية ط١، جامعة عمَّان ١٩٨٢م.

٧٢. التنظيمات السياسية والإدارية عند الاباضية في مرحلة الكتمان، وزارة العدل والأوقاف والشؤون الاسلامية، مسقط، د.تا.

٧٣. الأصول التاريخية للفرقة الاباضية، ط٢، وزارة التراث القومي والثقافة، مط الشرقية مسقط، سلطنة عمان، د.تا.

* فاروق عمر(معاصر)

٧٤. التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين دراسات نقدية في تفسير التاريخ، ط٢، دار اقرأ ،بيروت، لبنان ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

* فؤاد محمد شبل(معاصر :

٧٥. الفكر السياسي، دراسات مقارنة للمذاهب السياسية...الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٠م.

* فرحات الجعبيري (تونس– معاصر) :
٧٦. نظام العزابة عند الاباضية الوهبية في جربة، مط العصرية تونس١٩٧٥م.
* محمد أبو زهرة(معاصر) :
٧٧. تاريخ المذاهب الاسلامية، ج١، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٦م.
* محمد أحمد خلف الله (معاصر) :

(٢٥٤/١)

٧٨. القرآن والدولة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢ بيروت ١٩٨١م.
* محمد بن بابه الشيخ بالحاج (ابن الشيخ– معاصر) :
٧٩. القرآن...والسنة...عند الاباضية، مط العربية، غرداية،١٩٨٤م.
* محمد جلال شرف (معاصر) :
٨٠. نشأة الفكر السياسي وتطوره في الاسلام، دار النهضة، بيروت ١٩٨٢هـ.
* محمد بن زيد المبرد (أبو العباس) ٢٨٥هـ/٨٩٨م :
٨١. الكامل في اللغة والأدب، مط التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٥٥هـ.
* محمد بن يوسف اطفيش (قطب الأئمة) بني يسقن ١٨١٨م– ١٩١٤م :
٨٢. إن لم تعرف الاباضية يا جزائري، رسالة في الرد على العقبي الطاعن في الدين، معها حواشي الشيخ عبدالله بن حميد سلوم السالمي، أمر بطبع الكتاب فيصل بن تركي، سلطنة عمان، فرغ من تأليفه ٣ جمادى الأولى عام ١٣٢٨هـ.
٨٣. شرح عقيدة التوحيد، طبع حجري، بخط الحاج محمد بن الحاج صالح.
٨٤. شرح كتاب النيل، وشفاء العليل، ج١٣ و١٤، ط٢، دار الفتح ،بيروت ١٩٧٢م.
٨٥. الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص تح وتع: أبي اسحاق إبراهيم اطفيش، ط٢، مط البعث، قسنطينة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٨٦. شامل الأصل والفرع، ج١ و٢، التزم بطبعه وتصحيحه أبو اسحاق إبراهيم اطفيش، مط السلفية بمصر، القاهرة ١٣٤٨هـ.
٨٧. تفقيه الغامر بترتيب لقط موسى بن عامر، طبع حجري، كتب في أخر الكتاب، تم طبعه ليوم ١٢ من شوال عام ١٣١٩هـ، على يد ملتزم طبعه: داود بن إبراهيم بن داود اليسجني.
٨٨. كتاب المعلقات(مخ) طبع حجري، كتب في الورقة الأخيرة قد تم طبع هذا الكتاب

المستطاب بإعانة الملك الوهاب على ذمة ملتزمة...محمد بن يوسف الباروني...بقلم حسن العنابي الشاذلي، د. تا نسخة المكتبة الوطنية، الجزائر.

٩٠. كتاب جامع الشمل في حديث خاتم الرسل طبع حجري بخط اليد (ص٤٣٦) جاء في نهاية الكتاب: قد تم طبع هذا الكتاب بإعانة الملك الوهاب في غرة ذي الحجة ١٣٠٤هـ، البارونية.

(٢٥٥/١)

٩١. وفاء الضمانة بأداء الأمانة، مط الأزهار البارونية القاهرة ١٣٢٦هـ.

٩٢. إزالة الاعتراض عن محقي آل اباض، وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان، مط الشرقية، مسقط ١٩٨٢.

* محمد الطيب النجار(معاصر) :

٩٣. محاضرات في تاريخ العالم الاسلامي، دار الاتحاد العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

* محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (أبو الفتح)٤٧٩-٥٤٨ هـ :

٩٤. الملل والنحل، تح محمد سيد كيلاني جـ١ و٢، ط٢ ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، لبنان، ١٩٧٥م.

* محمد بن جرير الطبري(أبو جعفر) ت.٣١٠ هـ/٩٢٢م:

٩٥. تاريخ الأمم والملوك، جـ٤، مط ، الحسينية القاهرة، ١٣٣٦هـ.

* محمد علي دبوز ١٩٨١ :

٩٦. تاريخ المغرب الكبير، جـ٣،ط١، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٩٦٣م

* محمد المبارك(معاصر) :

٩٧. نظام الاسلام، الحكم والدولة، ط٣، دار الفكر، بيروت ١٩٨٠م

* محمود إسماعيل(معاصر) :

٩٨. الحركات السرية في الاسلام، (رؤية عصرية) ط١، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م

* مهدي طالب هاشم(معاصر)

٩٩. الحركة الاباضية في المشرق العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ط١، دار الاتحاد للطباعة، بغداد، ١٩٨١م.

* موسى لقبال(معاصر) :

١٠٠. الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نتائجها وتطورها، ط١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٧١م.

*** يحيى بن أبي بكر(أبو زكريا) :**

١٠١. كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تح، ووضع الهوامش د.إسماعيل العربي، ط٢، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٢م.

*** يحيى بن أبي الخير الجناوني(أبو زكريا) أوائل القرن ٥ الهجري:**

١٠٢. كتاب الوضع، مختصر في الأصول والفقه نشر وتع، أبو اسحاق إبراهيم اطفيش، ط١، مط الفجالة الجديدة، القاهرة، مصر، ١٩٩٢م.

*** يوسف بن إبراهيم الوارجلاني (أبو يعقوب) توفي٥٧٠ هـ/ ١١٧٤م :**

١٠٣. الدليل لأهل العقول بالرهان والصدق...ثلاثة أجزاء، طبع حجري بخط اليد، مط البارونية، القاهرة، ١٣٠٦هـ

المعاجم

(٢٥٦/١)

*** معجم ألفاظ القرآن الكريم: :**

مجمع اللغة العربية، ط٣، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٠٧م

*** معجم البلدان:**

للشيخ شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت، ١٩٨٤م

*** المعجم الفلسفي :**

تأليف د.جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني بيروت، ١٩٧٩م

*** الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية:**

تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري، تح أحمد بن عبد الغفور عطار، ط٣ دار العلم للملايين بيروت، ١٩٨٤م.

الدوريات

*** الأصالة وزارة الشؤون الدينية، عدد ٤١، مط البعث قسنطينة ١٩٧٧م**

*** جبرين، مجلة ثقافية يصدرها الطلبة العمانيون في الجامعة الأردنية.**

المحاضرات

* عبد الرزاق قسوم (دكتور) معاصر:

الآراء الكلامية عند المعتزلة، محاضرة ألقاها بدائرة الفلسفة، معهد العلوم الاجتماعية جامعة الجزائر، بتاريخ ١٦. ١١. ١٩٨١م.

* محمد بن بابه الشيخ الحاج، أستاذ التاريخ الاسلامي والشريعة بمعهد الحياة الثانوية القرارة، ولاية غرداية::

الاجتهاد في المذهب الاباضي، محاضرة ألقاها بمناسبة انعقاد ملتقى الفكر الاسلامي، قسنطينة، يوليو ١٩٨٣م.

* محمد بن صالح الثميني :

مفهوم الشورى والديموقراطية في التاريخ العربي لدى الرستميين، والجماعات المحلية بوادي ميزاب "بالجنوب الجزائري" محاضرة ألقيت بمناسبة المؤتمر الثاني للبرلمان العربي ،الجزائر من ٨ الى ١٢ مارس ١٩٨١م.

المقابلات

* الشيخ صالح بزملال(محافظ مكتبة القطب) بني يسقن، في صيف ١٩٨٤م.

* الدكتور عمار طالبي(مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية "سابقا قسنطينة) في الجزائر ماي ١٩٨٤م، وقسنطينة أفريل ١٩٨٥م.

* الشيخ محمد بن بابة الشيخ بالحاج (أستاذ الشريعة والتاريخ الاسلامي، معهد الحياة) القرارة في صيف ١٩٨٤م.

* الدكتور محمد عبد الباقي (أستاذ بمعهد الفلسفة جامعة الجزائر، سابقا) أفريل ١٩٨٦م.

(٢٥٧/١)

* الدكتور محمد ناصر (أستاذ الأدب الجزائري بمعهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر) في القرارة صيف ١٩٨٤م.

* الأستاذ بيار كبيرلي **P. Cuperly** مدير المركز الأسقفي للدراسات والأبحاث)، الجزائر في ١٢. ١. ١٩٨٦.

المراجع الأجنبية

* (**Bel (Alfred**

-.**La religion musulmane en Berberir, edit**

*** .(Cuperly (Pierre**

Introduction a letude de l, lbadisme et de sa theologie, edit. –

.O.P.U. Alger 1984

(Daddi- Addoun (Aicha *

Sociologie et histoire des Algeriens ibadites imp. El-Arabia, –

.Ghardaia 1977

(Dangel (Gerard *

L,imamat Ibadite de Tahert (716. 909), Contribution a –

L,his- toire de i. Afrique du Nord durant le moyen age, these pre-paree pour le doctorat du 3em. Cycle, Strasbourg, .Universe- tr des Sciences Humaines, 1977

(Gardet (Louis *

Les hommes de I, Islam, approche des mentalites, edit. –

.Complexe, Bruxelles, 1984

(Lewicki (Tadeuz *

Encyclopedia de I, Islam, nouvelle edition G.P. maisonneu- –

Larose, Paris. 1971, tome3, article: AL-IBADIYYA? Pp. & ve

.669-862

(Marcais (Georges *

La berberie Musulmane et I, Orient au Moyen age, edit. –

.Montaigin, Alger, 1946

(Mercier (Marcel *

La civilisation urbaine au M, ZAB, edition Subiron, Alger, –

.1932

Etude sour le waqf Ibadite et ses application au M, ZAB, –edit

(Merghoub (Belhadj *

Le development politque en Algerie, etude de Ia popu-Iation –

de Ia region du M, ZAB, Edie, Armand Colin, Paris 1972

الدوريات الأجنبية

(Brkri (Chikh *

Le Kharjisme Berbere, Quelques Aspects du Royaume – Rustumide, Annales de I, Institut d, Etudes Orientales .(A.I.E.O.), University d, Alger, Tome 15, Alger 1975

(Dhina (Amar *

(٢٥٨/١)

Ibn Rostoum, Fondateur du Royaume Ibadite de tahert, EI- – .Moudjahed, 27-28/ 07/1984

(.Moutylinski (A. de C *

L, Aquida des Abadites, Recueil de Memories et de textes publies en I, Honneur de 14em Congres Internationale des .Orientalistes, imp. Alger, 1905

فهرس الآيات القرآنية

١٣) فريق في الجنة وفريق في السعير
١٤) ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم
١٥) إنا أنزلناه في ليلة القدر
١٦) وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد
١٧) إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون
١٨) إنا جعلناه قرآنا عربيا
١٩) وجعلنا الليل والنهار آيتين
٢٠) أو يحدث لهم ذكر
٢١) ومن الناس من يشري لهو الحديث
٢٢) أفمن هذا الحديث تعجبون
٢٣) وإنا له لحافظون
٢٤) وحفظناها من كل شيطان رجيم
٢٥) كتابا متشابها
٢٦) والنخل والزرع مختلفا أكله
٢٧) فيتبعون ما تشابه منه
٢٨) كتاب فصلت آياته
٢٩) وكل شيء فصلناه تفصيلا
٣٠) إنا سمعنا قرآنا عجبا
٣١) لقد سمع الله قول الذين قالوا
٣٢) وانا لما سمعنا الهدى آمنا به
٣٣) الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
٣٤) وأنا لما الهدى آمنا به
٣٥) أولئك على هدى من ربهم
٣٦) تلك أمة قد خلت
٣٧) ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله
٣٨) وان أطعمتموهم إنكم لمشركون
٣٩) ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله
٤٠) وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات

٤١) وآتينا موسى سلطانا مبينا

٤٢) واجعلنا للمتقين إماما

(٢٥٩/١)

٤٣) إني جاعلك للناس إماما

٤٤) ولتكن منكم أمة

٤٥) إن الله يأمركم أن تودوا الأمانات

٤٦) الآن خفف الله عنكم

٤٧) الذي جعل لكم الأرض مهادا

٤٨) ولله العزة ولرسوله

٤٩) ولتكن منكم أمة

٥٠) ومن الناس من يشري نفسه

٥١) إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم

٥٢) فاصدع بما تؤمر

٥٣) إن أكرمكم عند الله أتقاكم

٥٤) وجعلنا منهم أئمة

٥٥) يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله

٥٦) إنما جزاء الذين يحاربون الله

٥٧) ولقد كرمنا بني آدم

٥٨) وشاورهم في الأمر

٥٩) وأمرهم شورى بينهم

٦٠) ويحرم عليهم الخبائث

٦١) إنما جزاء الذين يحاربون الله ... ٥٤

٥٦

٥٧

٦٢

٦٢

الصافات
الإسراء
الكهف
البينة
آل عمران
الأحزاب
التغابن
البلد
البينة
آل عمران
هود
الشورى
الجن
القدر
الحديد
الحجر
الزخرف
الاسراء
طه
لقمان
النجم
الحجر
الحجر
الزمر
الأنعام
آل عمران
فصلت
الاسراء

الجن

آل عمران

الجن

الزمر

الجن

البقرة

البقرة

النساء

الأنعام

النساء

الشورى

آل عمران

الفرقان

البقرة

آل عمران

النساء

الأنفال

طه

المنافقون

آل عمران

القبرة

التوبة

الحجر الحجرات

القصص

النساء

المائدة

الاسراء

البقرة

الشورى

الأعراف

المائدة ... ٤٤

٩٦

٦٣

١٠٧

١٦

٩

٧٣

٢

١٠

٥

١٩

١٠٨

٧

٢٣

١

٢٥

٩

٣

١٢

١١٣

٦

٥٩

٩

١٧

٢٣

١٤١

٧
٣
١٢
١
١٨١
١٣
١٨
١٣
٥
١٠٠
١٢١
١٠٠
٥٥
١٥٣
٧٤
١٢٤
١٠٤
٥٨
٦٦
٦٣
٨
١٠٤
٢٠٧
١١١
٩٤
١٣
٤١
٥٩

فهرس الأحاديث النبوية

(٢٦٠/١)

الدين النصيحة
لله وكتابه ولرسوله
أفضل الجهاد كلمة عدل
من ولاه الله شيئا
إذا أراد الله بالأمير خيرا
من ولى من أمر المسلمين شيئا
من استعمل رجلا من عصابة
الكل راع وكل راع مسؤول عن رعيته ... عن أبي هريرة
رواه البخاري ومسلم
رواه مسلم
رواه البخاري ومسلم
رواه جابر عن ابن عباس
رواه جابر عن ابن عباس
رواه أحمد والبيهقي
رواه أبو داود والترمذي
رواه مسلم عن أبي سعيد
رواه جابر عن ابن عباس
متفق عليه
متفق عليه
رواه مسلم عن أبي رقية
رواه مسلم
رواه أبو داود والترمذي
رواه أبو داود والترمذي
رواه الحاكم
رواه الحاكم
-كما قال صلى الله عليه وسلم-
فهرس الجداول التوضيحية
موضوع الجدول ... الصفحة

فهرس الموضوعات

(٢٦١/١)

(٢٦٢/١)